

الرحالة العرب

وتعذيره

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر ولا يجوز نهائيا نشر أو افتياس أو افتزال أو نقل أى جيزء من الكتاب دون الحصول على أذن كتابي من الناشر

مجفوظئة بمنع مجفوق



للنشر والتوزيج

الإشراف العام : ياسر رمضان 14 شــارع جواد حسني متضرع من شارع قصر النيل — وسط البلد — القاهرة هـــاتــف: 00201227717795 00201117333660

0020223961698 تيفاكــس د Email: Kenouz55@yahoo.com

مشاهير الرحالة العرب

تاليف كمال بن محمد الريامي

رقسم الإيسداع: 23077 – 2012 الترقيم الدولي: 6–169–779–977 –978 عبدد الصفحات: 192 صفحة

> الطبعة الأولى 1434 هـ/ 2013 م



الصف والإخراج الفنتي مساتحة: 01092551640

مشاهير الرحالة العـرب

تأليف كمال بن محمد الريامي





ترك الرحالة العرب الأوائل نتاحاً غزيراً في محال أدب الرحلات، وامتازت رحلاتهم . البديعة ـ بمزايا عديدة ، توقف عندها الباحثون والدارسون كشراً ، ولا سيما المستشرقون الذين أشبعوا هذه الرحلات دراسةً وتمحيصاً وتحقيقاً، وتوصلوا إلى حقيقة هامة مفادها أن العربي القديم كان (نِضوَ أسفار)(1)، يعشق الترحيال والتنقيل مين بلير إلى بليد، يدفعه إلى ذلك حب الإستطلاع والاستشكاف، والبحث عن الحياةِ البائنة والعيش الرغيد، فركب البحر وقطع البرارى والصبحارى والقفار والمفازات الطوال، برياطة جأش وشجاعة نادرة، وكله أملٌ في ملاقاة عوالم أخرى وشعوب مختلفة ليعود إلى مسقط رأسه منتشياً وفرحاً يقص على الناس أخبار رحلاته العجيبة والفريبة.. ولأدب الرحلات مذاق خاص، ونكهة فريدة عند أغلب القرآء، ذلك لأنه يُجلي لنا معالم ومظاهر ما خفي عنا من أمور وأحوال البلدان وأصقاع الأرض المختلفة،.. وتزداد الرحلة متعة كلما بُعُد الرحالة عن بلده كثيراً ، وزار بلداناً بعيدة غريبة لِي عاداتها وتقاليدها... وتزداد الرحلة . أيضاً . متعة كُلما أمسك الرحالة تناصية الأدب والكتابة بكل اقتدار ، فينبد ذلك ينقل لنا وصفاً دقيقاً _ لمشاهداته في البلدان التي زارها . مُطعماً بروعة البيان وجزالة البلاغة وعذوبة السرد.

وأدب الرحلات فن اشتركت فيه سائر الأمم القديمة المتعضرة، وكان للعرب فيه القدح المُعلى والنصيب الأوفى، وحققوا فيه قصب السبق بين سائر الأمم بشهادة كبار المستشرقين.. وإن كنا الآن في آخر ركب الأمم المتعضرة المهتمة بهذا الفن.

 ⁽¹⁾ بمعنى كثير الترحال، والعبارة للأديب أنيس المتدسي استمرتها منه حين وصف في كتابه الفنون الأدبية ص 261 الأمير شكيب أرسلان بأنه كان : نضو أسفاره.

وقد عرفت اليونان. القديمة. مجموعة من الرحالة أشهرهم (هيرودوت) و السني زار مصر وقُبرص وفينيقيا وآشور وإيران وتوغل في الشمال إلى البوسفور، وأودع مشاهداته في هذه الزيارات أو الرحلات تاريخُه الكبير، وخَلفَه طائفة من مؤرخي الإغريق حفلت كتبهم بأخبار الأمم المجاورة، ولمل أهمهم (بلوتارك) الذي عُني بتاريخ اليونان والرومان، ومنه استمد شكسبير كثيراً من مسرحياته... ونلتقي في القرن الشاني للميلاد ببطليموس الإسكندري، وهو إغريقي الأصل، وقد ترك كتابين في الجغرافية والفلك. ونراه يدون وصغاً مفصلاً للبلدان والأماكن في عصره ذاكراً أطوالها وعروضها، ومبيناً بالرسم مواقعها (أ).

وحين أصبحت وروسا عاصمة السالم القديم، وتوغل أبناؤها في أمبراطوريتها الواسعة، وصلت سُعنهم إلى جزائر كناريا في المحيط الأطاسي، كما وصلت إلى الهند والشرق الأقصى، وطوفوا بدولتهم في إفريقية وآسيا، وجمعوا من هنا وهناك أخبار الأمم المفتوحة في أوربة وغير آوربة، حتى ليُمكن أن يُسال إن مؤرخيهم جمعوا لنا كل ما كان معروفاً عن سطح الأرض في زمانهم. وفي مقدمة هولاء المؤرخين بوليوس قيصسر البذي دون في كتابه والتعليقات، حروبه في الفال، ووراءه كثير من مؤرخي الرومان، يقصون الأسفار والرحلات، ويصفون البلدان النائية، وممن برعوا في ذلك وتاسيت، الذي قص أحوال التيوتون الأوائل في كتابه جرمانيا، (2) ووتاريخ الإنسان إنما هو تاريخ لمحاولاته التعرف ثم السيطرة على المالم الخارجي من حوله، وقد ناضل أولاً القوى الحيوانية التي تحول بينه وبين هذه السيطرة، ثم آخذ يُناضل القوى الإنسانية، فتكونت القبيلة ثم تكونت الأمة، واندفعت من إقليمها إلى القوى الإنسانية، فتكونت القبيلة ثم تكونت الأمة، واندفعت من إقليمها إلى القاليم المجاورة تكتشف آفاقاً جديدة. وكل هذه رحلات بدأت ضيقة، ثم الأقاليم المجاورة تكتشف آفاقاً جديدة. وكل هذه رحلات بدأت ضيقة، ثم

⁽¹⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص8 بتصرفويسير.

⁽²⁾ المصدر السابق ص8 بتصرف.

اتسعت مع مر الزمن. فالإنسان وُلد راحلاً، وإن أعجزته الرحلة، تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال، ونجد ذلك مبثوثاً في الأساطير الأولى، كما نجده ماثلاً في الحروب والفتوح القديمة، وما سطره الملوك الأول في مصر وغير مصر.

ومن المعروف أن ملوك مصر سحلوا رحلاتهم في آسيا. وعلى جدران معبد الدبر البحري بمصر العليا تصاوير بديعة لسفن الملكة حتشبسوت من ملوك الأسيرة الثامنية عشيرة وهيي عائدة من رحلتهما إلى ببلاد «بونت» في الجنوب. وأكبر الظن أنهم كانوا يُطلقون هذا الإسم على بلاد الصومال. وعلى نحو ما جابت لسفن الفراعنة) البحر الأحمر جابت أكذلك! بحر الروم؛⁽¹⁾ و«الرحلة التي قام بها القُدماء المصريون عام 1493 قبل الميلاد تُعد من أقدم الرحلات التجارية والإنتوجرافية على الإطلاق. ذلك حين أبحر في النيل صوب جنوب مصر أسطولاً مكوناً من خمسة مراكب، وعلى من كل مركب واحد وثلاثون فرداً، وذلك بهدف تسويق بضائعهم النفيسة التي شكلت آنذاك البخور والعطور. نتج من هذه الرحلة اتصال المصريين القدماء بأقزام أفريقيا، وتاكيداً لإقامة علاقات معهم فيما بعد، فقد صورت النقوش في معبد الدير البحري استقبال ملك وملكة بالاد بونت لمبعوث مصرى. أوضحت النقوش كذلك بمض تفاصيل الصفات الجسمية لتلك الشعوب، وبدا واضحاً ما اتصف به أهل المملكة من تراكم السمنة بإفراط (خصوصاً على الآلية)، شانهم في ذلك شان جماعة البوشمان الموجودين حالياً في صحراء كلها ري⁽²⁾ توكان للفينيقيين رحلات بحرية كبيرة خاضوا فيها عُباب المحيط الأطلسي وحُطُوا رحالهم في الجزائر البريطانية، وأقاموا مستعمرات لهم على طول بحر

⁽¹⁾ المعدر السابق ص7، وما بين ممكوفين من عندي للتوضيح.

⁽²⁾ أدب الرحلات، د/حسين فهيم مس23.22.

الروم في الجنوب وفي أسبانيا، (1) وعرف العرب القدماء الرحلات والهجرات الجماعية والفردية، وأقاموا مستوطنات سُكانية على حدود دولتي الفرس والروم في العالم القديم، وطرقوا بلداناً وأصقاعاً مختلفة بهدف التجارة والتكسب، عن طريق البروالبحر، وقد وصل العرب في فترة من فترات التاريخ القديم ولل السيطرة على طُرق التجارة العالمية البرية والبحرية، ووصلت قواظهم المُحملة باللبان والبخور إلى أماكن بعيدة عن جزيرة العرب.

ويجمع الجغرافيون والمؤرخون المسلمون وغيرهم على أن العرب من سنكان سواحل شبه الجزيرة العربية ملاحون مهرة منذ القدم. ففي جنوب الجزيرة العربية قامت حضارات زاهرة في اليمن، وكان اعتمادها أساساً على النشاط التجاري في البحر العربي والمحيط الهندي. هذا وقد اتصل اليمنيون أيضاً بشعوب أفريقيا الشرقية وجُزرها، وكانوا يُتجرون مع أهلها. ويعود الفضل إلى هؤلاء اليمنيين القُدامي في معرفة الطرق البحرية وانتشار سفنهم، الأمر الذي جعل الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم يقول:

ملأنا البر حتى ضاق عنا وظهر البحر نماؤه سفينا

ولقد تناول كثير من المستشرقين والباحثين المسلمين موضوع الملاحة البحرية عند العرب بالدراسة والتوثيق، وأكدوا سبق العرب على ملاحي الفرب في فن الملاحة والكشف البحري. ليس هذا فحسب، بل إن الرحلات البحرية العربية قد ربطت بين سواحل أفريقيا الشرقية ومناطق عديدة بآسيا. وهكذا زخرت قصص البحارة العرب قبل الإسلام وبعده بالمعلومات عن طبائع الشعوب والعادات والتقاليد في تلك البقاع البعيدة مثل الهند والصين، وذلك في الوقت الذي كانت أوروبا تجهل الكثير عن هذه الأماكن، (2) والرحلة كلما ذكرت «تبادر إلى الذهن موضوع الهجرة، إذ الهجرة في حقيقتها رحلة سريعة

⁽¹⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص7.

⁽²⁾ أدب الرحلات، د/حسين فهيم ص224.223.

وربما طالت وأصبحت إقامة دائمة ولأهل اليمن القدح الملّى في جانب الهجرة وهم أهل الهجرة الأولى التي تحدثت عنها كتب التاريخ وأصبحت حديث الناس عبر العصور الغايرة. ومنذ تصدّع سد مارب بسيل العرم، والمعين لا ينضب من هذه البحرات المتواصلة ونحن الآن أمام الآلاف من هذه البحرات التي هي في حقيقتها رجلات لم يُدونها أصحابها فأصبحت في ضمير التاريخ نسياً منسياً. وإنما كتب من كتب عندما كانت الرحلة في ذاتها حدثاً أدبيًاً يمتنى به أصحاب الفن والأدب فهم يدوّنون ما عنَّ لهم في رحلاتهم من مشاهدات وخواطر وليس كل الناس من يستطيع النعبير عن تلك الخوالج والمكتنهات، ولذا قلّ هذا المعين ونضب عندما قلّ المتصدّون له: (1) والعرب، القديم بطبعه أميل للرحلة والهجرة، بحثاً عن الكلاّ والماء، إذ أن الطبيعة الصعراوية الجافة للجزيرة العربية، طاردة لأبنائها وسُكانها، باستثناء جنوب الجزيرة المتمثل في (اليمن) الذي يميل أهله إلى الإستقرار في مناطقهم خاصة سُكان الجبال، لإعتمادهم في معيشتهم على الزراعة التي تغذيها الأمطار الموسمية والسدود التي اخترعها اليمنيون لحجز مياه الأمطار والسيول ،... ورغم الرقى الزراعي الذي عرفه اليمنيون القدماء إلا أنهم عرفوا البجرات والرحلات الواسعة النطاق الذي تحدثت عنها كتب التاريخ .. والعرب ينقسمون إلى حضري وبدوى مال كليهما إلى السير في الآفاق وضرب أكباد الإبل جرياً وراء التجارة والكلا والماء، فكان ينظر الحضري في الكون نزهةُ ومتعةُ، ونظر البدوي فيه أكتشاف وانتجاع. فالأول مطمئن إلى جدار وسقف، إذا فارقهما مستطلعاً، عاد إليهما مستوطناً، والثاني قلق مشرد، يتطوَّح به الترحل إلى غير غاية ، فهو أبدأ على سفر ، تلقاه هائماً في البيد ، معلق الأهداب بالسحب، لاهث الفح خلف السراب ليله تأمل في النحوم ونهاره شوق إل الكلأ، يعيش ما عاش معنياً بتدير الكون: سمانه وأرضه، كلفاً بمعرد

⁽¹⁾ الرحالة اليمنيون رحلاتهم شرقاً وغرباً ، عبدالله معمد الحبشي د. ٦.

الأرض: سهلها ووعرها، تائقاً إلى الماء وما يُنبت، يجوب في البحث عنه جزيرة العرب من عُمان إلى الحجاز ، ويهاجر خوف الجوع⁽¹⁾ من مـارب إلى يثرب. وهـو في حله وترحاله يصف الجبال وشعابها، والسالك وصواها ليجنب من يقتفيه الضياع في الفلوات»⁽²⁾ ومارس العرب «الترجال في شيع الحزيرة العربية والبلدان المُتاخِمة، وقاموا برحلتي الشتاء والصيف اللتين ورد ذكرهما في القرآن الكريم، وأبحرت سفنهم في مياه المحيط الهندى حيث اتجهوا شرقاً نحو الهند وغرباً صوب أفريقيا. حدث هذا كله قبل مجيىء الإسلام؛ (3) وكانت رحلة الشناء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام. ومن أشهر الرحلات الناريخية التي قام بها العرب وأحيطت بالأساطير، رحلة الملكة بلقيس من اليمن إلى فلسطين لملاقاة النبي الكريم سُليمان ابن داوود عليهما السلام، وهذه الرحلة التي وقعت حقيقة وذكرها القرآن الكريم، قد أكثر الإخباريون العرب القدماء في الحديث عنها وشطح بهم الخيال إلى أبعد مدى، وامتزجت نصوص هذه الرحلة بالأساطير والخيال الواسع والمُفرط، باستثناء النص القرآني الكريم الذي تحدث عن هذه الرحلة في سورة النمل وبعض النصوص المروية عن السلف. ومن الرحلات الشهيرة عند العرب رحلة الملك الضايل امرؤ القيس الشاعر المشهور، إلى فيصبر الروم لطلب مساعدته في استرجاع مُلك آبائه، وكانت نتيجة رحلته هذه فاشلة ، وتُوخِ مقتولاً بانقره وقيره هنالك ممروف إلى اليوم، وفي رحلته قال:

بُكى صاحبي لَمًا رأى الدربُ دُوننا وادرك أنا لاحقانِ بقيصرا فقلت له: لا تبك عَينك إنما تُحاول مُلكِاً أو نموتَ فتُعذرا

 ⁽¹⁾ لم يكن الجوع هو العامل الوحيد لهجرة العديد من القبائل اليمانية بعد دمار السد، فقد
 تكون هناك عوامل أخرى، خاصة إذا عرفنا أن سد مأرب لم يكن الوحيد في اليمن.

⁽²⁾ مقدمة (أحسن التقاسيم للمقدسي) للأستاذ/ غازي طليمات ص 2221.

⁽³⁾ أدب الرحلات. د/حسين فهيم ص 89.

ومن رجلات المرب الشهيرة رجلة الملك سيف بن ذي بيزن إلى كسيري فارس، لطلب تُصرته على الأحباش الذين غزوا اليمن، وتم لسيف ما أراد من هذه الرحلة ورجع بمجموعة من المقاتلين⁽¹⁾ الأشداء، وقاد تحرير اليمن من الأحياش،،وجاَّمته الوفود العربية مهنئةً بالنصر على الأحباش، وكان على رأس هذه الوفود ، وقد قريش برئاسة عبدالطلب جد النبي الكريم محمير ـ صلى الله عليه وسلم. ، وفي صنعاء اجتمعت هذه الوفود وحلوا ضيوفاً على ابن ذي يزن في قصر غمدان، وتبارى الشعراء في مدحه والتغنى بالنصر العظيم، وعلى رأس هؤلاء الشُعراء أمية بن أبي الصلت الشاعر الجاهلي المشهور، الذي مدح سيفاً بقصيدةِ عصماءً (⁽²⁾، حفظها التاريخ كرائعةِ من روائع وعيون الشعر المربي القديم، وخبر هذه الرحلة مبثوث في كُتب التاريخ والمبير. وبعد مجيء الإسلام أتيح للعربي . البدوي ، وأن يُقيم ، فلم يُقم إلاَّ فليلاً. وتسنيَّ له أن يتعضر، فأنسته الحضارة شظف الميش، ولم تُنسه حب الطواف، بل فتحت أمامية سُبِلاً لم يطرقها ، وأزارته أقطاراً لم يطأها من قبل. فإذا هو أمام هياكل وأوابد، تختفي ورامها حضارات عريقة ، ففسر منها ما فسر، واستفلق عليه ما استغلق، لكنه لم ينكص عن صعود جبل، ولا تهيب اجتياز غاب أو مفازة، ولا جحد فضل أمَّةٍ لها في صرح الحضارة ركن أو حجر. وحينما أطلقه الإسلام من عقال الصحراء أطلقه من رمضائها إلى جبال عمائمها ثلج، وأدواحُها جِنان، وقذفه إلى ربوع قريبُها قصييٌّ، والفريب فيها ألوف مالُوف. فطالت رحلاته، وقصرت الآماد دون قدميه، وشحذت الآيات البينَّات عزمه على الضرب في الآفاق، وفتحت جوارحه سمماً ويصراً ويصيرةً

⁽¹⁾ قبل إن عددهم ثمانمائة شخص توفي نصفهم حين وصلوا إلى عدن....

⁽²⁾ منها هذه الأبيات التي أوردها ابن كثير الدمشقي في كتابه البداية والنهاية ج2 ص 211: فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان داراً منك محلالا واشرب هنيئاً فقد شالت نعامتهم وأسبل اليوم فني برديك إسبالا تلك المكارم لا قمينان من لبن شهيا بما و فصادا بصد أبوالا

على الكون، فاستفاد وأفاد، وأتعظ و وعظ: (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوبُ بعقلون بها أو آذان يسمعون بها) وفرض الوحى على المسلم الحجُّ، فيَّمم شطر مكة ، يُلبي نداء السماء : (واذن في الناس بالحج ياتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله). وكان للجهاد في الحثّ على المهفر شأنُ أيُّ شأن، إذ نفر المرب إلى ميادين الفيتح خفافاً وثقالاً ، يجوبون الأرض على جُرْدهم المتاق من كاشغر (1) إلى بواتييه (2) في حركة لا تهدأ ، فيتعرفون منُفر الروم وسُمر البرير، وشُقر القُوط، ويشاهدون أنماط الحضارات، ويُصغون إلى ضروب الألسنة. ثم هذا الفتح، ولم تهذأ الأسفار. فقد أخلى الجند الدروب للتجار، ينتقلون بإيلهم وسفنهم في البر والبحر ، ويرسمون المعابر للسَّالكين، ويمصُّرون الأمصار، ويُركزونَ المنابر والمناثر. وفي ركاب التُجار سعت قافلتان أخريان: قافلةُ البريد الموكِّلة بشؤون الحكام، وقافلةُ العلماء الباحثة عن الحقائق. أمَّا قافلة البريد فقد كان لها في كل بقعة مُستراد، وعلى كل تخم خفارة، وفوق كل جهاز من أجهزة الدولة سلطان. تنظم الأقاليم، وترسم الطُرق، وتقيس المسافات، وتتمهد الجسور والأسداد، وتمين على تحصيل المكوس، وتبث عيون الأمراء في الممالك المُحيطة بمملكة الإسلام، لتدرس أحوالها، وتتسقط أخبارها، وتقد الوفود إليها، وتضع بين أيدي أولى الأمر ما يحتاجون إليه من أسرار الروم والروس والبلغار. وأمَّا قافلة العلماء فقد كانت تنساب متثدة، وتعمل متثدة، وأكبر همها الوقوف على حقيقة، أو توثيق خبر، أو الاجتماع براوية ، أو الظفر بكتاب أو القراءة على شيخ. قال ابن حجر في مقدمته: الله جابر بن عبدالله أحد أجِلَّة الصحابِّة أنَّ عبدالله ابن أنيس يروى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم . حديثاً لم يبلغه ، فاشترى جملاً وركب من المدينة إلى

^{(1)، (2)} يقـول غــازي طليمــات: كاشــفر يُســميها المقدســي كشــغر بالخــاء المُعجمة. وتسـميها الكُتب الصينية القديمة (سولو) وهي اليوم من مُدن تركستان الصينية. وبواتييه: مدينة في فرنســا شهدت معركة بلاط الشهداء 114هـ.

الشام وأخذه عنه، والشَّام على مسافة شهر من المدينة؛. وفي الدروب الغاصة بالقوافل تشتيك الخطوات، وتتداخل المقاصد، فيُظُنُّ الباحث عن العلم تاجراً يتكسب، ويُخال المتكسبُ حاجًا يتعبد، والمتعبد واحداً من الماملين في بريد دولة، تتكريخ زيُّ يدفع عنه الربية، ومضى يتحسس وينقب، ويجمع الأخبار ليصب في حضن من أرسله حصاداً وفراً من شؤون الخصوم من عرب ورومه (١) وكان للإسلام دور رئيسي في إحياء أدب الرحلات عند العرب الذين وفتحوا الأرض من الهند والمسين إلى المحيط الأطلسي وجبال البيرانس، ومن التركسيتان وجبال القوڤاز إلى السودان، وأصبح كل ذلك عالماً واحداً مشتركاً في الدين والثقافة. ووصف مورخوهم مدن هذا العالم وبلدانه، كما وصفوا سُكانه. وكان ذلك إرهاصاً لما قام به علماؤهم وأدباؤهم من رجلات عِينَ المستقيل، اشترك فيها التُحار وغير التُحارِ⁽²⁾ و الرحلة في الحضارة الإسلامية، بالرغم من أنها كلمة لها مدلولها اللغوى، الدال على الترحال إلا أنها . وهذا الجانب الهام فيها . تُعد مصطلحاً علمياً تربوياً متداولاً في أوساط العلماء. فطالب العلم يخرج من بلده بعد أن يحصل ما فيها من علم إلى البلدان الأخرى أو المراكز العلمية المتفرقة لتحصيل العلوم ولقاء العلماء والشيوخ للتلقى عنهم ومذاكرة العلم معهم، واعتبرت الرحلة من لزوميات طلب العلم، بل هي وسيلة من وسائل التعليم المعروفة في تاريخ الإسلام العلمي، وكان العلماء يحثون الطلبة على الرحلة، وقلما نجد بين العُلماء من لم يرحل ﴿ طلب العلم؛ (3) ومن أوائل الرحلات التي عرفها الإسلام، رحلة وهجرة المصطفى محمير . صلى الله عليه وسلم . من مكة إلى المدينة النبوية ، وكانت أخطر وأشهر رحلة عرفتها البشرية، إذ أنها أسست لدين غيُّر مجرى وأحداث التاريخ، وبعثت ضوءاً ساطعاً للبشرية الغارقة في الظلام والظلم. آنذاك.، وما

⁽¹⁾ عن مقدمة (أحسن التقاسيم للمقدسي) للكاتب/غازي طليمات ص2522.

⁽²⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص2.

⁽³⁾ اليمن في عيون الرحالة ، د/عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع ص108.

هي إلا سنوات معدودة وإذا بأتباع هذا الدين يمخرون عباب البحار والمحيطات، ويمتطون سروج السابحات، يفتحون العالم شرقاً وغرباً. ومن رحلاته . صلى الله عليه وسلم . رحلته إلى الشام قبل بعثته وفي صغره رفقة عمه أبي طالب، ورحلته الثانية إلى الشام في كبره متاجراً بأموال زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، ومن الرحلات الأولى . كذلك . في الإسلام، هجرة ورحلة الأوائل من المسلمين المستضعفين بمكة إلى الحبشة، وقد دارت في هذه الرحلة . التي تبعتها رحلة أخرى للمسلمين . أحداث كُبرى، مبثوثة في كتب الحديث والتاريخ والمبير والتراجم.

ودكان المسلمون الأوائل يؤكدون على أن رحلاتهم إما ركوب الإبل الى بيت الله للحج، وإما ركوب الخيل في الجهاد كما عبر عن ذلك عبدالله بن مسعوده (أ) واستمرت الرحلات التجارية . بعد مجيىء الإسلام . واتسع نشاطها ، فكان والتجار يضريون في أراض جديدة عن طريق القوافل، وعن طريق البحر وسفنه ، وقد وصلوا في مغامراتهم إلى الصين والهند وشواطىء إفريقية الشرقية والفربية جنوبي خط الإستواء، واستطاعوا أن ينشروا الإسلام في أندونيسيا وغيرها من الجزائر الهندية النائية. وما قصة (السندباد البحري) الخيالية إلا صورة لمفامراتهم في البحار الجنوبية وإضافة للرحلات التجارية التي برع فيها العرب، كانت هناك الرحلات العلمية الواسعة النطاق والرحلات الإدارية والدبلوماسية والإستكشافية (أ). فكثرت والرحلات عند العرب وتتوعت بتنوع أسبابها وحوافزها السياسية ، والدينية ، والإقتصادية ، ونشأت عند كثيرين منهم محبة المجازفة فيما وراء المعروف، حتى ليُظُنَّ أن منهم من وصل إلى أمريكا قبل أن يكتشفها كولموس، وإن في قصة الفتية المفرون من شباب

⁽¹⁾ المعدر السابق ص109.

⁽²⁾ الرحلات. د/شوقي ضيف ص9.

⁽³⁾ المصدرين السابقين ص9وص11.110.

لشبونة ما نُشير إلى ذلكه⁽¹⁾ وفي القرآن الكريم حثّ الله . تبارك وتعالى . على الرحلة والسيرفي الأرض، واستشهد الرحالية معميد السنوسي في كتاب (الرحلة الحجازية)، بمجموعة من الآيات القرآنية التي تحيث على الرحلة والضرب في الأرض، طلباً للبرزق وأخذ العبرة والتفكر في ملكوت الله . سبحانه . وهي كالتالي: يقول تعالى : وهو الذي جمل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور، وقال سبحانه : وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون، وقال أيضاً. عز من قائل: «قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله يُنشيء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير، وقال سبحانه : وحملناهم في البر والبحر، وقال عزوجل : قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين، وقال سبحانه :«أو لم يسبروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجامتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، وقال. سيحانه وتعالى .: قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مُشركين، والآيات التي تحث على الرحلة والضرب في الأرض كثيرة (2).

وللسفر والرحلات آداب في الإسلام وفوائد عديدة وغزيرة تبارى العُلماء في تدبيجها نظماً ونثراً... وأوجد الإسلام مناخاً مناسباً لإزدهار الرحلات التي يقوم بها العلماء والرحالة المسلمون في أصفاع المعمورة ... ونتيجة لذلك برز مجموعة من الرحالة العرب والمسلمين أثروا أدب الرحلات بالنفيس من الأخبار والمجائب والفرائب ومشاهد البلدان والناس على اختلاف أجناسهم وأديانهم، وشكل الرحالة الأوائل برحلاتهم المتعيزة نعوذجاً فريداً للإنفتاح على الآخر

⁽¹⁾ الرحلات د/شوقي ضيف ص9 بتصرف يسير.

⁽²⁾ عن أدب الرحلات، للدكتور/حسين محمد فهيم ص93.92.

الذي نفتقده في أيامنا هذه (1)... وفي كتابي هذا حاولت الترجمة لأشهر الرحالة العرب، والتعريف بنتاجهم في أدب الرحلات، مع اقتطاف نصوص مختارة من هذه الرحلات، واعتمدت في ترتيبهم على التسلسل الزمني كل حسب سنة مولده وسنة وفاته. وكل النين ترجمت لهم عرب خُلص باستثناء البيروني والبروى وباقوت الحموى، وقد أضفتهم هُنا لأنهم نشأوا على الثقافة العربية ويتكلمون اللسان العربي، ولأنهم في الأساس كتبوا نصوص رحلاتهم باللفة العربية. وأخيراً «فأدب الرحلة ليس بحثاً في التاريخ ولا وصفاً جفرافهاً.. كما أنه ليس قصة قصيرة، أو رواية، أو قصيدة شعر وإنما هو هذا وذاك ومن ثم يكتسب خصائصه المتميزة وطعمه العذب... وقدرته في الوقت نفسه على تلبية مطالب المؤرخين والجفيرافيين والأدباء البذين يطمحون لمعاينية الوقائم وسيبر غورها العميق. إنها حركة في الطول والمرض والعمق... تحوال في حغرافية الأماكن والظواهر والأشياء... وإيغال في النبض الذي كاد يغيب عن العيان، ولكنه ما يلبث أن يمنح سخاء لأولئك الذين ينصنون جيداً للأصوات اليميدة وهي تتشكل تحت جلد الظواهر والخيرات... وأدب الرحلة.. في بدء الأمر ومنتهاه.. هو محاولة لاكتشاف سر الأشياء.. والتعرف على تكوينها الذي يبدو أحباناً ككتل الحليد العائمة في المحيطات والبحار، ولا يظهر منها سوى العشر، وتيقى الأعشار الأخرى مفسة تحت الماء..ه⁽²⁾

كمال بن محمد الريامي الجمهورية اليمنية . صنماء اغسطس 2008م

 ⁽¹⁾ أعني بالإنفتاح على الآخر أن يكون المسلم مؤثراً في أصحاب الاديان الآخرى، لا أن بكون مثاثراً فقط، يستقبل منهم إنجازاتهم الحضارية وهو غارق في السلبية...

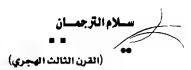
⁽²⁾ من أدب الرحلات، د/عماد الدين خليل ص8.



ابن وهب القرشي... رحالة (يُقال إنه استطاع لقاء ملك الصين وعرض عليه الملك صوراً للأنبياء (1)، ومن بينها صورة للرسول . صلى الله عليه وسلم .، ويقال إن هذه الرحلة كانت في سنة 870م) (2)

11 الرجلات، د/شوقي ضيف ص49

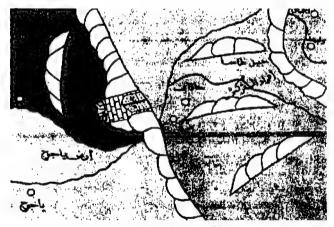
⁽¹⁾ حكاية مشاهدة صور الأنبياء حدثت كذلك لثلاثة من الصحابة — رضوان الله عليهم — وهم ي ضيافة قيمسر الدوم وعن ذلك يحدثنا الدكتور عبد الدرحمن حميدة في كتابه أعلام الجغرافيين العرب ص35 —36 فيقول: ((وفي خلافة أبي بكر الصديق نجد عبادة بن الصامت، وهشام بن العاص ، ونعيم بن عبد الله ، بذهبون إلى القسطنطينية في رسالة من الخليفة إلى قيصر الروم يدعوه فيها إلى الإسلام ، .. يقول عبادة بن الصامت، وأقبلنا حتى أنخنا تحت غرفة هرقل ، فتلنا : لا إله إلا الله والله أكبر ، والله يعلم لقد انتقضت الغرفة حتى كأنها عنق سعفة ضربها الربح. ولما لقوا قيصر سالم : ما أعظم كلامكم؟ فقلنا: لا إله إلا الله والله أكبر ، فالله بعلم أنه انتقض سقفه حتى ظن هو وأصحابه أنه سيسقط عليهم ... ثم دعاهم فيصر ليلاً وعرض عليه صدوفا عبه صور الأبيباء من أدم إلى محصر عليه السلام)) أهـ. والفريب في الأمر أنه لم خارة ، فري بنها صورة النبي محمد —صلى الله عليه وسلم — .





سلام التُرجمان ... رحالة، أرسله الخليفة العباسي الواثق بالله (في بعثة إلى بلاد الصين ليشاهد السد⁽¹⁾ الذي بناه الإسكندر⁽²⁾ ببن العالم القديم وديار ياجوج ومأجوج. وعادت البعثة تقص على الناس أخبار الصين وعجائبها)⁽³⁾. (ويرجع سبب الرحلة، كما رواها ابن

الإسكندر الأكبر



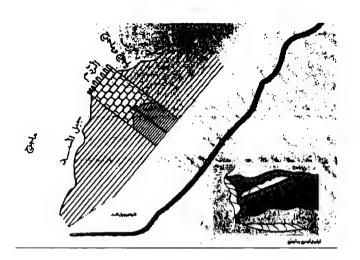
منطقة جبل السدفي بلاد ياجوج وماجوج

- (1) كان للعرب إهتمام بالسد وأمره منذ القدم فقد روى البخاري أن رجلاً قال للنبي . صلى الله عليه وسلم . : رأيت السد ، قال: (وكيف رأيته؟) قال: مثل البُرد المُحبُّر فقال له الرمبول . صلى الله عليه وسلم . : (قد رأيته). ومرجع هذا الحديث كتاب نهاية العالم للدكتور/ مصطفى مراد.
- (2) في القرآن الكريم الذي بنى المند هو ذو القرنين، وأظن أن الأستاذ شوقي ضيف يذهب مذهب القائلين بأن الإسكندر هو ذاته (ذو القرنين)...
 - (3) الرحلات، د/شوقي ضيف ص49وص9.

خرداذبة (توفح حوالي 272هـ) ، إلى أن الخليفة رأى في منامه كأن السد الذي بناه ذو القرنين بينهم وبين يأجوج ومأجوج قد انفتح، فطلب رجلاً يخرجه إلى الموضع فيستخبر خبره. وقيل له ما ها هنا أحد يصلح إلاً سلام الترجمان، وكان يتكلم ثلاثين لساناً ، فدعاه الواثق وقال له: أريد أن تخرج إلى السد حتى تُعاينه ، وتجيئني بخيره . وضم إليه خمسين رجيلاً ، ووصله بالمال وبرزق سنة ، وأمر أن يهيأ للرجال الليابيد ، وتفشى بالأديم(الجلد) ، واستعمل لهم اللستبانات بالفراء والركب الخشب، وأعطاهم مثتى بفل لحمل الزاد والعلف. واستفرقت هذه الرحلة 18 شهراً، وعندما عاين سلام السد أخرج من خفه سكيناً وحلك بها موضع شق فيه فأخرج منه مقدار نصف درهم وشده في منديل ليريه الواثق، ثم سأل من هناك هل رأوا من يأجوج ومأجوج أحداً، فذكروا أنهم رأوا ذات مرة عدداً منهم فوق الجبل فعصفت ريحٌ سوداء فالقتهم إلى جانبهم، وكان مقدار الرجل في رأى المن شبراً ونصفاً . ومما هو جدير بالذكر أن قصةً بأجوج ومأجوج قصةً قرآنية، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم مرتن: ففي سورة الكهف الآية 94 جاء قول الله تعالى : ((قالوا با ذا القرنين إن ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تَجِعِل بِينِنَا وبِينِهِم سِيداً)) وجاء أيضاً قوله تعالى في الآية96 من سورة الأنبياء ((حتى إذا فتحت بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ») (1) وقاء سلمان الترجمان بهذه الرجلة سنة 227هـ(2).

⁽¹⁾ أدب الرحلات ، د/ حسين معمد فهيم ص90 -91 وص111.

⁽²⁾ المعدر السابق ص90.





سُليمان... رحالة عراقي عاش في القرن الثالث الهجري، ومن (تجار العراق الدين لكانوا) ينقلون عُروض الهند والصين إلى البلاد العربية) (أ) ... تدك كتاباً في الرحلة يُعد من (أقدم ما تحت أيدينا من رحلات العرب البحرية، فإنه الفها سنة 237هـ/851م، ولم تصلنا في كتاب مستقل، إنما وصلتنا في كتاب لعراقي عاش في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) يُسمى أبا زيد السيرافي، وقد ذيّل على رحلة سُليمان بطائفة من الأخبار عن أهل الهند والصين، جمعها من أهوال الرحالة. ونشر الرحلة وذيلها بعض المستشرقين باسم، سلملة التواريخة) (2).

التمريف برحلته

كان دافع (سُليمان) للرحلة تجارياً، لجلب البضائع من الهند والصين، وكان يمر إلى هذين البلدين عن طريق (المحيط الهندي، فالمحيط الهادي، وعني بوصف هذه الطريق وما شاهده فيها من جزائر وغيرها)(3)

(ونقرأ عند التاجر سُليمان⁽⁴⁾ وصفاً طريفاً للبحار السبعة التي كانت تجتازها السفن إلى الصين كما نقرأ عنده أخباراً كثيرة عن حياة الناس في الصين والهند، وقد تتبه في الأولى إلى شراب الشاي المعروف، ولم يكن العرب قد عرفوه بعد، فقال: إن عند أهل الصين حشيشاً يشربونه بالماء الحارً

⁽¹⁾ الرحلات، د/شوڤي ضيف ص29. وما بين معكوفين زيادة مني.

⁽²⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص29.

⁽³⁾ المصدر السابق ص 29.

⁽⁴⁾ ويُعرف التاجر سُليمان العراقي، بالسيرائي. أيضاً . نسبة إلى سيراف الميناء الشهير في العصر العباسي وانظر أدب الرحلات للدكتور/حسن فهيم ص 225.

ويُقال له السَّاخ وهو أكثر ورقاً من الرُّطبة وأطيب قليلاً، وهيه مرارة، ويُظَى المَّاء، ويُدَّرَ عليه منه، وهو ينفعهم من كل شيء)(1).

وعُد المؤرخ حسين فوزي رحلة التاجر العراقي سُليمان من (أهم الآثار العربية عن الرحلات البحرية في المحيط الهندي وبحر الصين في القرن التاسع الميلادي. وربما كانت الآثر العربي الوحيد الذي يتحدث عن سواحل البحر الشرقي الكبير، والطريق الملاحي إليها على أساس الخبرة الشخصية مع النزام الموضوع وعدم الخروج عنه إلى احاديث جانبية)(2).

وقدم الرحالة سُليمان (وصفاً صادقاً للطرق التجارية، ولبعض العادات والنظُم الاجتماعية والاقتصادية، ولأهم المنتجات في الهند وسرنديب وجاوه والصين، مع قلة الخرافات والأساطير التي تكثر في أحاديث البحارة، بالإضافة إلى الأخبار الوافية عن علاقة المسلمين في الصين... والحق أن الاختصاصيين في الدراسات الصينية من المستشرقين ثبت عندهم صدق كثير مما جاء في حديث سُليمان عن أحوال الصين الإجتماعية)(3).

. نصوص مغتارة من رحلته .

(ية الهند والصين)

وأهل الهند والصين إذا أرادوا التنزويج تهانئوا بينهم شم تهادوا، شم يشهرون التزويج بالصنوج والطبول، وهديتهم من المال على قدر الإمكان... ولجزاءا السَّرق في جميع بلاد الصين والهند، في القليل منه والحثير القتل. وحيطان أهل الصين الخشب وبناء أهل الهند حجارة وجص وآجر وطين، وربما كان ذلك بالصين أيضاً. وليس الصين ولا الهند بأصحاب فرش، ويتزوج

⁽¹⁾ المصدر السابق ص32.

 ⁽²⁾ حديث السندباد القديم، حسين فوزي. نقالاً عن أدب الرحلات للدكتور حسين فهيم ص.
 224.

⁽³⁾ ادب الرحلات ، د/ حسين معمد فهيم . ص224 بتصرف .

الرجل من الصين والهند ماشاء من النساء، وطعام الهند الأرز وطعام الصين الحنطة والأرز، وأهل الهند لا يأكلون الحنطة. وأهل الصين يعبدون الأصنام ويُصلون لها، ويتضرعون إليها، ولهم كُتب دين. والهند يُطيلون لحاهم، ربما رأيت لحية أحدهم ثلاثة أذرع ولا يأخذون شواربهم، وأكثر أهل الصين لا لحى لهم خلقة لأكثرهم. وأهل الصين والهند يزعمون أن البدرة (الأصنام) تُكامهم وإنما يُكلمهم عُبّادهم، والصين والهند يقتلون ما يريدون أكله ولا يذبحونه، فيضربون هامته حتى يموت، وللهند خيل قلبل وهي للصين أكثر، ينبحونه، فيضربون هامته حتى يموت، وللهند خيل قلبل وهي للصين أصحر واقل أمراضاً وأطيب هواءً ولا يتركونها في بلادهم تشاؤماً بها. وبلاد الصين أصع وأقل أمراضاً وأطيب هواءً ولا يكاد يُرى بها أعمى ولا أعور ولا من به عاهة. وأنهار البلدين جميعاً عظام، فيها ما هو أعظم من أنهارنا، والأمطار بالبلدين جميعاً كثيرة. وأهل الصين أجمل من أهل الهند وأشبه بالعرب في اللباس والدواب، وهم في هيئتهم وفي مواكبهم يشبهون العرب، يلبسون الأقبية والمناطق، وأهل الهند يلبسون فوطئين ويتحلًون بأسورة من الدهب أو الجوهره (أ).

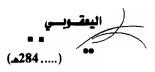
(﴿ يَكُ وَصِفَ بِمِضَ جِزَائِرِ الْمُحِيمِّةُ الْهِنْدِي)(2)

ان الأهلها ذهباً كثيراً، وأكلهم النارجيل وبه يتأدمون ويدهنون، وإذا أراد واحد منهم أن يتزوج لم يزوج إلا بقحف رأس رجل من أعدائهم. فإذا قتل الثين زُوج اثنتين وكذلك إن قتل خمسين زُوج خمسين امرأة بخمسين قحفاً، وسبب ذلك أن أعداءهم كثير، فمن أقدم على القتل أكثر كانت رغبتهم فيه أوفر، (3).

⁽¹⁾ سلسلة التواريخ، أبو زيد السيرائي نقلاً عن كتاب الرحلات، للدكتور شوقي ضيف ص32.

⁽²⁾ العنوان للدكتور حسين محمد فهيم.

⁽³⁾ المصدر السابق ص 225.224.



أبو العباس أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي⁽¹⁾ المعروف باليعقوبي.. جغرائي، رحالة... عباش في القرن الثالث الهجري وكانت وفاته سنة 284هـ و((جده الأعلى واضح كان من موالي الخليفة المنصور وشغل في وقت ما منصب حاكم أرمينيا ومصر. وقد كلفته ميوله الشيعية حياته. وظل الاتجاه الشيعي في الأسرة إلى عهد [رحالتنا]⁽²⁾ وكان جده ووالده أيضاً من كبار عمال البريد. ولا نعرف على وجه الصحة ما إذا كان أحمد اليعقوبي نفسه قد شغل بعض المناصب الحكومية، ولكن أسفاره العديدة تدفعنا لأن نكون من أنصار هذا الافتراض)) (3)

ومنف رحلته.

((على الرغم من أن بغداد كانت مسقط [رأس اليعقوبي] (4)، إلا أنه ارتحل عنها في سن مبكرة فعاش طويلاً بارمينيا وخراسان حتى عام 260 م 873 م وزار الهند وفلسطين ، وكان المعتصم يوجهه في أيام المامون إلى سمرقند كل سنة في شراء الرقيق الأتراك، وتمتع برعاية الطولونيين أشاء مقامه الطويل بمصر والمغرب)) (5) وترك اليعقوبي كتاباً في الجغرافيا أسماه (كتاب البلدان) ضم فيه معلوماته عن البلدان إلى جانب مشاهداته التي رآها أشاء رحلاته العديدة ((وقد انتهى من مصنغه كتاب البلدان الذي أنجزه في

⁽¹⁾ اعلام الحفرافيين العرب د/ عبد الرحمن حميده ص 145...

⁽²⁾ ما بين معكوفين من عندي

⁽³⁾ أعلام الحفرافيين العرب د/ عبد الرحمن حميده ص145.

⁽⁴⁾ ما بين معڪوفين من عندي

⁽⁵⁾ أعلام الجعرافيين العرب د/ عبد الرحمن حميده ص145.

مصر إلى خلافة المعتمد العباسي المتوفى سنة 277هـ، ويعتبر كتابه أقدم كتاب عربي وصل إلينا في هذا الباب)) (أ). ويُحدثنا البعقوبي عن نفسه فيقول: (إني عنيت في عنفوان شبابي وعند احتيال سبني، وحدَّة ذهني، بعلم أخبار البلدان، ومسافة ما بين كل بلبر وبلبر، لأني سافرت حديث السنّ، واتصلت أسفاري ودام تغربي، فكنت متى لقيت رجلاً من تلك البلدان سالته عن بلده عن وطنه ومصره، فإذا ذكر لي محل داره وموضع قراره، سالته عن بلده ذلك، وزرعه ما هو، وساكنيه من هم، من عرب أو عجم... شُرب أهله، حتى أسال عن لباسهم... ودياناتهم، ومقالاتهم، والغالبين عليه والمتراسين فيه)(أ) إلى أوله: (فلم أزل أكتب هذه الأخبار، وأؤلف هذا الكتاب(أ) دهراً طويلاً، وأضيف كل خبر إلى بلده، وكل ما أسمع به من ثقات أهل الأمصار إلى ما نقدمً عدى معرفته)(أ).

. نص مختار من رحلاته.

(بَفْدُاد)

ووإنما ابتدأتُ⁽⁵⁾ بالعراق لأنها وسط الدنيا وسرَّة الأرض، وذكرتُ⁽⁶⁾ بغداد لأنها وسط المراق، والمدينة المُظمى التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها، سعة وكبراً وعمارةً، وكثرة مياه، وصحة هواء، ولأنه سكنها من أصناف الناس، وأهل الأمصار والكور، وانتُقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية، وآثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم، فليس من

⁽¹⁾ المعدر السابق م145.

⁽²⁾ كتاب البلدان، اليعقوبي ص 5وص6.

⁽³⁾ أي كتاب البلدان.

⁽⁴⁾ كتاب البلدان، اليعقوبي ص 5وص6.

⁽⁵⁾ يعني بدا بذكرها في كتابه (البلدان).

⁽⁶⁾ أيضاً في بداية كتابه الآنف الذكر.

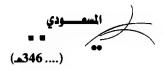
أهل بلد إلا ولهم فيها محلّة ، ومتجر ومتصرّف فاجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا، ثم يجري في حافتيها النهران الأعظمان، دجلة والفرات، فيأتيها التجارات والميربراً وبحراً ، بايسر السمى، حتى تكامل بها كل متجر، يحمل

احد أزقة بغداد القديمة

من المشرق والمفرب، من أرض الإسلام، فإنه يُحمل إليها الإسلام، فإنه يُحمل إليها والصين، والتبت، والترك، والحبشة، والخرّر، والحبشة، وسائر البلدان، حتى يكون وسائر البلدان، حتى يكون التي خرجت التجارات البلدان ويكون من غذلك البلدان ويكون من غذلك البلدان ويكون من خانما سيقت ويكون من كانما سيقت وجمعت فيها ذخائر الدنيا،

وتكاملت بها بركات العالم؛ ⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الصدر السابق ص 7.



علي بن الحسين بن علي المسعودي⁽¹⁾ ... علامة ، مؤرخ ، رحالة أدرك أواخر القرن الثالث الهجري وبدايات القرن الرابع الهجري وترك مؤلفات نفيسة في مجال التاريخ ، وكانت وفاته سنة 346هـ/957م.

. وصف رحلته :

زار الرحالة علي بن الحسين المسعودي (المحيط الهندي وشواطئه في إفريقيا وجزائره الكثيرة، وزار الهند وبلاد الصين وبحر قزوين وآسيا الصفرى والشام ومصر وبلاد المرب. وتختلط في كتاباته مشاهداته بتلك البلدان بمشاهدات غيره من الرحالة والسائحين)(2)

وقد (عُرف علي بن الحسين بن علي المسعودي بتطوافه في المدن والأمصار المختلفة تطلباً للمعرفة. على أن أهم ما قام به رحلتان ، الأولى عام 921م تعرّف في أثنائها إلى مصر وضارس والهند وسرنديب (جزيرة سيلان) ومدغش قر وعمان والثانية عام 926م تعرّف فيها إلى ما وراء آذربيجان وجرجان وإلى الشام وفلسطين وفي سنة 942م اختار له الفسطاط (مصر) مقراً ، فأكب على جمع ما في رحلاته من حقائق تاريخية وجغرافية وأخذ يدون على ضوئها كتبه)(3) و(رحلات المسعودي هي رحلات علمية ابتفاها الرحالة ليدعم بها دراساته في الجغرافيا والتاريخ وفي هذا الشأن قال: وليس من لزم وطنه وقنع

⁽¹⁾ يقول الدكتور عبد الرحمن حميده في كتابه أعلام الجغرافيين العرب ص252: ((ينحدر أبو الحسن علي بن الحسين ، الشهير بالمسعودي ، من أسرة عربية عربية جدها الصحابي الجليل ابن مسعود)) رضي الله عنه .

⁽²⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص50.

⁽³⁾ ادب الرحلة، جورج غريب ص29.

بما نمى إليه إقليمه، كمن قسم عمره على قطع الأقطار، ووزع أيامه على تقاذف الأسفار، لهذا فقد ارتحل يستعلم بدائع الأمم بالمشاهدة، ويعرف خواص أقاليمها بالمعاينة)⁽¹⁾ وجمع أخبار رحلاته في كتابه الشهير: (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، وهو (مولف جامع، فيه تُراث العصر بالنسبة إلى العرب وسائر الأمم، وفيه الاختبارات الشخصية، بالإضافة إلى عنصر الخرافة الذي حفلت به قصصه، فهو إلى جانب كونه كتاباً في التاريخ والجغرافية، سفر في الاجتماع والأدب، أما أسلوبه فواضح متنوع، يقوده الطبع حيناً ويشده الصنيع أحياناً، وكسائر كُتب الرحلات، ليس فيه دائماً حقائق راهنة، فقد يشوبه الاضطراب ويفوته التنقيب العلمي)⁽²⁾.

. نصوص معتارة من رحلته.

(ي بلاد الهند وسرنديب)

ووالهند لا تُملك الملك عليها حتى يبلغ من عُمره أربعين سنة، ولا تكاد ملوكهم تظهر لعوامهم إلا في كل بُرهة من الزمان معلومة، ويكون ظهورها للنظر في أمور الرعية، لأن في نظر الموام عندها إلى ملوكها خرقاً ليبتها، واستخفافاً بحقها، والرياسات عند هولاء لا تجوز إلا بالتغير ووضع الأشياء مواضعها من مراتب السياسة. ورأيت في بلاد سرنديب وهي جزيرة من جزائر البحر . أن الملك من ملوكهم إذا مات صير على عجلة قريبة من الأرض، صغيرة البكرة، مُعدَّة لهذا المعنى، وشعره ينجر على الأرض، وامرأة بيدها مكنسة تحثو الثراب على رأسه وتنادي: «أيها الناس، هذا ملككم بالأمس، قد ملككم وجاز فيكم حُكمه وقد صار أمره إلى ما ترون من ترك الدُنيا، وفيض روحه ملك الموت والحي القديم الذي لا يموت، فلا تغتروا بالحياة بعده،

⁽¹⁾ أدب الرحلات، د/حسين معمد فهيم ص96.

⁽²⁾ أدب الرحلة ، جورج غريب ص35.

وتقول كلاماً هذا معناه من الترهب والتزهيد في هذا العالم، ويطاف به كذلك في جميع شوارع المدينة، ثم يُغصل أربع قطع، وقد هيني، له المئندل(1) والكافور وسائر أنواع الطيوب، فيُحرق بالنار ويُذرُ رماده في الرياح. وكذا فعل أكثر أهل الهند بعلوكهم وخواصهم، لغرض يذكرونه، ونهج يتيممونه في المستقبل من الزمان. والملك مقصور على أهل بيت لا ينتقل عنهم إلى غيرهم وكذلك بيت الوزراء والقُضاة وسائر أهل المراتب لا تغير ولا تبدل. والهند تمنع من شُرب الشراب، ويعنفون شاربه، لا على طريق التدين، ولكن تنزهاً عن أن يوردوا على عقولهم ما يُغشيها، ويُزيلها عما وضعت له فيهم، وإذا صح عندهم عن ملك من ملوكهم شُريه استحق الخلع عن ملكه، إذ كان لا يتأتى له التدبير والسياسة مع الاختلاما(2)، وربما يسمعون السماع والملامي، ولهم ضروب من الآلات مطرية تفعل في الناس أفعالاً مرتبة من ضحك وبكاء، وربما يسقون الجواري فيطرين بحضرتهم فتطرب الرجال لطرب الجواري، (3)

(تجارة العاج)

والفيلة في بلاد الزنج في نهاية الكثرة، وحشية كلها غير مستأنسة والزنج لا تستعمل منها شيئاً في حروب ولا غيرها، بل تقتلها، وذلك أنهم يطرحون لها نوعاً من ورق الشجر ولحائه (أ) وأغصانه يكون بارضهم في الماء، ويختفي رجال الزنج، فترد الفيلة لشريها، فإذا وردت وشريت من ذلك الماء حرقها واستكرها فتقع، ولا مفاصل لقوائمها ولا رُكب، فيخرجون إليها باعظم ما يكون من الحراب، فيقتلونها لأخذ أنيابها، فمن أرضهم تُجهز

⁽¹⁾ يقول جورج غريب: المنقدل شجر طيب الرائحة.

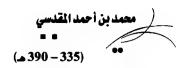
⁽²⁾ يقول جورج غريب: الاختلاط، فساد العقل.

⁽³⁾ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي نقلاً عن أدب الرحلة لجورج غريب ص45.44.

⁽⁴⁾ يقول جورج غريب: اللحاء، قشر الشجر.

أنياب الفيلة ، في كل ناب منها خمسة ومائة مَنْ⁽¹⁾ بل أكثر من ذلك ، فيُجهز الأكثر منه الدن عمان الرفح الأكثر منها من بلاد عُمان إلى أرض الصين والهند ، وذلك أنها تُحمل من الزنج إلى عُمان ، ومن عمان إلى حيث ذكرنا ، ولولا ذلك لكان العاج بأرض الإسلام كثيراً (²⁾.

⁽¹⁾ يقول جورج غريب: المن، ميزان يساوي 180مثقالاً، والمثقال يُساوي نحو درهم ونصف الدرهم. (2) المصدر السابق ص46.



محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي، شمس الدين، أبوعبد الله... علامة، جُفرافي، رحالة.. ولد في بيت المقدس (فلسطين) سنة 946هـ/946م.. (ودُعي البناء بلقب جدّه الذي بنى ميناء عكًا في عهد أحمد بن طولون، وعن جده هذا ورث رهافة الحس في تذوق الجمال المعماري، وبهنا الهوى الموروث كان ينقد الأبنية في الأمصار المختلفة. ولُقب بالمقدسي - بفتح الميم وكسر الدال - نسبة إلى بيت المقدس مولده ومرتع صباه)(1).

و(أمه أعجمية تتنمي إلى أسرة كانت تسكن في قرية «بير» من أعمال قُومس في إقليم الديلم غربي خُراسان، ويبدو أن هذه القرابة أعانته على التنقل بين أرضٍ وأرض، ونقلت إلى لسانه كلام الفُرس، فزار أمصار المجم كلها، وأكرم الناس مثواه، وفتح له إلمامه باللسان الفارسي قُلوب العامة وقصور الأمراء، وأقدره على مقارنة اللفات بعضها ببعض، وعلى تمييز جميلها من قبيحها)(2) وطلب العلم مُنذ صغره وحصل معارف كثيرة، واشتهر ذكره، وتبيحها) (2) وطلب العلم مُنذ صغره وحصل معارف كثيرة، واشتهر ذكره، انشاط جاد في البحث عن الحقيقة، ذكي النظرة، صادق الرأي، حصيف في النشاط جاد في البحث عن الحقيقة، ذكي النظرة، صادق الرأي، حصيف في النقد، لا يتقبل ما لا يتقبله العقل، ولا يومن بالترهات والأخبار الملفقة غير أنه شديد الاعتداد بنفسه، مُفرط في التغني بمزاياه، لا يُقر لمن سبقه بالفضل، ولا يرى بين المؤلفين من يُدرك ما أدرك، أو بين الكتب ما يجمع العلم المخزون في كتابه. ولا مراء في أن غروره يُبعده من قُلوب القراء، لكن القارئ المُنصف يغتضر للرجل كبرياءه حينما يقع في كتابه على كنوز نفيسة، أفنى المقدسي يغتفر للرجل كبرياءه حينما يقع في كتابه على كنوز نفيسة، أفنى المقدسي يغتفر للرجل كبرياءه حينما يقع في كتابه على كنوز نفيسة، أفنى المقدسي يغتفر للرجل كبرياءه حينما يقع في كتابه على كنوز نفيسة، أفنى المقدسي يغتفر للرجل كبرياءه حينما يقع في كتابه على كنوز نفيسة، أفنى المقدسي

⁽¹⁾ مقدمة أحسن التقاسيم للأديب/غازي طليمات ص34.

⁽²⁾ المدر السابق ص34.

شبابه في جمعها وتتسبيقها وصقلها وتقديمها إلى القُراء في أبهى الحلل. المقدسي مؤمن في غير تعصب لمذهب، يتغذ . كما يظهر من مجادلاته الفقهية مذهب أبي حنيفة مذهباً، ويحج ويصوم ويُقيم الخمس مُقيماً أو مسافراً، ويومّ الناس في المساجد، ويُقرىء القرآن، ويُفتي إذا استُفتي، وليس في البلد أعلمُ منه ولكنه لا يُقبل على العبادة إقبال الخاشعين الزاهدين، ولا يفرق في الشهوات غرق الفُساق، وإنما بأخذ نصيبه الحلال من الدُنيا، ويسخر من المتصوفة، وإن لبس لبُوسهم مضطراً. ويحمل على دُعاة النفرقة، ويعجب من افتراق المسلمين فرقاً في الفروع، وهم في الأصول متفقون. أكسبه التمرس بمناقشة القضايا الدينية، والجلوس إلى حلقات التدريس في المساجد جدلاً بمناقشة وميلاً إلى المصاولة الفكرية. فهو لذلك يستمين المنطق وعلم الكلام دقيقاً، وميلاً إلى المصاولة الفكرية. فهو لذلك يستمين المنطق وعلم الكلام

وخُلاصة الرأي في شخصيته أنها متعددة الجوانب، مشحودة الملكات، صقلتها الأسفار، وراضتها التجارب، لكنها ظلت أبيّة قوية، لا تخشع ولا تتواضع)(1).

. يقول الأديب غازي طليمات: (لاتُحدد منزلة المقدسي إلاّ بالمقايسة، ولا يسلم القياس إلاّ إذا قيس بمن سبقه أو عاش في زمانه. وعلى هذا الأساس قارنه الدارسون العرب والأجانب بغيره. فالدكتور أحمد سوسة يعدُه من كبار الجغرافيين المرب. وكراتشوفسكي يُبايمه بإمارة الأدب الجغرافي العربي ويرى أنه وآخر مُمثل للمدرسة الكلاسيكية الإسلامية بالمعنى الدقيق وسبرنجر Sprenger يقول فيه: إنه وأكبر جُغرافي عرفته البشرية قاطبة ويشرح قوله بهذا التوضيح: وولا أعني بذلك أن كتابه في الجغرافيا يفوق المؤلفات الحديثة في هذا الفن إذ يعوزه من أجل ذلك تجربة الأجيال التالية، ولكنه من المُحتمل أنه لم يسبقه شخص في اتساع مجال اسفاره وعُمق ولكنه من المُحتمل أنه لم يسبقه شخص في اتساع مجال اسفاره وعُمق

⁽¹⁾ المصدر السابق، ص 37 -38.

ملاحظاته وإخضاعه المادة التي جمعها لصياغة مُنظمة، ويُقدمه كريمرز Kramers على سواه لأنه «أكثر الجفرافيين أصالفه أما غلاميستر Gildmeister فيُجله غاية الإجلال لأنه «امتاز عن سائر علماء البُلدان بكثرة ملاحظاته وسعة نظره ، ويرفعه آدم متـز إلى ذروة الجغرافيا الإسلامية ولا يُساوي به غير ابن حوقل)(1).

(وهو في رأي بعض المستشرقين أعظم الجفرافيين عند العرب في جميع عصورهم) (2) ..(واخترمته المنية ولما يُجاوز سنته الخامسة والخمسين في خاتمة القرن العاشر الميلادي، وقُبيل نهاية القرن الرابع الهجري سنة 390هـ، 1000م) (3)

. وصف رحلته.

للرحالة الكبير محمد بن أحمد المقدسي كتاب في الجفرافيا أسماه (احسن النقاسيم في معرفة الأقاليم)، وفي نفس الوقت هو كتاب رحلة، وكذلك كانت أغلب كتب الجغرافيا العربية القديمة، ويُعلل ذلك العلامة والأديب/شوقي ضيف بقوله: (وقد يكون غريباً أن تكون للجغرافية رحلات بعينها، ولكن هذا ما حدث فعلاً، فإن القوم أأي العربا لم يعمدوا إلى الكتابة في الجغرافيا بطريق النقل والرواية عن الأخرين أو السابقين، بل كانوا يطوفون بانفسهم في العالم الإسلامي وغيره، ويُقيدون مشاهداتهم وما يقع تحت أبصارهم. فأصبحت كتاباتهم الجغرافية في كثير من صورها رحلات بالمعنى الدقيق، تصور أحوال الناس والعُمران بالعين الباصرة اللاقطة)(4).

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 64 -65.

⁽²⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص 15.

⁽³⁾ مقدمة أحسن التقاسيم للأديب/ غازي طليمات ص 36.

⁽⁴⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص5.

ويقو ل الدكتور/حسين محمد فهيم: (لقد ارتبطت الرحلة بكثير من اعمال التراث العربي في جوانبه المتعددة. ففي مجال الكشف الجفرافي ووصف الأقاليم مثلاً لعبت دوراً كبيراً فيما تضمنته تلك الأعمال من معرفة وبيان أضحيا الآن تُراثاً تفخر به الأمة العربية الإسلامية، ويشيد بقيمته الدارسون والباحثون والأجانب. وتأكيداً لدور الرحلة في التراث الجفرافي العرب والمسلمين، هإن أبا عبدالله محمد بن أحمد المقدسي أحد اقطاب تُراث الجغرافيا العربية في القرن الرابع المجري (العاشر الميلادي)، يؤكد لنا أهمية الجغرافيا العربية في الشهير (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم). يقول المقدسي سجلها في كتابه الشهير (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم). يقول المقدسي

و(ساح المقدسي بين البلاد وهو موفور الشباب، ريّان الرغاب، مشتعل الهمة. وصنف كتابه (أحسن التقاسيم) في سن النضج، فأمن العثار، وتجنب سقطات السابقين . والمؤرخون متفقون على سدّعة البقاع التي زارها، وعلى امتداد الآفاق التي جمع منها معارفه. غير أنهم لا يرسمون مخططاً واضحاً يُبين مبتدأ سفره ومنتهاه .أما زمان الرحلة فقد حددة المقدسي نفسه تحديداً قاطماً في حديثه عن تأليف كتابه، وعن إعلانه. ومن حديثه نستتج أنه أتم طوافه حول العالم الإسلامي، وتخلل أمصاره واقطاره، وهو شابُّ دون الأربعين. ثم أعلن كتابه على الملأ في سنة 375هـ حين بلغ هذه السن الناضجة: «واعلم أني مع هذه الوثائق والشروط لم أظهره حتى بلفت الأربعين، ووطئت جميع مع هذه الوثائق والشروط لم أظهره حتى بلفت الأربعين، ووطئت جميع مع هذه الوثائق والشروط لم أظهره حتى بلفت الأربعين، ووطئت جميع

وقد تكلم في كتابه «أحسن التفاسيم» (عن اختلاف أهل البلدان الإسلامية في كلامهم وأصواتهم والسنتهم والوانهم ومذاهبهم ومكايلهم

⁽¹⁾ أدب الرحلات، د/حسين فهيم ص 95بتصرف.

⁽²⁾ مقدمة كتاب أحسن التقاسيم لفازي طليمات ص 35 -36 بتصرف وزيادة يسيرة.

وأوزانهم ونقودهم وصفة طعامهم وشرابهم وشارهم ومياههم ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم وما يُحمل من عندهم وإليهم .ومعادن السعة والخصب، ومواضع الضيق والجدب، والمشاهد والمراصد والخصائص والرسوم (الصفات والطبائع) والمالك والحدود) (أ) وفي كتابه وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (تختلط الجغرافيا بالأخبار وعجائب الآثار وأحوال الناس والعُمران، وكانت مُخيلة المقدسي من المُخيلات اللاقطة التي تلتقط كل ما تُشاهده وتُعبجله مع التحقيق والتدفيق في الرؤية وما ينقله عن الأفواه والشفاه)(2).

. نصوص مختارة من رحلته.

(العراق ..إقليم الطرف والفان(ا)

وإقليم العراق هذا إقليم الظُرفا، ومنبع العلما، لطيف الما. عجيب الهوا ، ومختار الخُلفا، أخرج أبا حنيفة فقيه الفُقهاء ، وسُفيان سيد القُراء ، ومنه كان أبو عبيدة والفرّا ، وأبو عمرو صاحب المُقرّا ، وحمزة والكسائي، وكل فقيه ومقرى ، وأديب وسريّ ، وحكيم وداه ، وزاهد ونجيب ، وظريف ولبيب به مولد إبراهيم الخليل ، وإليه رحل كل صحابي جليل أليس به البصرة التي قويلت بالدنيا ، وبغداد الممدوحة في الورى والكوفة الجليلة وسامرًا . ونهره من الجنة بلا مرا ، وتمور البصرة فلا تنسى ، ومفاخر كثيرة لا تحصى ، وبحر الصين يمس طرفه الأقصى ، والبادية إلى جانبه كما ترى والفُرات بقريه من الجور حيث جرى غير أنه بيت الفتن والفلا ، وهو في كل يوم إلى ورا ، ومن الجور والضرائب في جهد بلا. مع ثمار قليلة ، وفواحش كثيرة! (، ومؤن ثقيلة . وهذا شكله ومثاله والله أعلم وأحكم) (6).

⁽¹⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص15.

⁽²⁾ المبدر السابق ص 18.

⁽³⁾ احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، معمد بن احمد المقدسي ص114 - 115.

(طبرية)

الهل طبرية شهرين برقصون، وشهرين يُقمقمون، وشهرين بشاقفون، وشهرين بشاقفون، وشهرين عُراة، وشهرين يزمرون، وشهرين يخوضون، يمني: يرقصون من كثرة البراغيث ويلوكون النبق⁽¹⁾، ويطردون الزنابير عن اللحم والفواكه بالمذاب، وعُراة من شدة الحر، ويمصون قصب السكر، ويخوضون الوجل، (2).

(خصاء الخدم⁽³⁾)

والخدم الذين ترى على ثلاثة أنواع: جنس يُحملون إلى مصر، وهم أجود الأجناس. وجنس يُحملون إلى عدن، وهم البربر، وهم شرّ أجناس الخدم. والجنس الثالث على شبه الحبشواما البيض فجنسان: الصقالبة وبلدهم خلف خُوارزم، إلاّ أنهم يُحملون إلى الأندلس فيُخْصون، ثم يخرجون إلى مصر. والروم يقعون إلى الشام وأقور، وقد انقطعوا بخراب الثفور. وسالت جماعة منهم: يُخصون إلى الشام وأقور، وقد انقطعوا بخراب الثفور. وسالت جماعة منهم: كيف يُخصون في فيحملون الي أنّ الروم بسلُون أولادهم، ويحرزونهم على الكنائس، لئلا يُشغلوا بالنساء، وتؤذيهم الشهوة. وكان المسلمون إذا غزوا أغاروا على كنائسهم، وأخرجوا الصبيان منها. وأما الصقالبة فإنهم يحملون إلى مدينة خلف بجالة. أهلها يهود، فيُخصونهم. واختلفوا على هذا: فقال بعضهم: يُمسح القضيب والمزودان، في أعلى العني المنازودان، وتُحرب البيضتان، ثم تُجمل تحت القضيب خشبة، ويقط من أصله. وسالت عُرب الخادم، وكان من أهل العلم والصدق، فقلت: أيها الملم، أخبرني عن أمر الخدم، فإن العُلماء قد اختلفوا فيهم، وأبوحنيفة يجمل لهم فراشاً، ويلحق أمر الخدم، فإن العُلماء قد اختلفوا فيهم، وأبوحنيفة يجمل لهم فراشاً، ويلحقة.

⁽¹⁾ يقول غازي طليمات: النبق كما شرحه المقدسي ثمر على قدر الزعرور فيه نواة كبيرة.

⁽²⁾ احسن التقاسيم ص 150.

⁽³⁾ المنوان من المعدر السابق، تحقيق غازي طليمات.

رحمه الله. وساخبرك بحالهم. اعلم أنهم إذا قُربوا للاختصاء شُق الخصوتان، فأخرجت البيضتان، فريما فزع الصبي، فصعدت إحدى البيضتين إلى جوفه، وطلبت فلم توجد في الوقت، ثم تنزل بعدما النحم الشق. فإن كانت اليُسرى كانت له شهوة ومني، وإن كانت اليُمنى خرجت له لحية، مثل فلان وفلان فأبو حنيفة . رحمه الله . أخذ بقول النبي صلى الله عليه وسلم : «الولد للفراش، وجاز أن يكون من الخدم الذين بقيت بيضتهم. وذكرت قوله لأبي سعيد الجوري بنيسابور قال: قد يجوز هذا ، لأن إحدى بيضتي صغيرة. وكانت لحيته نزراً خفيفة. وإذا خصوهم جعلوا في منفذ البول مِرْود رصاص، يُخرجونه أوقات البول إلى أن يبرؤوا كيلا بلتحم، (أ).

(يا بلاد الديلم)

«كنتُ في بعض الخانات فإذا بصبية تعدو، ورجل شاهر سيفه بعدو خلفها، يروم فتلها. فقلتُ : ما فعلت حتى استوجبت القتل؟ قال: إنها زوجت إلى غيرنا، وقتلُ من فعل ذلك واجب عندناٍ. وإذا كان لهم مأتم كشفوا رؤوسهم عيرنا، وقتلُ من فعل ذلك واجب عندناٍ. وإذا كان لهم مأتم كشفوا رؤوسهم واجتمعوا، وقد التف المعرِّي والمُعزى في الأكسية، وأداروها على رؤوسهم الحاهم. ولهم أسواق على أيام الجمعة في السهل، لكل قرية يوم، فإذا فرغوا انحاز الرجال والنساء إلى معزل يتصارعون فيه، ورجل جالس معه الحبل، كل من غلب عقد له عقدةً فإذا هوى الرجل امرأة راح معها، فيتلقاه أهلها بالبشر والترحيب، ويتباهون به إذا رغب في كرمهم فيضيفونه ثلاثة أيام، ثم ينادي المنادي بعد ما اجتمع معها أسبوعاً في عمارة له بمعزل، فيجتمعون ويختطون. وسألت أبا نابئة الأنصاريّ، قلت: هل يُصيبها قبل العقد؟ قال: لو علموا بذلك قتلوه، (2)

⁽¹⁾ احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن احمد المقدسي ص210 - 211.

⁽²⁾ المصدر السابق ص249 -250.

(عجائب الدنيا)

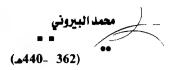
«عجائب الدُنيا ثلاث: منارة الإسنكدرية وقنطرة سنجة (1)، وكنيسة الرها. فلمَّا بُني المسجد الأقصى جُعل بدل الكنيسة، فلمَّا هدمته الزلزلة جُعل موضعه جامع دمشق. وهذه القنطرة على خمسة فراسخ من جبل الجودي، كبيرة شاهقة مُتصلة بالجبل على حجر مخوّخ مركبة، إذا زاد عليها الماء (2)اهترت



منارة الإسكندرية

⁽¹⁾ يقول غازي طليمات : سنجة نهر بديار مضر،

⁽²⁾ احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد المقدسي، تعليق وتقديم/غازي طليمات ص 137.



محمد بن أحمد البيروني..علامة، أديب، فيلسوف، رحالة .يُكنى أبا الريحان، ..(أكبر رحالة فيلسوف عند العرب في القرن الخامس



الهجري، «الحادي عشر الميلادي»)(1) ولد سنة 362هـ و(برز كأكبر شخصية علمية إبان النصف الأول من القرن الخامس الهجري، إلى حد أن أطلق جورج سارتون. وهو مؤرخ تاريخ العلوم الشهير. على النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي اسم عصر البيروني،)(2)، (وهو

فارسي من إقليم خوارزم)⁽³⁾، ورغم فارسيته⁽⁴⁾ إلا أنه (من ذوي العقول المُتفاسسة الكبيرة التي يفخر بها العرب)⁽⁵⁾، (ولقد أجمع الباحثون العرب والمستشرقون على علو شأن البيروني بين الرحالة العرب والمؤرخين المسلمين، وأن منهجه قد تميز على غيره في كثير من الأمور حتى اعتبره البعض منهجاً

⁽¹⁾ الرجلات، د/شوقي ضيف ص 65، ادب الرجلات، د/جنين فهيم ص126 بتصرف.

⁽²⁾ أدب الرحلات، ص 65 -66.

⁽³⁾ الرحلاث، ص 65.

⁽⁴⁾ لم تكن عند البيروني نزعة شعوبية ثجاه العرب كما ادعى بعض المستشرقين ، بل كان على العكس من ذلك تماماً محباً للعرب وللغة العربية التي جعل منها لغة العلم والحضارة ، وازرى على لغته الأم(الفارسية) ورأى أنها ((لا تصلح إلا للأخبار الكسروية والأسمار اللبلية)) وانظر كتاب أبو الريحان البيروني، للدكتور عمر فاروق الطباع والأستاذ عبد المنعم الهاشمي ص58 59.

⁽⁵⁾ المصدر السابق ص69

علميـاً في وصـف ودراسـة الحضـارات الإنسـانية)⁽¹⁾وقـد كانـت وفاتـه سـنة 440هـ، بمد رحلة حياةٍ كانت حافلةً بالعطاء العلمي المنقطع النظير.

. وصف رحلته :

للرحالة البارز محمد البيروني كتاب نفيس في فن الرحلة العلمية أسماه «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» وهو نتاج رحلة علمية قام بها إلى الهند بعيد أن (صحب السلطان مجموداً الفزنوي في فتوجاته المشهورة بالهند، واستقر فيها أربعين عاماً يدرس ويفحص، واستطاع أن يتعلم لفتها القديمة السنسكريتية)⁽²⁾ وكانت علاقة البيروني بالسلطان الفزنوي قوية، وكان الفزنوي يعرف منزلة البيروني العلمية، فلذلك (جاء به من خوارزم إلى غزنه⁽³⁾)، و(انضم البيروني إلى ركب السلطان . المذكور . عند فتحه للهند، وقام برحلات وتجولات بالهند)⁽⁴⁾ وكتابه الآنف الذكر(ليس رحلة بالمنى الذي نُعرفه في كُتب الرحلات، وإنما هو موسوعة لجغرافية الهند وتاريخها ومعارفها في العلوم وخاصة الرياضة والفلك ويتحدث في . رحلته هذه . عن قضائهم وعقوياتهم وكفاراتهم وما عندهم من تأديب وتفريم ومواريثهم وحبرقهم لموتناهم وصبيامهم وأعينادهم وأضراحهم وأينامهم المعظمة وأوقناتهم المسعودة والمنحوسة لاكتساب الثواب ومجامعهم وأنهارهم المُقدسة وما يؤمنون به من أحكام النجوم، وكل ما يسمهم في عاداتهم وطباعهم. وهو يفيض في ذلك إفاضة الفياسوف البصير ، الذي يعرف كيف بُلاحظ وبنقد ، مع دقة التفكير وعُمِعُه)⁽⁵⁾ (ويعد الكتاب وثيقة تاريخية إثنوجرافية)⁽⁶⁾ وكما يقول

⁽¹⁾ المصدر السابق.95

⁽²⁾ الرحلات، ص 65.

⁽³⁾ أدب الرحلات، ص 66 بتصرف.

⁽⁴⁾ المصدر السابق ص 126 بتصرف وزيادة.

⁽⁵⁾ الرحلات، ص 65 -66 بتصرف.

⁽⁶⁾ أدب الرحلات، ص 66.

أحمد الساداتي فإن (البيروني لم يدرس طبيعة هذه البلاد وأحوال سُكانها فحسب، بل درس كذلك لفتها وآدابها في مختلف بيئاتها، ووقف بنفسه على رسومها وتقاليدها. وهو فيما يكتبه عنها يعتمد على ما شاهده بنفسه وسممه باذنيه أكثر مما يعتمد على ما قرأه)(1) بل (إن البيروني قد وضع أساساً منهجياً هاماً تشكلت على أساسه انطلاقة «الدراسات الحقلية الإثنوجرافية» التي أدّت بدورها إلى نقلة كُبرى من الاتجاه النظري التطوري في دراسة الحضارة الإنسانية)(2) (وكان البيروني مُحيطاً إحاطة جيدة بمعارف عصره الأمر الذي انعكس على مادة كتابه عن الهند، وكُتبه الأخرى على حدر سواء)(3)، وكما كان البيروني رحالة ومؤرخاً وفيلسوفاً، فقد كان كذلك علماً الثوجرافياً(4)، ومن واضعي ومؤسسي هذا العلم الذي أصبح له كليات ومناهج خاصة في عصرنا الحاضر، وأصبح من العلوم الهامة لدراسة الحضارات وخصائصها المختلفة.

، نصوس مُختار من رحلته.

(مثمام أهل الهند)(5)

«الإماتة في الأصل معظورة عليهم بالإطلاق، كما هي على النصارى والمانوية (6)، ولكن الناس يقومون (7) إلى اللحم وينبذون فيه وراء ظهورهم كل

⁽¹⁾ المعدر السابق، ص 66.

⁽²⁾ المصدر السابق، ص 66.

⁽³⁾ المصدر السابق، ص 67.

⁽⁴⁾ المصدر السابق، ص 64.

⁽⁵⁾ العنوان للدكتور/حسين فهيم، عن كتابه (ادب الرحلات) ص 149.

⁽⁶⁾ المانوية هم أعوان الملوك من البراهمة، يقول الدكتور عبد الله عبد الفني غائم في كتابه الرواد المسلمون ص207: ((تعاليم مانو نصت على تقديس طبقة رجال الدين من البراهمة وأوجب على الملوك احترامهم وجعلت أملاكهم مقدسة لا يعتدى عليها وهم أعوان الملك في سلطانهم النبواقراطي المستمد من الإله برهماً أما الملك نفسه فهو مقدس بل موله))هم. بتصرف يسير.

⁽⁷⁾ في كتاب الرحلات لشوقي ضيف ص 66 (يقرمون).

أمر ونهير، فنصير ما ذكرناه مخصوصاً بالبراهمة(1) لاختصاصهم بالدين ومنع الدين إياهم عن إتباع الشهوات، كالمثال فيمن هو فوق أساقفة النصاري من مطران وجائليق، وبطرق دون من يسفل عنهم من قس، وشماس إلا من تبرهن منهم زيادة على رتبته، وإذا كان الأمر هذا أبيحت الاماتة بالتخنيق، وإمساك النفس في بمض الحيوان دون بمض، وحرمت الميتة من المباحات إذا ماتت حتف أنفها، فأما المباحات فهي الضأن والمعز والظباء والأرائب و«كندة» القرئي الأنف والراريج (الفراريج) والحمام والطواويس وما لا تعافه النفس مما لم يرد به حظر، والمنصوص على تحريمه البقر والخيل والبغال والأحمرة والأبمرة والفيلة والدجاج الأهلية والفريان والبيغاء والشبارك وبيض جميعها بالاطلاق والخمر إلا لشودر (2)، فإن شُربها مباح له وبيمها محظور عليه كبيع اللحم، وقد قال بعضهم إن البقر كان قبل ببهارت، مباحاً ، ومن القرابين ما فيه فتل البقر إلا أنه حرم بعد بهارث لضعف طباع الناس عن القيام بالواجبات كما جعل البيذه⁽³⁾ وهو في الأصل واحد أربعة أقسام تسهيلاً على الناس، وهذا كلام قليل المحصول فإن تحريم البقر ليس بتخفيف ورخصة، وإنما هو تشديد وتضييق، وسمعت غير هؤلاء يقولون: إن البراهمة كانت تتأذى بأكل لحمان البقر، لأن بلادهم جروم، وبواطن الأبدان فيها باردة والحرارة الغريزية

⁽¹⁾ البراهمة هم رجال الدين وهم حسب النظام الديني للهندوس يأتون في الدرجة الأولى بين طبقات أبناء المجتمع الهندي كما يشير لذلك الدكتور عبد الله غانم والذي يضيف قائلاً: ((وأشرف الطبقات الهندية هي طبقة البراهمة ويزعم البراهم أنهم خلقوا من رأس (براهم) وحيث خلقوا من رأس براهم فهم نقاوة الجنس ولذلك المجتمع الهندي يرى البراهمة على أنهم خير البشر)) عن كتاب (الرواد المسلمون) ص 207.

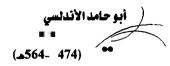
⁽²⁾ الشوادر يأتون في الطبقة الرابعة من طبقات المجتمع الهندي ويطلق عليهم لقب الخدم وانظر الرواد المسلمون ص207 وص 212 0

⁽³⁾ بيذ، كما يقول الدكتور عبد الله غائم: ‹‹ كتاب مقدس عند البنود نسبوا ما جاء به إلى الله تمالى على لسان براهم ويتلوه البراهمة)) عن الرواد السلمون ص 211 مامثن رقم I.

فيها فاترة، والقوة الهاضمة ضعيفة يقوونها بأكل أوراق التنبول عقب الطمام ومضغ الفوظ، فيلهب التنبول بحدته الحرارة وينشف ما عليه من النورة البلة، ويشد الفوفل الأسنان واللثة ويقبض المعدة، ولمّا كان كذلك حظروه للغلظ والبرودة، (1).

. .

⁽¹⁾ ادب الرحلات، د / حسين فهيم ص 149 - 150، الرحلات، د / شوقى ضيف ص66 .



أبو حامد محمد بن عبد الرحيم المازني الأندلسي⁽¹⁾ (أحد الرحالة الأندلسيين، عاش أكثر حياته في القرن السادس الهجوي (474 -564هـ الأندلسيين، عاش أكثر حياته في القرن السادس الهجوي (1080 -1169) وشغف بالرحلة، فطاف بإفريقية الشمالية وصقلية، وزار مصر والشام والعراق، وتحول إلى ناحية البحر الأسود (بحر الخزر) وتوغل في بلاد البلغار على ضفاف نهر الفولجا بلاد الصقالية وإقليم باشغرد الواقع بين البلغار والقسطنطينية)⁽²⁾.

. وصف رحلته :

وكانت نتيجة رحلته إلى البلدان الأنفة الذكر كتاب بعنوان (تُحفة الأصحاب وتُخبة الإعجاب)، (ونشر بعض المستشرقين ما شاهده. أبو حامد. في شرق أوربة، وقد روى كثيراً من الأخبار عن الأقاليم الممتدة شمالي البلغار إلى المحيط المتجمد الشمالي، وهو يُسميها «ويسوا» و«يورا» ويعود أبو حامد من هذه الديار مولياً وجهه نحو الشرق، ويصل إلى إقليم خوارزم)(3) وله كتاب آخر في فن الرحلة بعنوان (المُعرب في عجائب المغرب).

. نصوص مُختارة من رحلته.

(بلاد الصقالية)

«ولما دخلتُ إلى بلاد الصقالبة⁽⁴⁾ خرجت من بلغار وركبت سفينة في نهر

⁽¹⁾ أعلام الجفرافيين العرب، د/ عبدالرحمن حميده ص 299.

⁽²⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص 51.

⁽³⁾ المصدر السابق ص51 وص56.

 ⁽⁴⁾ يقول الدكتور عبد الرحمن حميده في كتابه اعلام الجغرافيين العرب ص 304: (الممقالية عند الجغرافيين العرب تعنى السلاف ويشمل ذلك سكان روسيا ويوغسلافيا وبولندا).

الصقالية وماؤه أسود مثل ماء بحر الظُّلمات (المحيط الأطلسي) كأنه الحير، وهو مع ذلك حلو طيب صاف، ليس فيه سمك، وفيه الحيات السود الكبار، بعضها على بعض، أكثر من السمك، لا تُؤذي أحداً. وفيه حيوان مثل السُنور الصغير، له حلد أسود يُسمى سَمُور الماء تُحمل حلوده إلى بلغار (1)... ولما وصلت إلى بلادهم رأيت بلاداً واسعة ، كثيرة العسيل والحنطبة والشعير والتضاح الكبير.. ويتماملون بينهم بجلود السنجاب القديم الـذي لا شُـمر عليـه... وللصقالية سياسات عظيمة ، إذا تعرض أحد لحارية غيره أو ولده أو دايته أو تعدى بأي شيء من التعدي كان، أُخذ من المُتعدى جُملة من المال، فإن لم يكن له مال بيم أولاده وبناته وزوجته في تلك الجنابة ، فإن لم يكن له أهل ولا أولاد بيع هو ، فلا يزال عبداً يخدم من يكون عنده حتى بموت... وبلادهم أمنة، وإذا عامل المسلم منهم أحداً وأفلس الصقلبي بيع هو وأولاده وداره، وبُعطي لذلك التاجر دينية ، والصقالية شُجعان ، وهم على مذهب الروم في النصرانية، نسطورية.. وحُدَّث عنهم أنهم كلَّ عشر سنين يكثر السحر اعتدهما وتفسد عليهم نساؤهم بالعجائز السحرة، فيأخذون كل عجوز في ولايتهم، فيشدون أيديهن فأرجلهن ويلقونهن في النهر، فكل من رسبت من العجائز في الماء تركوها، وعلموا أنها ليست بساحرة، والتي تطفو على الماء يُحرقونها بالنار ⁽²⁾.

⁽¹⁾ يقـول الـدكتور عبد الـرحمن حميده: (ربما يقصد بالحيـات سمـك الحنكليس النهـري وبالحيوان الماثل للسنور ثملب المـاء وبالفرنسية Loatre ونهـر المسقالية على الفالب هـو نهـر الـدانوب والفالب أنـه كـان يصنف منطقة دلتـا الـدانوب على السـواحل الرومانية) عـن أعـلام الجغرافيين العرب ص 303.

⁽²⁾ تحفة الأصحاب ونخية الإعجاب، أبو حامد الأندلسي، نشلاً عن المصدر السابق ص 55 . 56 وص 54.

(ملڪ با <u>ش</u>فرد)⁽¹⁾

املك باشفرد⁽²⁾ تُسم، كزالي، وملكه أعظم من ملك صاحب الروم أضعافاً مُضاعفة، لا تُحصى جنده، وولايته أكِثر من ولاية الروم عشرين يوماً وأكثر، وهو على مذهب الإفرنج (يُريد أنه مسيحي) لأنه تزوج منهم، ويفزو بلاد الإفرنج ويُسبيهم، وجميع الأمُم يُخافون من شره لكثرة جنده وشدة بأسه... ولما سمم أنني منعت السلمين من شرب الخمر ، وأبحت الجواري وأربعة من الحرائر قال : ((ليس هذا من العقل، لأن الخمر يقوى الجسد، وكثرة النساء تضعف الجميد والبصير، ودين الإسلام لا يكون على وفق العقل)). قبال : فقلت للترجميان ((قبل للملك : شريعة المسلمين ليسب مثبل شريعة النصاري. النصراني يشرب الخمر على الطعام بمنزلة الماء ولا يسحكو، والمسلم الذي يشرب الخمر إنما يطلب منه غاية السكر ، فيذهب عقله ، ويصير كالمجنون : يزني، ويقتل، ويكفر، ولا خير عنده . وقد يعطي سلاحه وفرسه . ويضيع ماليه لج سبيل لذتيه . والمسلمون هنا هنيا جنده، وإذا أميرت الواحد بالفزو لا يكون له فرس ولا سلاح ولا مال، لأنه أهلكه في الشراب. وأما الجواري والنساء فإن المبلمين يوافقهم النكاح لحرارة طباعهم، وأيضاً فهم جنده، فإذا كثر أولادهم كثر جنده . فقال : اسمعوا من هذا الشيخ، فإنه عاقل، وقبال : تزوجوا ما شبئتم ولا تخيالفوه 000 وتيزوج (حاميد) ⁽³⁾ بامرأتين من بنيات المسلمين المحتشمين، ورزق أولاداً، وهيو شيجاع فاضل، كنت اعطيه على كل مسالة يحفظها في حال صفره نصف دانق 000 وفي

 ⁽¹⁾ إقليم باشغرد يقع بين البلغار والقسطنطينية كما يقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه
 (الرحلات).

⁽²⁾الباشفرد كما يقول الدكتور عبد الرحمن حميده: أصولهم من البلغار الذين كان موطنهم الأول حوض نهـر الفولقـا . ومـن بقـي مـنهم هنـاك يمـرف اليـوم باسـم (الباشـكير) عـن أعـالام الجغرافيين العرب صـ 305 الهامش .

⁽³⁾ حامد هو ابن رحالتنا الاندلسي.

باشفرد بقر وحشية (1) كبار أمثال الفيلة، جلد الواحد منها حمل بغلين قويين ورأسه حمل عُجّله، يصطادونه ويُسمى التيتل وهو من أعجب الحيوان، طيب اللحم، سمين، وقرونه كبار طوال مثل أنياب الفيلة) (2).

$^{(3)}$ (اهل ویمنوا ویورا)

وأهل ويسوا ويورا يُمنعون في الصيف من دخول بلاد بلغار⁽⁴⁾، لأنه إذا دخل في تلك الديار منهم واحد في شدة الحر يبرد الهواء والماء مثل الشتاء، وتفسد على الناس زروعهم! وهذا مجرب عندهم! وقد رأيت في بلغار زمان الشتاء جماعة منهم حُمر الألوان زرق العيون، شعورهم مثل الكتان إلى البياض، يلبسون ثياب الكتان في ذلك البرد، ويكون على بعضهم فراء من جلود القندز الجياد. وشعر ذلك القندز إلى الخارج مقلوباً، ويشربون ماء الشعير الحامض مثل الخلّ، فيوافقهم لحرارة مزاجهم، لأكلهم لحم القندز والسنجاب والعسل» (5).



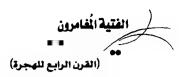
⁽¹⁾ يقول الدكتور عبد الرحمن حميدة : ((وهو البقر الوحشي المنقرض والذي يُدعى أوروك والذي يعائل البقر الوحشي المسمى بيزون في أمريكا الشمالية)) عن كتاب أعلام الجفرافيين العدب من 306.

⁽²⁾المبير السابق ص55 - 56

⁽³⁾ لِمُ كتابه (الرحلات) ص56، يحدد الدكتور شوقي ضيف مكان (ويسوا ويورا) فيقول: إنها أقاليم ممتدة شمالي البلغار إلى المحيط المتجمد الشمالي.

⁽⁴⁾ حكاية منع أهل ويسوا ويورا من دخول البلغار وتطير البلغاريون بهم، يعلق عليها الدكتور شوقي ضهف قائلاً: (إن ملكة النقد للأخبار عند أبو حامد الاندلسي لم تكن واسعة). وانظر من 56 من كتاب الرحلات للدكتور/شوقي ضيف. ولا يمنع أن البلغار كانوا يتطيرون بهؤلاء القوم، لكن ما لا يُصدقه عاقل أن دخول واحد من هؤلاء الأقوام إلى البلغار يُغير الأجواء!

⁽⁵⁾ المصدر السابق ص 54



الفِتية المُعامرون، كانوا ثمانية من الشباب، اتفقوا على قطع رحلة بحرية في بحر الظُّلمات (المحيط الأطلسي)، ولم يُكتب لرحلتهم النجاح، وعُرفوا في القرن الرابع الهجري بالفتية المُفررين، ولهم قصة طريفة وشهيرة تكشف عن عشق العرب الأزلى (للسفر والرحلة) واكتشاف المحهول، يرويها إنيا الأستاذ الدكتورشوقي ضيف فيقول: ((أما المحيط الأطلسي فإن المرب لم يلجَّجوا فيه، إذ كان بعيداً عنهم، ومع ذلك يُظن أن عرب الأندلس اقتحموا هذا المُحيط، وإن كانوا لم يتغلغلوا فيه، بل إنه يوجد بين الباحثين من يظن أنهم وصلوا إلى أمريكا قبل كولوميوس⁽¹⁾.. وليس بين أبدينا ما بدل دلالة قاطعة على أن الأندلسيين قاموا بذلك فعلاً ، على أنهم إن كانوا لم يقوموا به فإنهم هم الذين هيئوا له، إذ قاموا برحلات مختلفة على الساحل الإفريقي الفربي، وربما عرضوا جزائر أزورا وماديرا وكناري. وأمامنا من رحلاتهم في هذا المحيط الذي كانوا يُسمونه بحر الظلمات رحلة رواها الإدريسي في كتابه ونزهة المشتاق، إذ روى أنه لا يزال معروفاً إلى عصره في أشبونة (لشبونة) رحلة فتية غرروا بأنفسهم، فركبوا البحر المُظلم، وظلوا فيه أشهراً، ثم عادوا، وكان ذلك في القرن الرابع للهجرة (العاشر الميلادي) وكان لا يزال باسمهم إلى وقته دُرب في مدينتهم سُمي باسمهم، وهم ثمانية رجال كانوا أبناء

⁽¹⁾ يقول الدكتور عبد الرحمن حميده: ((اتجهت بعض الأبحاث العلمية الحديثة إلى القول بأن السلمين عرفوا أمريكا قبل كولومب وأشار أصحاب هذه النظرية إلى وجود كلمات عربية في المسلمين عرفوا أمريكا، وإلى أن كولومب وجد في رحلته الثانية زنوجاً وزهباً أفريقياً في جزر الهند الغربية وأن مدنية بعض الجماعات الهندية في أمريكا تشبه المدنية الإسلامية إلى حد كبير)) عن كتابه أعلام الجغرافيين العرب ص233.

عمومه، أعدُوا مركباً كسراً، وزودوه بالماء والمتاع، ثم دخلوا البحر مع هيوب الرياح الشرقية، وأجروا فيه مركبهم نحو أحد عشر يوماً، ولم يلبثوا ان انتهوا إلى بحر مجهول غليظ الموج كدر الروائع كثير الربوش (الأعشاب) والضباب، فأيقنوا بالتلف، وسارعوا إلى تغيير وجهتهم، فداروا إلى الجنوب، وظلوا كذلك أثنى عشر يوماً ، حتى وقعوا إلى حزيرة كثيرة الفنم ، فرسوا عليها ونزلوا بها، ووجدوا بعض أشجار التين، ومياهها جارية، فاطمأنوا إلى المكان، وأخذوا شاة فذبحوها وأعدوها لطمامهم، ولكنهم لم يستطيعوا أكلها لمرارة لحمها، فعادوا إلى سفينتهم، وأقلعوا إلى الجنوب، وساروا التَّي عشر يوماً فتراءت لهم جزيرة فيها عمارة وحرث، فنزلوا بها، ولم يلبثوا أن رأوا رجالاً يحيطون بهم، أجبروهم على التسليم، وحملوهم معهم إلى مدينة رأوا بها رجالاً شُقراً ، شعورهم سُبطة ، وهم طوال القدود لنسائهم جمال عجيب، واعتقلوهم في دار ، ظلوا بها ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع دخل عليهم رجل يتكلم بلسائهم العربي، فسألهم عن حالهم، وغايتهم، ومن أين جاءوا. فأخبروه بقصتهم، فطمأنهم ووعدهم خيراً، وقال لهم إنه تُرجِمان الملك وفي اليوم التالي أُخذوا إلى حضرة هذا الملك، وسئلوا عن وجهتهم، فقالوا إنهم خرجوا في البحر لرؤية عجائبه وخوارقه، وليقفوا على نهايته. وضحك الملك حين سمع منهم ذلك، وقال لترجمانه: أخبرهم أن أبي أمر طائفة من عبيده أن يسيروا في البحر، ويُحاولوا أن يعرفوا شبيًّا عما في داخله، وأنهم ساروا فيه شهراً، ثم عادوا بخُفي حنين، وقال الملك لترجمانه سكن جاشهم، وعِدهم خيراً. ثم أخذ بهم إلى معقلهم، فظلوا فيه إلى أن، نشطت البريح الفربية، فأخرجوهم في زورق بعد أن عصبوا أعينهم، وجروا بهم في البحر ثلاثة أيام، وأخيراً القوا بهم إلى شاطىء أرض لم يكونوا بعرفونها ، وتركوهم مُكتفين، يبكون مصيرهم وبينما هم في صنك وسوء الحال إذ سمعوا ضوضاء وجلبة أناس، فصاحوا بأجمعهم، وسمعهم القوم، فأقبلوا عليهم، فوجدوهم على هذه الحال السيئة، فحلوا عنهم وثاقهم، وسألوهم عن شانهم، فأخبروهم قصنهم، وكانوا من البريس، فاعلموهم أن بينهم وبين بلدهم مسيرة شهرين، وبعد أهوال ومخاطرات وصلوا إلى بلدهم، فأطلق عليهم الناس اسم الفتية المفرّرين، يقصدون أنه غُرّر بهم في مجازفات ومفامرات غير مجدية. والمظنون أنهم وصلوا إلى بعض الجزائس في المحيط الأطلسي، ولعلهم وصلوا إلى جزائس أزورا وكناري، وقد دُفعوا إلى إفريقية، حيث التقوا بطائفة من البريس، ثم عادوا إلى ديارهم بعد أن ذاقوا وبال رحلتهم في بحسر الظلمات، بحسر الألفاز والطلاسم.)(1)

⁽¹⁾ الرحلات، د/شوقی ضیف، ص44.42.



أسامه بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري أرحالة شهير، و(احد ابطال المعارك الصليبية، كان أديباً شاعراً، عاش في القرن السادس للهجرة (الثاني عشر الميلادي) وعُمر طويلاً (488 - 1095/188 - 1095/188 من قلعة شيزر شمائي الشام وكان آباؤه أمراء هذه القلعة، وكان يُنازلهم الصليبيون ولهم معهم وقائع كثيرة، وجُلّى أسامه في غير موقعة). و (عاش اسامة شهماً فارساً، وزها مجاهداً مقاتلاً شجاعاً، ولمع أديباً وشاعراً، وتلهى صياداً، وقضى الكثير من سني حياته جواباً . نشأ على ضفاف العاصي، وصرف معظم شبابه في البلاط النوري بدمشق، وفي قصر الخليفة الفاطمي بالقاهرة، وغالب سني كهولته في الديار الأتابكية بلوصل وفي حصن كيفى على نهر دجلة)

. ومنف رحلته:

نزل أسامه بن مُنقذ (مصر، وأقام فيها مدة في أشاء الحُكم الفاطمي، وطاف ببلاد العرب والجزيزة، وكانت عنده موهبة قصصية، وكان دقيق الملاحظة، فسجل الحوادث التي عاش فيها بمسقط رأسه، ويمصر، وقص كثيراً عن الصليبين، وكانوا يُجلونه، واتخذ منهم غير صديق)(1) (ولا سيما الفرسان منهم في حين السلم وقاد عدة حملات على الصليبيين في فلسطين في حلل الحرب).

وترك أسامه بن مُنقذ كتاباً في الرحلة اسماه (الاعتبار)، و(هو المسرح الذي اختاره لتسجيل مُذكراته، وفي قصر الباب الأول فيه على حروبه

⁽¹⁾ المندر النبايق، ص 56 -57.

وأسفاره إلى دمشق ومصر ومشاهداته للصليبين في دياره أشاء الحرب وفي السلم، وهنا وهناك ينثر طرائف ما شاهده بنفسه في حروبهم، وكيف كان أهل الشام يذودون عن وطنهم بالنفس والنفيس. ومن أطرف ما في الكتاب حديثه عن طبائع الإفرنج وأخلاقهم، وهو يُصور ذلك في قالب قصصي يُوضح لنا فيه تأخرهم الثقافي وأنه لم يكن عندهم شيء من الفكر أو الفلسفة يقتبسها العرب عنهم، وسخر من طُرقهم في القضاء، وما يعتمدون عليه في يقتبسها العرب عنهم، وسخر من طُرقهم في القضاء، وما يعتمدون عليه في محاكماتهم من المبارزة، ولاحظ على رجالهم نقص الغيرة على نسائهم)(1).

وي كتابه (الاعتبار) أعطانا الفارس والرحالة أسامه بن مُنقذ (صورة واضحة عن حياة الصليبيين حين استقروا في الشام وكونوا بها مستعمراتهم التي ازالهم عنها فيما بعد صلاح الدين وخلفاؤه من الأيوبيين والماليك)⁽²⁾.

، نصوس مُعْتارة من رحلته .

(عجالب طب الإفرنج)

دومن عجيب طبهم أن صاحب المنيطرة (بلدة في شمالي لبنان) كتب إلى عمي يطلب منه إنفاذ طبيب يُداوي مرضى من أصحابه، فأرسل إليه طبيباً نصرانياً يُقال له ثابت، فما غاب عشرة أيام حتى عاد، فقلنا له: ما أسرع ما داويت المرضى قال: أحضروا عندي فارساً قد طلعت في رجله دُمُلة وامرأة قد لحقها نشاف (لعله جفاف اللبن في الرضاعة)(3) فعملت للفارس لُبيعة، ففتحت الدملة وصلحت، وحميت المرأة ورطبت مزاجها، فجاءهم طبيب إفرنجي، فقال لهم: هذا ما يعرف شيء يداويهم (وقال للفارس: أيما أحب إليك، تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين قال: أعيش برجل واحدة، قال: أحضروا لي

⁽¹⁾ السابق ص 57.

⁽²⁾ المدر السابق ص 59 -60.

⁽³⁾الصدر السابق ص 57.

فارساً قوياً وفاساً قاطعاً، فحضر الفارس والفاس، وانا حاضر، فحط ساقه على قطعة خشب كبيرة، وقال للفارس: اضرب رجله بالفاس ضربة واحدة، تقطعها، فضربه، وأنا أراه، ضربة واحدة، فما انقطعت، وضربه ضربة ثانية، فسال مغ الصاق، ومات من ساعته، وأبصر المرأة، فقال: هذه امرأة في رأسها شيطان، احلقوا شعرها، فحلقوه، وعادت تأكل من مأكلهم: الشوم والخردل، فزاد بها النشاف. فقال: الشيطان قد دخل في رأسها، فأخذ الموسى وشق في رأسها صليباً، وسلخ وسطه حتى ظهر العظم وحكّه بالملح، فماتت في وقتها، فقلت لهم: بقى لكم إلى حاجة؟ قالوا: لاا)(ا).

(نساء الإفرنج)

«كل من هو قريب المهد بالبلاد الإفرنجية أجفى أخلاقاً من الذين قد تبلدوا (سكنوا البلاد)⁽²⁾ وعاشروا المسلمين. وليس عندهم شيء من النخوة والمنيرة يكون الرجل منهم بمشي هو وامرأته يلقاه رجل آخر، فياخذ المرأة ويمتزل بها، ويتحدث معها والزوج واقف بناحية ينتظر فراغها من الحديث، فإذا طوّلت عليه خلاها مع المتحدث ومضى. ودخلتُ في الحمام بمدينة صور، فجلست في خلوة فيها، فقال لي بعض غلماني: في الحمام معنا امرأة. فلما جلست على المصاطب، وإذا التي كانت في الحمام قد خرجت، وهي مُقابلي قد لبست ثبابها، وهي واقفة مع أبيها، ولم أتحقق أنها امرأة، فقلت لواحد من أصحابي: بالله أبصر هذه امرأة هي؟ فالتفت إلي أبوها، وقال: هذه ابنتي ماتت أمها، ومالها من يفسل رأسها، فأدخلتها معي الحمام وغسلت رأسها، فقلت: جيدُ ما عملتَ، هذا لك فيه ثواب، (3).

⁽¹⁾ الاعتبار، أسامة بن مُنقذ نقلاً عن المصدر السابق ص 57 -58.

⁽²⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص 58.

⁽³⁾ الاعتبار، أسامة بن مُنقذ نقلاً عن المصدر السابق ص 58.

(سباق العجالز)

الوحضرتُ بطبرية في عيد من أعيادهم. أي الإفرنج. وقد خرج الفُرسان يلعبون بالرماح، وخرجت معهم عجوزان فانيتان أوقفوهما في رأس الميدان، وتركوا في رأسه الآخر خنزيراً سَمطوه وطرحوه على صغرة. وسابقوا بين العجوزين، ومع كل واحدة منهما سرية (طائفة) أن من الخيالة بشدون منها، والعجوزان تقومان وتقعان على كل خطوة، وهم يضحكون، حتى سبقت واحدة منهما، فأخذت ذلك الخنزير في سبقها، (2).

(الانتحار حفاظاً على الشرف)

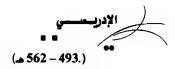
دكان في جُند الجمع رجل حكردي، يُقال له أبو الجيش، له بنت اسمها رفول، قد سباها الإفرنج، وهو قد توسوس عليها يقول لكل من لقيه يوماً: سُبِيتْ رفول! فخرجنا من الفد نسير على النهر، فراينا في جانب الماء سواداً، فقلنا ليعض الفلمان: اسبح وأبصر ما هذا السواد. فمضى إليه، فإذا ذلك السواد رفول عليها ثوب أزرق، وقد رمت نفسها من فوق فرس الإفرنجي الذي أخذها، ففرقت، وعلق ثوبها في شجرة صفصاف، فسكنت لوعة أبيها أبي الجيش،(3).



⁽¹⁾ الرحلات، د/شوقي شيف ص58.

⁽²⁾ الاعتبار، أسامة بن مُنقذ نقلاً عن المصدر السابق ص 58 -59.

⁽³⁾ المعدر السابق ص 60.



محمد بن محمد الإدريسي أبو عبدالله ..رحالة وجفرافي شهير (ولد في سبته سنة 493هـ/1099م، وتعلم في قُرطبة. ومن بيت بني حمود الذين تملكوا بعض بلدان الأندلس في القرن الحادي عشر)⁽¹⁾ (وتنتسب نسبته إلى الادارسة الذين طالبوا بأحقيتهم بالخلافة في مطلع القرن الهجري الثاني) وكانت وفاته سنة 552هـ/1166م.

. صفة رحلته،

ارتحل الإدريسي إلى (الأندلس والمغرب ومصر والشام وآسيا الصغرى، وانتهى به المطاف إلى صقلية، وكان قد احتلها النورمان وأزالوا منها حُكم المسلمين، إلا أنهم عاملوهم بالحسنى، واشتهر بدلك أميرهم روجّر الثاني الذي كان يُعجب بالمرب وما أتقنوا من علوم ومعارف. واتصل الإدريسي بهذا الأمير فاعُجب كل منهما بصاحبه، وقد عرف فيه روجّر قدرته البارعة على رسم الخرائط ومهارته في علم الجغرافية، فلطب إليه أن يُزلف فيها كتاباً له، فلم يهجم على التاليف مُباشرة، بل أنفذ طائفة من الرحالة إلى بُلدان متفرقة ليأتوه بالمعلومات، فكتبوا له تقارير بما شاهدوه، أضافها إلى ما شاهده بنفسه في البلدان، وجمع أكثر ما كتب في هذا العلم، واتخذ من كل ذلك مادة لتأليف كتابه الذي سماه دُرْهة المشتاق في اختراق الآفاق، كما يُسمى باسم كتاب روجر لأنه ألف من أجله، وقد نُقل إلى اللانينية موجز له في القرن السادس عشر. ومُنذ هذا التاريخ يهتم بهذا الكتاب المستشرقون، إذ برون في السادس عشر. ومُنذ هذا التاريخ يهتم بهذا الكتاب المستشرقون، إذ برون في الفادة والمعرابون، العرب وأكبر جغرافيهم على الإطلاق. ولم يُنشر الكتاب مؤلفه داسطرابون، العرب وأكبر جغرافيهم على الإطلاق. ولم يُنشر الكتاب

⁽¹⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص58.

إلى اليوم، إنما نشرت قطع منه، وفي دار الكتب المصرية منه نسخة مخطوطة. وزرد الإدريسي كتابه بإحدى وسبعين مصوراً، ولذلك يُعد أعظم مصنفات العصور الوسطى في الجغرافية، وهو يتبع الطريقة العربية، طريقة العرض الجغرافية القائم على المشاهدة، وتفصيل أحوال الأمم والسكان، وبيان ما بكل بلدة من عجائب البنيان والآثار. ولا يقف بكتابه عند وصف العالم الإسلامي، بل يضم إليه وصفاً دقيقاً للعالم المسيحي في أوربة، مُفيداً من الرحالة الذين وضعهم روجر تحت إمرته، وقد أوفدهم إلى بلدان أوربة المختلفة، ونقلوا إليه كثيراً من المعلومات عن فرنسا وإيطاليا وألمانيا وأواسط أوربة وشرقها. وانتهى الإدريسي من تاليف هذا الكتاب سنة 548هـ/153 أوربة وثوفي روجر وخلفه غليوم الأول (1154هـ166 م) وألف له كتاباً آخر في الجغرافية سماه دروض الأنس ونرهة النفس، أو كتاب دالمسالك والمالك» (أأ.

والإدريسي وإن كان من (أكبر جُغرافيي بلاد المفرب والأندلس) فإنه في نفس الوقت من أكابر الرحالة العرب، ذلك لأن علوم الجُغرافيا في القديم كانت مُعتمدة على الرحلة وعلى مشاهدات الجغرافيين للبلدان والأصقاع المختلفة التي يزورونها .يقول د/حسين محمد فهيم: (.وفي إطار الحديث عن الرحلة والثراث الجغرافي، فلا يسعنا إلا أن نذكر أيضاً الأندلسي أبا عبدالله محمد بن محمد الإدريسي، صاحب كتاب (نُزهة المشتاق في اختراق الأفاق). فقد أمدته رحلاته المتعددة في أجزاء من أوروبا، وأقاليم عديدة من البلدان الإسلامية بنبع فياض من المعرفة الجغرافية زادها قيمة حسه الجغرافي ووصفه الجيد، ومهارته في صناعة وإعداد الخرائط. إن كُرته الفضية التي نقش عليها الأقاليم السبعة، وألحقها برسم عشر خرائط جيدة لكل قسم من هذه الأقسام قد تُوجت أعماله جميعها فاضحت نتاجاً فريداً في زمانه، الأمر الذي

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 19 -21.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 19.

الإطلاق)⁽¹⁾.

. نص مختار من رحلته .

(مدينة طُليطلة)



مدينة طليطانة من طلبيرة شرقاً، وهي مدينة عظيمة القطر، كثيرة البشر، حصنة الذات، لها أسوار حسنة، ولها قصبة فيها حصانة ومنعة وهي أزلية من بناء العمالقة. وقليلاً ما

رُثي مثلها إتقاناً وشماخة بنيان وهي عالية الذرى، حسنة البقعة زاكية الرقعة وهي على ضفة النهر الكبير المُسمى تاجُه، ولها قنطرة من عجيب البنيان، وهي قوس واحدة، والماء يدخل تحت ذلك القوس كله بعنف وشدة جري. ومع آخر القنطرة ناعورة، ارتفاعها في الجو تسعون ذراعاً، وهي تُصعد الماء إلى أعلى القنطرة والماء يجري على ظهرها، فيدخل المدينة. ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم دار مملكتهم وموضع قصدهم، ووجد أهل الإسلام فيها عند افتتاح الأندلس ذخائر كادت تفوق الوصف كثرة، فمنها أنه وُجد بها سبعون تاجاً من الذهب مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة، ووجد بها ألف سيف مجوهر ملكي، ووجد بها من الدر والياقوت أكيال وأوساق (حمول) ووجد بها مائدة اليوم في مدينة بها مائدة اليوم في مدينة سئيمان بن داود وكانت فيما يُذكر من زمردة، وهذه المائدة اليوم في مدينة

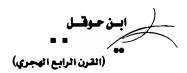
⁽¹⁾ أدب الرحلات، د/حسين محمد فهيم ص 95 -96.

رومة اولمدينة طليطلة بساتين مُحدقة بها، وأنهار جارية مخترقة، ودواليب دائرة وجنات يانعة وفواكه عديمة المثال، لا يُحيط بها تكييف ولا تحصيل، ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة وفلاع منيعة تكنفها، (1).



خريطة الإدريسي

⁽¹⁾ نُرْمة النُّسْتاق في اختراق الأفاق، محمد بن محمد الإدريسي، نقالاً عن المصدر السابق ص.20 - 21.



أبو القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي، الشهير بـ (ابن حوقل) ... جغرافي كبير، رحالة (نشأ في بغداد، وقرأ ما سبقه وعاصره من كُتب جغرافية، وشغف بهذا العلم، فصمم على أن يضع فيه كتاباً لا يأخذه من أفواه الناس ولا مما قرأه، وإنما يأخذه عن عينه ومشاهداته في العالم الإسلامي، فطاف بهذا العالم ثلاثين سنة) (1) . وعده الدارسون على رأس قائمة (جُغرافيي القرن الرابع الهجري «العاشر الميلادي») (2).

. وصف رحلته:

بعد طواف الرحالة والجغرابية ابن حوقل العالم الإسلامي لمدة ثلاثين سنة وضع كتابه «المسائك والممالك» (وتصادف أن تشيع، وكانت مصر يحكمها الفاطميون، فتحول داعياً لهم، واتجه بكتابه «المسائك والمائك» هذه الوجهة السياسية. ويتضم ذلك في حديثه عن البلاد التي كان يهم الفاطميين أن يستولوا عليها مثل الأندلس وصفليه)⁽³⁾.

وشنع ابن حوقل في كتابه (المسالك والمالك) على الأنداسيين ورماهم (بالضعف في الحرب ونقص استعدادهم فيها ليزين للفاطميين فتح هذه البلاد. ولا يهمنا ذلك الآن، إنما تهمنا طريقته في الوصف الجغرافي، فهو يقف ليعطينا معلومات طريقة عن البلدان وهي معلومات رحالة يصف ما يشاهده وصفاً دقيقاً، ينقل إلينا فيه البلدة التي يصفها بكل ما فيها من أبنية وأسواق

⁽¹⁾ الرحلات، د/شوقی ضیف ص 12.

⁽²⁾ المندر السابق ص 12.

⁽³⁾ المصدر السابق من 12 -13.

وحمامات ومساجد ومطاعم وملابس وعادات)⁽¹⁾.

وكتابه (المسالك والممالك) (ليس كتاب سرد جغرافية، وإنما هو رحلة كبيرة في المالم الإسلامي، رحلة جغرافية بديمة) (2) وقد رفعه (إلى سيف الدولة الحمداني في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي) (3) التماساً لرعاية (سلطة سياسية وحمايتها) (4) وفي كتابه هذا (لا يصف سوى الممالك العريقة حضارة وتنظيماً سياسياً مثل الصين والهند وإيران وبلاد الروم، .ويظل شاغله الرئيسي ومحور اهتمامه وبلاد الإسلامة وبخلاف ابن بطوطة آثر ابن حوقل عدم الخوض في الحديث عن البلدان الإفريقية باستثناء النوبة والحبشة) (5) لأنه يعتبرها بلداناً لا تمتلك حضارة.

وقد كانت لابن حوقل (ميول سياسية مُتسمة بتعاطف مع آراء فرقة المعتزلة)⁽⁶⁾ (وقضى ردحاً من الزمن في فُرطبة إبان عصرها الأموي الزاهر، وأثناء حُكم أمين المؤمنين عبدالرحمن الثالث (912 -961م) اإلا أنها وهو المشرقي المولد، لكانا يُطلق أحكاماً سلبية حول الأمويين في الأندلس...)⁽⁷⁾.

ورغم أن ابن حوقل (يدم أهل الأندلس العرب والمسلمين) (8) إلا أنه (يعود فيكيل المديح لفنى بلادهم وتقدمها وازدهار مُدنها وتطورها. وهكذا فإن المقياس لم يكن دائماً الانتماء إلى الإسلام أو الإزدهار العمراني. ونجد أن العامل السياسي لمب دوراً أساسياً في اطلاق الأحكام على الشموب والأمم

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 14 -15.

⁽²⁾ الرحلة المربية الحديثة، د/يومنم الشويري، ص 13.

⁽³⁾ المسدر السابق ص 13.

⁽⁴⁾ المصدر السابق ص 13.

⁽⁵⁾ المصدر السابق ص 13.

⁽⁶⁾ المعدر المانق ص 13.

⁽⁷⁾ المصدر السابق ص 14 وما بين معكوفين من عندي للتوضيح.

⁽⁸⁾ المصدر السابق ص 14.

ويعتقد البعض أن ابن حوقل مثلاً كان عميلاً للفاطميين في القاهرة أو العباسيين في القاهرة أو العباسيين في بغداد (1)، وهذا ما دفعه إلى تصوير الانحطاط المعنوي والثقافي للأندلس وذلك بُنية إغراء أسياده بسهولة فتحها)(2).

. نصوص مختارة من رحلته .

(الأندلس)

الأندلس جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر، وطولها دون الشهر في عرض ونيف وعشرين مرحلة، ويغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر، والرخص والسعة في الأحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر إلى أسباب التملك الفاشية في أكثرهم، ولما هم به من رغد العيش وسعته وكثرته، يملك ذلك أهل مهنهم وأرباب صنائعهم، لقلة مؤنهم وصلاح بلادهم، ويسار ملكهم وقلة شغله وسقوط تكلفه بشيء يحذره وحال يخافه، إذ لا خوف عليه ولا رقبة لأحم من أهل جزيرته، مع عظم مرافقه وجباياته ووفور خزائنه وأمواله. ومما يعدل بالقليل منه على كثيره أن سكة دار ضريه على الدنائير والدراهم ضريبتها في كل سنة مائتا ألف دينار ..هذا إلى صدقات البلد وجباياته ضريبتها في كل سنة مائتا ألف دينار ..هذا إلى صدقات البلد وجباياته

⁽¹⁾ يقدول الدكتورعبدالرحمن حميده: ((أن اتعسال ابن حوقيل بالقياطميين دعيا بعيض المستشرقين، مثل دوزي البولندي، إلى اتهامه بالتجسمي لحسابهم في الاندلس، لأن هولاء كانوا في البداية يتطلعون يقول الدكتورعبدالرحمن حميده: ((أن اتعسال ابن حوقل بالفاطميين دعا بعض المستشرقين، مثل دوزي البولندي، إلى اتهامه بالتجسيس لحسابهم في الاندلس، لأن هولاء كانوا في البداية يتطلعون يقول الدكتورعبدالرحمن حميده: ((أن اتعسال ابن حوقل بالفاطميين دعا بعض المستشرقين، مثل دوزي البولندي، إلى اتهامه بالتجسيس لحسابهم في الاندلس، لأن هولاء كانوا في البداية يتطلعون إلى الاستيلاء على تلك البلاد، ولعلهم كانوا يمهدون لذلك بجمع المعلومات الضرورية عن تلك الأصفاع)) عن اعلام الجغرافيين المرب ص 174 ...، ومع ذلك تظل تهمة ابن حوقل بالعمالة والتجسيس لصالح الفاطميين في مصر أو المباسيين في بغداد مجرد رأي ليمض الباحثين لا يستند للأدلة متنعة، لكن الذي لا خلاف عليه أن ابن حوقل كان ينظر للاندلسيين نظرة استعلاء وازدراء وجردهم من الشجاعة والإقداء.

⁽²⁾ المسدر السابق ص 14 -15.

وخراجاته وأعشاره وضماناته ومراصده والأموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة والجوالي والرسوم على بيوع الأسواق. ومن أعاجيب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم وبعدهم عن البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الأنداد والأبطال؛ (1)

(فُرطية)

واعظم مدينة بالأندلس قرطبة، وليس بجميع المفرب عندي لها شبه في المشرة أهل وسعة رقعة وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادة .. وهي مدينة حصينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة ... ولها



بابان مُشرعان في نضب السور إلى الطريق المطريق في نفس السور إلى الطريق الآخذ على الوادي من الرصافة ، والرصافة مساكن أعالي البلد، مُتصلة بأسافله من ربّضه ، مُشتبكة أبنيتها مُحيطة بها مُستديرة عليها من شرقها وشمالها

وغربها... والأسواق والخانات والحمامات ومساكن العامة بريضها، ومسجد جامعها جليل والحبس منه قريب. وقرطبة هذة بائنة بنفسها عن مساكن أرباضها ظاهرة، ودُرتُ بها في غير يوم في قدر ساعة...وليس لها نظير بالمغرب فخامة حال وسعة تملك وابتذال لجيد الثياب والكُسى وفراهة الكراع (الخيل) وكثرة الحلى، وإن لم يكن لها في عيون كثير من الناس حُسن بارع، فليس لجيوشهم حالاوة في المين ولا علم بآيين (هوانين) الفروسية وقوانينها ولا بالشجاعة وطرقها، وأكثر ظفر جيوشهم في القتال بالكيد، ومما يدل على ذلك أني لم أر قط بها أحداً أجرى على فرس فاره أو برذون

⁽¹⁾ المبالك والممالك، ابن حوقل نفلاً عن كتاب الرحلات للدكتور شوقي ضيف ص 13

هجين ورجلاء في الركب، ولا يستطيعون ذلك ولا بلغني عن أحدهم، وكل ذلك لخوفهم من السقوط، إلى فشل فيهم عند لقائهم....(1).

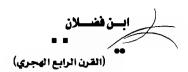
(ي بلرم .عاصمة صقلية)

«أكثر مياه لهذا البلد من الآبار، وهي تقيلة غير مُروية، وإنما صرفهم إلى شربها رغبة عن شُرب الماء الجاري العذب (الذي يجري حول بلدتهم)، قلةً مروءاتهم وكثرة أكلهم البصل وفساد حواسهم لكثرة تغذيهم بالنبىء منه ،وما فيهم من لا يأكله في كل يوم ...وفيها أزيد من ثلاثمائة معلم يُؤدَبون الصبيان. وهم (أهل بلرم) يرون أنهم أفضلهم وأجلهم، وأنهم أهل الله وهم شهودهم وأمناؤهم، هذا على ما اشتهر عن المعلمين من نقص عقولهم ...وإنما لجأوا إلى هذه الصناعة هرباً عن الجهاد ونُكولاً عن الحرب....(2).



⁽¹⁾ المصدر السابق ص13 -14.

⁽²⁾ المصدر السابق ص14 - 15. وما بين ممكوفين من عندي للتوضيح



أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى ابن سليمان رسول المقتدر بالله وفاتح مصر ثم صار مولى للخليفة المقتدر بالله (11) علامة ، فقيه ، أديب ، رحاله .ولد في أواخر القرن الثالث للهجرة (ولسنا نعرف من سيرته شيئاً كثيراً. ومن تحليل رحلته يظهر لنا أن الرجل كان على ثقافة دينية وأدب رفيع ، وأسلوب جميل ، وورع وخلق وحب لنشر الإسلام وصدق في الحديث ، وعفة في الحال)(2) ، وتظهر رحلته أنه (كان شاباً وسيماً مغامراً بدليل ما فعلته معه زوجة ابن قارن نديم الخليفة وجليسه. كما تكشف رحلته أنه كان متعلماً بدليل إختياره قراءة رسالة الخليفة المقتدر على ملك الصقالبة والإشراف على الفقهاء والمعلمين كما ذكر هو نفسه أنه من أقرياء الخليفة)(3)

. وصف رحلته.

أرسله الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة 309هـ على رأس بعثة علمية إلى بلاد البلغار، لتعليم أهلها الإسلام ..(وكثيراً ما كانت الأقاليم الجديدة االتي تدخل في الإسلام) تطلب بعثات دينية من بغداد، تُعلم الناس فروض الإسلام وما شرعه الله لمصلتحهم في دُنياهم وآخرتهم) (4) وبعثة ابن فضلان (من أقدم هذه البعثات التي طلبها ملك البلغار من الخليفة المقتدر، وكان كثير من الباغار قد دخلوا في الإسلام، وكانوا يُقيمون حينئز في حوض نهر الفولجا، أو

⁽¹⁾ الرواد المسلمون د/عبدالله عبدالغني غائم الجزء الأول ص 224.

⁽²⁾ اعلام الجغرافيين العرب د/عبدالرحمن حميده ص 199 بتصرف وزيادة يسيرة.

⁽³⁾ الرواد المسلمون د/عبدالله عبدالفني غائم الجزء الأول ص 225 بتصرف وزيادة يسيرة.

⁽⁴⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص49 وما بين ممكوفين مني للتوضيع.

كما يُسميه العرب نهر أتلا) (1). وكان مبتدا خروج ابن فضلان مع الوقد المرافق لله (من بغداد يوم الخميس 1 اصغر 309هـ / 21 حزيران 921م ووصلت إلى بلغار في 18 معرم عام 310ه / 12 أيار 922م. وظل الوقد يصعد شرقاً وشمالاً ماراً بإقليم الجبال فهمذان، فالري، قرب طهران اليوم، ونيسابور ومرو، وساروا مع نهر جيحون (آموداريا) فبلغوا بخارى حيث النقى ابن فضلان في أيلول من عام 921م بوزير السامانيين والعالم الجغرافي الشهير بالجيهاني ثم تابعت البعثة طريقها إلى خوارزم عند بحر آرال وعبرت هضبة أوست أورت ثم نهر يايق (ايمبا) فوصلت إلى حوض الفولغا، واستغرقت الرحلة أحد عشر شهراً في الذهاب، لاقى الوقد خلالها مصاعب جمة وأهوالاً مذهلة، وصفها ابن فضلان وصفاً جميلاً بارعاً يضعه في الصف الأول من الرحالة الأدباء) (2)



من معالم بلغاريا

(وقام «ابن فضالان» بمهمته خير قيام، ثم عاد بعد مُدة إلى بغداد، فوضع كتاباً في وصف رحلته إلى القوم، والم إلماماً دقيقاً باحوالهم من وعاداتهم وبكل ما بديارهم من مظاهر الحضارة والمُمران،ولم يصف شعب البلغار وحده، بل وعرض لكثير من أحوالهم التي وعرض لكثير من أحوالهم التي تناخرهم، ووقف

⁽¹⁾ المندر السابق، ص49 يتصرف.

⁽²⁾ أعلام الحفرافيين العرب د/عبدالرحمن حميده ص200.

طويلاً عند وصف حَرقهم لموتاهم، واحتفالاتهم لحرق رؤسائهم، وما يصنعون في ذلك من رسوم غريبة وهذه الرحلة هي رمز لرحلات العرب في أوربة)⁽¹⁾.

وقد نالت رحلة ابن فضلان شُهرة واسعة (وليس هناك. في حدود علمنا. من رحلة مماثلة في شُهرتها التاريخية وأهميتها الإنتوجرافية لما قام به ابن فضلان عام 309هـ إلى بلاد الترك والخزر والصقالية)(2).

ولم يتحدث ابن فضلان في رحلته (عن تفاصيل مهمته ونتائجها إلا أنه ترك صورة واضحة للبلغار وحضارتهم وعاداتهم وتجاراتهم)⁽³⁾ وإلى جانب تعليم المسلمين البلغار أمور دينهم فقد بنى لهم ابن فضلان مسجداً، تتفيذاً لرغبة ملكهم.

. نصوص مختارة من رحلته .

(الروس)

درأيت الروسية وقد وافوا بتجاراتهم، فنزلوا على نهر أتلا، ولم أر أتم أبداناً منهم، كانهم النخل، شقر حُمر، لا يلبسون القراطق (القُمصان) ولا الخفاتين (ضرب من الثياب) ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على أحد شقيه، ويُخرج إحدى يديه منه، ومع كل واحد فأس وسكين وسيف ...وكل امرأة منهم على ثديها حق مشدود من حديد أو من نحاس أو من فضة أو من ذهب على قدر حال زوجها)

(فی ترکستان)

واقمنا بالجرجانية أياماً، وجمد نهر جيحون من أوله إلى آخره وكان

⁽¹⁾ المصدر السابق، ص 49 -50 بتصرف.

⁽²⁾ أدب الرحلات، د/حسين محمد فهيم، ص 200 - 201.

⁽³⁾ المعدر السابق، من 216.

⁽⁴⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص50.

سبك الجمد سبعة عشر شبراً وكانت الخيل والبغال والحمير والمجل تجتاز عليه كما تجتاز على الطريق، وهو ثابت لا يتخلخل، فأقام على ذلك ثلاثة أشهر. فرأينا بلداً ما ظننا إلا أن بابا من الزمهرير قد فُتح علينا منه، ولا يسقط فيه الثلج إلا ومعه ربح عاصف شديدة. وإذا أتحف الرجل من أهله صاحبه. وأراد بره قال له (تعال إلي حتى نتحدث فإن عندي نار طيبة) هذا إذا بالغ في بره وصلته. إلا أن الله تعالى قد لطف بهم في الحطب وأرخصه عليهم: حمل عجلة من حطب الطاغ بدرهمين من دراهمهم تكون زهاء ثلاثة آلاف رطل. ورسم سؤالهم أن لا يقف السائل على الباب، بل يدخل إلى دار الواحد منهم فيقعد ساعة عند ناره يصطلي، ثم يقول (بكند) يعني الخبز، فإن اعطوه شيئاً أخذ وإلا خرج.

وتطاول مقامنا بالجرجانية وذلك أنا أقمنا بها أياماً من رجب وشعبان وشهر رمضان وشوال وكان طول مقامنا من جهة البرد وشدته. ولقد بلغني أن رجلين ساقا اثني عشر جملاً ليحملا عليها حطباً من بعضر الغياض فنسيا أن ياخذامعهما قداحة وحراقة وأنهما باتا بغير نار، فأصبحا والجمال موتى لشدة البرد. ولقد رأيت لهواء بردها بأن السوق بها والشوارع لتخلو حتى يطوف الإنسان أكثر الشوارع والأسواق، فلا يجد أحداً ولا يستقبله إنسان. ولقد كنت أخرج من الحمام، فإذا دخلت إلى البيت نظرت إلى لحيتي وهي قطعة واحدة من الثلج حتى حكنت أدنيها إلى النار)(أ).

. . .

⁽¹⁾ اعلام الجغرافيين العرب د/عبدالرحمن حميده ص 201 -203 تعليق: هذا المقطع كما يقول الدكتورعبدالرحمن حميده من نبذة جاءت في رحلة ابن فضلان (عن قساوة الطقس الذي لاقاه أثناء اجتيازه بلاد التركستان في فصل الشناه، ولا عجب فالمناخ الأرالي من أقسى المناخات القارية) عن المسدر السابق ص 201 بزيادة يسيرة.



(القرن الخامس الهجري)

أبو الحسن علي بن أبي بكر⁽¹⁾ بن علي الهروي الموصلي .رحالة عُرف بلقب السائح، عاش في القرن الخامس الهجري وتُوفِ في بداية القرن السادس الهجري وبالتحديد سنة 611هـ/1214م. (وإذا كانت نسبته تدل أن أصل أسرته من هرات فقد ولد بالموصل وارتبطت حياته بالشطر الغربي من العالم الإسلامي وقد قضى معظم حياته في التجوال حتى لقب بالسائح)⁽²⁾.

. وصف رحلته:

(وهو ممن طاقوا بالعالم الإسلامي وقد زار القسطنطينية وصقلية وغيرها من جزائر بحر الروم، وعُني بتدوين تطوافه، ولكن من جهة خاصة، هي ما شاهده من المساجد والأبنية والعمارات والأصنام والآثار والطلسمات، وألف في ذلك كتاباً سماه «الإشارات إلى معرفة الزيارات». وربما اطلع على كتاب عبداللطيف البغدادي عن مصر فإنه تابعه في وصف آثارها ومعابدها وقبور فراعنتها وقال إنه دخل الهرم، غير أنه يختلف عن البغدادي في أنه لم يكن عالماً ناقداً ولا فيلسوفاً بصيراً، فملاً كتابه بالأساطير والخرافات) (أ) وذكر صاحب كتاب وإعجام الأعلام، أن (السائح الهروي طاف البلاد، وأكثر الزيارات، وكاد يطبق الأرض بالدوران، فلم يترك براً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً إلا قصده، حتى ضُرب به المثل فقيل في وصف سائل ملح

أوراق كديت ه في بيت كل فتى على اتفاق ممان واختلاف روى

⁽¹⁾ يقول د/عبدالرحمن حميده في كتابه أعلام الجفرافيين العرب ص 390: وقيل أبي طالب

⁽²⁾ أعلام الجغرافيين العرب ص 390

⁽³⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص 67.

قد طبق الأرض من سهلٍ ومن جبل كأنه خط ذاك السائح الهروي⁽¹⁾ تُويِخ سنة 611هـ بحلب ونسبته إلى هراة وهي بلد بخراسان)⁽²⁾.

. نس مختار من رحلته.

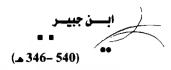
الأهرامات

((الأهرام من عجائب الدنيا وليس على وجه الأرض شرقيها وغربيها عمارة أعجب منها ولا أعظم ولا أرفع ورأيت بديار مصر أهراما كثيرة منها خمسة كبار والباقي صغار فأما الكبار فائتان عند الجيزة واثنان عند قرية يقال لها دهشور وهرم عند قرية يقال لها ميدوم. وقد اختلفت أقاويل الناس فيها وفي من بناها وما أريد بها فمنهم من قال ((أنها قبور الملوك)) ومنهم من قال ((إنما عملوها خوفاً من الطوفان)). وهي مربعة على هذا المثال كل وجه الأرض تزيد على أربعمائة ذراع وارتفاعها في الجو يقارب أربعمائة بذراع العظم وينتهي رأس الهرم إلى مقدار ثمانية أذرع. وقيل أن المأمون فتح هرماً منها وهو أحد الهرمين اللذين عند الجيزة فوجدوا داخله بثراً مربعة في تربيعها أيواب يفضى كل باب منها إلى بيت فيه موتى بأكفائهم، وقيل أنهم دخلوا في رأس هذا الهرم بيتاً فيه حوض من الصخر على مثال القبر وفيه كالآدمي من الدهنج وفي وسطه إنسان عليه درع من ذهب مرصع بالجوهر وعلى صدره سيف لا قيمة له وعند رأسه حجر ياقوت كالبيضة ضوءه كالنار. ودخلت إلى هذا البرم وصعدت إليه ورأيت هذا الحوض وأصبح ما قيل إنما عملوها خوفاً من الطوفان وكنزوا فيها أموالم ورقموا عليها علومهم فلم ينفعهم من ذلك شيء واندرست آثارهم وذهبت أموالهم وبقيت أخبارهم))(3).

⁽¹⁾ يقول ابن خلكان متكلماً عن الهروي : ((لم يصل إلى موضع إلا كتب خطه في حائطه)) وهذان البيتان من الشعر قالهما جعفر بن شمس الخلافة في شخص يستجدي من الناس بأوراقه. عن اعلام الجغرافيين العرب ص 390.

⁽²⁾ إعجام الأعلام، معمود مصطفى ص122.

⁽³⁾ أعلام الجغرافيين العرب، د/عبدالرحمن حميده ص 393.



محمد بن أحمد بن جُبير الكنائي الأندلسي.. شاعر، أديب، رحاله ..(ولد ببلنسية سنة 540هـ/1455م وعني أبوه بتربيته، فندرس العلوم الدينية



واللغوية، ولم يلبث أن تيقظت فيه مواهبه الأدبية، فأخذ في قرض الشعر ...وأصل أسرته من بلدة شاطبة) (1) ويُكنى بأبي الحسن .. وبعد أن (لمع اسمه، ألحقه حاكم غرناطة أبو عثمان سعيد بن عبدالمؤمن بُكتّاب ديوانه، وخَفتً على نفسه، فكان يُحضره مجلس شرابه، وكان ينقبض عن

الشُرب، فألح عليه الحاكم أن يشرب معه، وأقسم عليه ليشر بنَّ سبعاً، وجاراه، فشرب سبع كؤوس، وسُرّ الأمير، وملاً له الكاس بالدنانير سبع مرات، وصبَّها في حجره، فأصرَّ في نفسه أن يُكفر عن سيئته، وأن ينفق هذه الدنانير في الحج إلى بيت الله، ولم يلبث أن أعلن عزمه لأبي عثمان، وأنه حلف بأيمان لا محيص له من البرّ بها، فأعانه على ما ابتغاه)(2) وكانت هذه الحادثة وراء قيامه برحلته المشهورة إلى المشرق.

⁽¹⁾ الرحلان، د/شوقي ضيف ص70.

⁽²⁾ المصدر السابق.

. وصف رحلته .

(قامت شهرة ابن جبير على كتابه الذي عُرف باسمه رحلة ابن جبير، إذ أنه جاء ثمرة لرحلات ثلاث قام بها، أهمها رحلة استفرقت أكثر من ثلاث سنوات وقد بدأها في يوم الأثنين في الناسع عشر من شهر شوال سنة 578هـ. وختمها في يوم الخميس في الثاني والعشرين من شهر محرم سنة 581هـ. وقد جاء هذا الكتاب حافلاً بالمشاهد والتجارب التي اكتسبها أثناء تجواله في عجائب البليدان والمحن، ورؤيته لفرائب المشاهد، واطلاعيه على الشيؤون والأحوال السياسية والاجتماعية والأخلاقية التي كانت سائدة في تلك الحقبات من الزمن)(1) وابتدأ مسار رحلته من (غرباطه في 8 من شوال(2) سنة 578هـ/3فبراير سنة 183م، وركب البحر في سفينة لبعض أهل جنوة قاصداً إلى الإسكندرية ونـزل بها، وولى وجهـه إلى القـاهـرة ومنهـا إلى قـوص بصميد مصر، فميذاب حيث اجتاز البحر إلى جدة. واتجه من فوره إلى مكة، فادى فريضة الحج، وزار المدينة، وظل في هذه البلاد المقدسة نحو سنة أشهر، ثم قصد إلى الكوفة ، فبقداد فالموصل ولم يمر مروراً عابراً بهذه البلاد ، بل كان يمكث بمض الوقت يحرس ويفحص. وانتقبل إلى الشام، وكان للصليبيين فيها مستممرات كثيرة، فجاس خلال ديارهم، وأخيراً ركب البعر من عكا عائداً إلى بالاده على مركب مسيحى، وألمت المركب بصقاية، فنزل فيها وطاف ببلادها، ثم رحل إلى بلاده ووصل إليها في 15 من المحرم سنة 581هـ/25 من أبريل سنة 1185م .ورجل ابن جبير إلى المشرق بعد هذه الرحلة مرتين، فإنه سمع بفتح صلاح الدين لبيت المقدس واستيلائه عليه من

⁽¹⁾ رحلة ابن جبير، مقدمة لجنة تحقيق التُراث بدار ومكتبة الهلال البيروتية ص5 بتصرف.

⁽²⁾ لجنة الثراث الأنفة النكر حددت ابتداء رحلة ابن جبير في اليوم التاسع عشر من شوال، والأديب شوقي ضيف حدد اليوم في ثمانية شوال وكلاهما على صواب، ذلك لأن ضيف اعتبر بداية رحلة ابن جبير من غرناطه حين خرج منها في 8 شوال، وأما اللجنة فاعتبرت خروجه من جين إلى إلى المسار رحلته.

أيدي الصليبيين، فعدنته نفسه أن يزور هذه الأماكن وعلّمُ الإسلام والعرب يرفرف عليها، ولم يلبث أن رحل رحلته الثانية في سنة 585هـ/189 م وعاد إلى بلاده في سنة 587هـ/199 م. ومانت زوجه فحزن عليها حُزناً شديداً، وقد خصها بديوان شعره، ولم يجد عزاء إلا أن يُحج إلى بيت الله، فرحل رحلته الثالثة في سنة 614هـ/1217م وأقام بمكة مُدة، ثم تحول عنها إلى الإسكندرية، وأقام بها يُحدث ويؤخذ عنه إلى أن لبى نداء ربه)(1) وكانت وفاته سنة 614هـ/1217م.

، نصوص معتارة من رحلته .

(مستشفى للمجانين)

ومما شاهدناه أيضاً من مفاخر هذا السلطان. يعني صلاح الدين الأيوبي المارستان الذي بمدينة القاهرة. وهو قصر من القصور الرائقة حُسناً واتساعاً أبرزه لهذه الفضيلة تأجراً واحتساباً وعين قيماً من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الأشرية واقامتها على اختلاف أنواعها. ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى، وبين يدي ذلك القيم خدمة بتكفلون بتفقد أحوال المرضى بكرة وعشية، فيقابلون من الأغذية والأشرية بما يليق بهم، وبإزاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضى ولهن أيضاً من يكفلهن. ويتصل بالموضعين المذكورين موضع آخر متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد اتُخذت محابس موضع آخر متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد اتُخذت محابس والسلطان يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال ويؤكد في الاعتناء بها والشابرة عليها غاية التأكيد، وبمصر مارستان آخر على مثل ذلك الرسم وبعيهه.

الرحلات، د/شوقي ضيف ص70 -71 و ص94.

⁽²⁾ المعدر السابق.

⁽³⁾ رحلة ابن جبير، اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك ص 24.

(نصاری جبل لبنان)(۱)

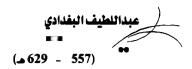
ومن العجب أن النصارى المجاورين لجبل لبنان إذا رأوا به بعض المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم القوت وأحسنوا إليهم، ويقولون: هؤلاء ممن انقطع إلى الله . عزوجل . فتجب مشاركتهم وهذا الجبل من أخصب جبال الدُنيا ، فيه أنواع الفواكه ، وفيه المياه المطردة والظلال الوارفة ، وقلما يخلو من التبتيل والزهادة وإذا كانت معاملة النصارى لضد ملتهم هذه المعاملة فما ظنك بالمسلمين بعضهم مع بعض المياها .



جبل لبنان

⁽¹⁾ العثوان لاين جُنير.

⁽²⁾ رحلة ابن جبير، اعتبار الناسك في ذكر الأثار الكريمة (المناسك ص24).



عبداللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، موفق الدين، (والمعروف باسم ابن اللباد وبابن نقطه والمطجن) (أ) ...علامة ، مؤرخ ، لغوي ، أديب ، طبيب ، فيلسوف ، رحالة ...(ولد في بغداد في دار جده بدرب الفالوذج) (2) سنة 55 هـ ... ترجم له الدكتور شوقي ضيف فقال : (عبداللطيف البغدادي عالم بغدادي كبيركان واسع الثقافة ، درس الفلسفة والطب وعلوم الدين واللغة ، وترك مؤلفات كثيرة في كل فن ، وطاف بالشام ومصر) (أأ) وكانت وفاته في بغداد (يوم الأحد ثاني عشر المحرم سنة تسع وعشرين وستماثة ، ودفن بالوردية عند أبيه) (4).

. وصف رحلته :

زار الرحالة عبداللطيف البغدادي مصر وخراسان ودمشق والحجاز وحلب وبلاد الروم وارزنجان وارزن وديار آل كماخ ودبركي وملطيه وفلسطين، وأهم رحلاته هي التي قام بها إلى مصر أواخر القرن السادس الهجري، وجمعها في كتاب بعنوان: (الإفادة والإعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المهاينة بأرض مصر) وهذا (الكتاب طرفة من طرف الرحلات)⁽⁵⁾ (ويقدم لنا وصف شاهد عيان عن مصر وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية ووصف حالتها العُمرانية وآثارها ومعالمها وطيورها ونباتاتها، ثم يصف لنا المجاعة الحاصلة

⁽¹⁾ مقدمة كتاب رحلة البقدادي، آحمد سبانو ص 5 -6.

⁽²⁾ المصدر السابق.

⁽³⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص 60.

⁽⁴⁾ مقدمة كتاب رحلة البفدادي، أحمد سيانو ص 5-6.

⁽⁵⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص60.

آثارها ونتائجها)⁽¹⁾ والـتي ضريت مصر أواخير القين السيادس الهجري، والرحالة البغدادي (كان ناقداً بصيراً، وعالماً فيلسوفاً، فلم يصف ما شاهده فقط بل درسه ومحصّه)⁽²⁾.

. نصوس مُختارة من رحلته.

(وصف مصر)

وإن أرض مصر من البلاد العجيبة الآثار الغريبة الأخبار، وهبي واله يكتفه جبلان شرقي وغربي والشرقي أعظمها، يبتدئان من أسوان ويتقاربان باسنا حتى يكادا يتماسان، ثم ينفرجان قليلاً قليلاً وكلما امتدا طولا انفرجا عرضاً، حتى إذا آزيا الفسطاط كان بينهما مسافة يوم هما دونه ثم يتباعدا أكثر من ذلك، والنيل ينساب بينهما ويتشعب بأسافل الأرض وجميع شعبه تصب في البحر المالح، وهذا النيل له خاصتان الأولى بعد مرماه فإنا لا نعلم في المعمورة نهراً أبعد مسافة منه، لأن مبادئه عيون من جبل القمر، والخاصة الثانية أنه يزيد عند نضوب سائر الأنهار ونشيش المياه. (أ).

(آثار مصر)

دأما ما يوجد بمصر من الآثار القديمة فشيء لم أر ولم الآثار القديمة فشيء لم أر ولم اسمع بمثله في غيرها، فمن ذلك الأهبرام وقد أكثر الناس من ذكرها ووصفها ومساحتها وهي كثيرة العدد جداً وكُلها في الجيزة وعلى سمت مصر



⁽¹⁾ مقدمة رحلة البغدادي (الإفادة والأعتبار)، أحمد غسان سبانو ص8.

⁽²⁾ الرحلات، د/شوڤي ضيف ص60 -61

⁽³⁾ رحلة البغدادي، الإفادة والإعتبار ص 15 -16 بتصرف.

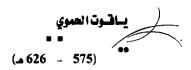
القديمة وثمتد في نحو مسافة يومين وفي بوصير منها شيء كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها مدرج واحترها حجارة وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملس وقد كان منها بالجيزة عدد كثير لكنها صغار فهدمت في زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب على يدى قراقوش، (١).

(ابنية المبريين)

اوأما أبنيتهم ففيها هندسة بارعة وترتيب في الفاية حتى أنهم قلمًا يتركون غضلاً خالياً عن مصلحة ودورهم فيح وغالب سُكناهم في الأعالي ويجعلون منافذ منازلهم تلقاء الشمال والرياح الطيبة، (2).

(1) المندر السابق من 44.

⁽²⁾ المعدر المنابق من 68.



شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (1) .رحالة ، جُغرافي ، الديب. (ولد في بلاد الروم ، أي اليونان ، عام 575هـ ولكن لا يُعرف أي شيء عن أسرته أو بلده أو أصوله ، سوى أنه أسر صغيراً وحُمل إلى بغداد فابتاعه فيها تاجر حموي مُقيم في بغداد اسمه عسكر ، وسُمي بياقوت ، وهو من الأسماء الشائعة التي تُطلق على الرقيق ، ونظراً لأن أباه الرومي كان غير معروف فقد جعلوه عبداً من عبيدالله ، وصار اسمه بالتالي ياقوت بن عبدالله الرومي ، والحقوا به «الحموي» نسبة إلى مولاه ، لا لأنه ولد بحماه (2) و(نال ياقوت تعليماً جيداً ، وعني سيده بتثقيفه لينتفع به ككاتب لأعماله التجارية واصطحبه في أسفاره التجارية تارة ، وأرسله بمفرده أطواراً أخرى)(3) وكانت وفاته سنة 626هـ.

. وصنف رحلته .

كان للرحلات التجارية التي قطعها (ياقوت) مع سيده (عسكر) في صغره، عظيم الأثر في توجهه لعلوم الجغرافيا وأدب الرحلات وقد (كان غُلاماً حين كان يتردد إلى جزيرة كيش في المحيط الهندي وإلى عمان في الجزيرة العربية ثم كان يعود إلى الشام إبان تألقها ببني آيوب)(4).

⁽¹⁾ دمشق الشام عِيِّ تُصوص الرحالين والجغرافيين، آحمد الإيبش ود/فتهية الشهابي الجـزء الأول ص. 359.

⁽²⁾ أعلام الجفرافيين العرب، د/عبدالرحمن حميده ص 363.

⁽³⁾ المصدر السابق ص359.

⁽⁴⁾ المصدر السابق ص359.

..(وكان لهذه الأسفار أبعد الأثر في نفس الفتى ياقوت، مما طبع في نفسه حُب الترحال وأدى إلى توسيم أفقه الجفرافي)⁽¹⁾.

ملا (كانت سنة 596هـ، وكان ياقوت في الحادية والعشرين من عمره)(2) جرى بينه وبين مولاه خلاف (فاعتقه وابعده، ثم عاد بينهما حيل الود حتى وفاة عسكر عام 606هـ. ومنذ ذباك الحين استقر باقوت ببغداد واحترف بها مهنة استساخ الكتب وتجارتها، وقادته هذه المهنة إلى الاطلاع على موارد الثقافة الإسلامية ومعرفة العلماء والأعيان، غير أنه ما لبث أن عاد بدءاً من عام 609هـ إلى حياة الأسفار والرجلات دون أن يتخلى عن مهنته الحديدة. فجال في إيران وبلاد المرب وآسيا الصفري ومصر والشام وبلاد ما وراء النهر. وبدأ ياقوت تجواله ماراً بتبريز والموصل في طريقه إلى الشام ومصر، ثم بعد عدة سنوات عاد إلى دمشق في عام 613هـ ثم غادرها إلى حلب فإربل ثم أرمية فتبريز ومنها إلى إيران الشرقية وأمضى عامن بنيسابور حيث علق قلبه حب فتاة من أهلها، ثم غادرها إلى هرات وسرخس وخراسان وخوارزم إلى أن بلغ مرو، فأمضى بها عامين متنقلاً بين مكتباتها الشهيرة، ولم يلبث أن قرر الاستقرار بها نهائياً، وخاصة أن فكرة وضع معجمه الشهير قد غلبت على تفكيره هنياك عيام 615هم)(3) ولم يُدون يناقوت أخبيار رحلاته في كتياب مستقل، بل بثها في كتابه الموسوعي مُعجم البليدان كما يبذكر ذلك الدارسون المختصون (4). (وقد تققل في كثير من البلاد وجمع مشاهداته ومن الكتب السابقة له مادة وفيرة، جعلت كتابه أغنى كتب البلدان معارف وأخباراً، وكان ناقداً مُتثبتاً، فلم يفتح في كتابه باب الخُرافة والأساطير على

⁽¹⁾ المعدر السابق ص 359 -360.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 360.

⁽³⁾ المصدر السابق ص 360.

⁽⁴⁾ المصدر السابق ص 361.

مصراعيه كما صنع القزويني)⁽¹⁾.

وإلى جانب كتابه الموسوعي (مُعجم البلدان) (ترك لنا ياقوت كتاباً آخر لا يقل كثيراً بالشهرة الأهمية عن مُعجمه وهو «ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب الله يعرف أيضاً باسم «معجم الأدباء» ومن مؤلفاته أيضاً: «المشترك وضعاً وانفترق صقعاً» و«المقتضب من كتاب جمهرة النسب» و«المبدأ والمآل» في التاريح وكتاب «الدول» و«أخبار المتبي» و«معجم الشعراء»)(2).

. نص محتار من رحلاته.

(عُسقُلان)

الإقليم الثالث من جهة المغرب خمس وخمسون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون الإقليم الثالث من جهة المغرب خمس وخمسون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وهو اسم أعجمي فيما علمت وقد ذكر بعضهم أن العسقلان أعلا الرأس فإن كانت عربية فمعناه أنها في أعلا الشام .وهي مدينة بالشام من أعصال فلسطن

المجدل - عسقلان

على ساحل البحر بسبن غـزة وبيـت جبرين ويُقال لها عسروس الشسام وكـنلك يُقال لدمشـق أيضاً وقد نزلها جماعة مـن الصـحابة

⁽¹⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص 26.

⁽²⁾ دمشق الشام، أحمد الإيبش ود/فتيبة الشهابي الجزء الأول بنصرف يسير ص 663 -664

والتابعين وحدث بها خلق كثير ولم تزل عامرة حتى استولى عليها الإفرنج خذلهم الله في سابع عشر جمادي الآخرة سنة 548 وبقيت في أيديهم خمساً وثلاثين سنة إلى أن استنقذها صلاح الدين يوسف بن أيوب منهم في سنة 583 ثم قوي الإفرنج وفتحوا عكا وساروا نحو عسقلان فخشي أن يتم عليها ما تم على عكا فخربها في شعبان سنة 587 (11).

معجم البلدان، ياقوت الحموي ج 6 ص174 -175.



المراكشي ...رحالة مجهول لم يقف الباحثون . بعد - على ترجمة تفصيلية لحياته ، أو معلومات تكشف الغامض من حياة هذا الرحالة ، وكل الذي يعرف عنه أنه عاش في القرن السادس الهجري ، وزار مكة والمدينة ومصر و السودان وبلاد المغرب ... وبالنسبة الأصله فيرجح الدكتور سعد زغلول عبدالحميد أن أصله قد يكون مغربياً وذلك حين يقول : (هذا وتدل التفصيلات التي يمدنا بها عن مكناسة وفاس ومراكش على معلوماته الغزيرة عن هذه المدن ، فلا شك أنه عاش فيها إن لم يكن أصله منها)(1).

. وصف رحلته .

ترك هذا الرحالة المراكشي - المجهول - كتاباً في الرحلة بعنوان: (الاستبصار في عجائب الأمصار) ومن خلال (النظرة السريعة إلى كتاب الاستبصار تبين أن موضعه بين كتب المكتبة الجغرافية العربية)⁽²⁾، إلا أنه يُمكن اعتبار هذا الكتاب من كتب الرحلات، ذلك لأن الرحالة المراكشي سجل إلى جانب - معلوماته عن هذه البلدان التي زارها - مشاهداته فيها بكل دقة (3).

يقول الدكتور شوقي ضيف عن أدب الرحلات عند المرب: (وقد يكون غريباً أن تكون للجغرافية رحلات بعينها، ولكن هذا ما حدث فعلاً، فإن القوم لم يعمدوا إلى الكتابة في الجغرافيا بطريقة النقل والرواية عن الآخرين أو السابقين، بل كانوا يطوفون بأنفسهم في العالم الإسلامي وغيره، ويُقيدون

⁽¹⁾ مقدمة كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار للدكتور سعد زغلول عبدالحميد ص(ت).

⁽²⁾ المصدر السابق ص (ث) بتصرف

⁽³⁾ المصدر السابق ص (د).

مشاهداتهم وما يقع تحت أبصارهم. فأصبحت كتاباتهم الجغرافية في كثيرٍ من صورها رحلات بالمنى الدقيق، تصور أحوال الناس والعُمران بالعين البالعين البالعي

. نصوص من رحلته.

(الإسكندرية)



جانب من مدينة الإسكندرية

والاسكندرية تعجب كل من رآها لبهجتها وحُسن منظرها، وارتضاع مبانيها وإنقانها وطرقاتها وطرقها وطرقاتها. وهي برية بحرية، وفيها من النعم والأرزاق والفواكه ما ليس ببلد مع طيب هوائها وتربتها، (2)

(مدينة سُرّت)

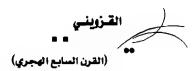
«فمن مدينة الإسكندوية على الساحل عمائر كثيرة للعرب ولقبائل من البربر سكنوا في تلك الأحياء إلى مدينة سُرت ومدينة سُرت مدينة كبيرة قديمة على ساحل البحر، وأهلها أخس الناس خُلقاً وأسواهم معاملة، لا يبيعون ولا يبتاعون إلا بسعر قد اتفقوا عليه. وربما نزل المركب بساحلهم موسوقاً بالزيت، وهم أحوج الناس إليه، فيعمدون إلى الزقاق الفارغة فينفخونها ويصففونها في حوانيتهم، ليرى أهل المركب أن الزيت عندهم

 ⁽¹⁾ الرحلات للدكتور شوقي ضيف ص5 تعليق/ سبق وأن أوردت هذا الكلام للدكتور شوقي ضيف في وصف رحلة المقدسي

⁽²⁾ الاستبصار في عجائب الأمصار ص 10.

كثير باثر، فلو أقام أهل المركب ما شاء الله أن يقيموا، ما باعوا منهم إلا على حكمهم، وهم يُعرفون بعبيد قرلة ويغضبون لذلك)().

(1) المصدر السابق ص 109.



زكريا بن معمد بن معمود القزويني⁽¹⁾ ... جغرافي، رحالة (ولد سنة 600 هجرية / 1203 ميلادية، في بلدة قزوين الواقعة في شمال إيران، ومن ذلك جاء لقبه القزويني الذي اشتهر به. وهو ينحدر من آسرة عربية أصيلة استوطئت العراق المعمى (2) منذ عهد طويل)⁽³⁾. (وعندما بلغ الخامسة والعشرين قصد بلاد الشام ودرس الصوفية في دمشق حوالي عام 630 مصداقة بالكاتب والأديب الكبير ضياء الدين بن عربي، كما ربطته صداقة بالكاتب والأديب الكبير ضياء الدين بن الأثير، شقيق المؤرخ المشهور وكان آنذاك متيماً بالموصل)⁽⁴⁾. وتولى (منصب القضاء في مدينتي واسط والحلة في المراق وذلك في عهد الخليفة المستعصم أخر الخلفاء المباسيين، وظل في منصبه حتى سقطت بغداد في بد المغول بقيادة هولاكو سنة 656 ولكن هذا الحدث الجلل لم يمنمه من متابعة دراساته العلمية وقد توفي بمد ذلك بمدة طويلة بعد أن بلغ الثمانين، وذلك في عام 682هم / 1283م)⁽⁵⁾.

. وصف رحلته.

للقزويني(كتابان أحدهما «آثار البلاد وأخبار العباد» في الجغرافيا والثاني «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» في الفلك والتاريخ الطبيعي. وكتابه الجغرافية عند العرب، وهو فيه لا يهتم

⁽¹⁾ أعلام الجفرافيين العرب،د/عبدالرحمن حميده ص 405.

⁽²⁾ العراق العجمي هي إيران، وكانت إيران والعراق تسميان بـ (العراقين).

⁽³⁾ المصدرالسابق ص 405 بتصرف يسير.

⁽⁴⁾ المصدرالسابق ص 405 بتصرف يسير.

⁽⁵⁾ المصدرالسابق ص 405 بتصرف يسير.

بالمسالك، إنما يهتم بأحوال البلاد والسُكان، مُضيفاً كل ما يستطيع من طُرفة نادرة وعجيبة خارقة. وقد قسم الكتاب إلى سبعة أقاليم، تكلم في كل إقليم عن بلاده مرتباً لها على حروف المجم، وهو لا يقف كما وقف المقدسي عند المملكة الإسلامية، بل يضم كما ضم الإدريسي ذكر البلدان الأوربية، ويجمع من هُنا وهُناك غرائب كثيرة عن العالم في أوربة وإفريقية وأسيا وبلادها البعيدة مثل الهند والصين .وفي حديثه عن العجائب بعض المبالفات، مما يجعل طائفة منها أقرب إلى الخُرافة، ولكنها مع ذلك لها طرافتها، إذ أراد بها القص، ونحن لا نقرأ فيها حتى نذكر كتاب ألف ليلة وليلة وما به من عجائب عن عالمي الجن والإنس. وكأن الجفرافيين أرادوا إرضاء حاسة الخيال عند قُرائهم، وكلما كان الاقليم أبعد تمادوا في المبالغة . وبجانب هذه الأقاصيص نجده يقص عن البلاد الإسلامية كثيراً من الحكايات عن الزُّهاد والصالحين، كما يتعرض لكثير من أخيار التاريخ والملوك المنابقين، ويجمع كتابه خوارق النُّساك والمتصوفة بجانب خوارق البنيان والآثار، ومن حين إلى حين نلتقى . في كتابه . بفرائب الأخبار لا في الإنسان، بل أيضاً في الطير والحيوان البرى والبحرى والزواحف. ودائماً نلتقي عند القزويني بتخاريف طريفه)(1).

وعن الرحالة القرويني يقول الدكتور حسين معمد فهيم: (لقد تنقل رحالة الفترة الأولى في حدود أقاليم العالم الإسلامي بصفة خاصة ، سواء كان دلك لأهداف دينية أو تعليمية أو إدارية. وأياً كان الغرض من الرحلة ، فقد جذب الرحالة جميعهم أمر النظر والتعقيق في «آثار البلاد وأخبار العباد» كما جذب الرحالة جميعهم أمر القرويني لكتابه الذي صدر في القرن السابع الهجري) (2) ومع أن القرويني جغرافي إلا أن أغلب الجغرافيين العرب القدماء هم في الأصل رحالة وانظر وصف رحلة محمد بن أحمد المقدسي.

⁽¹⁾ المصدر السابق من 21ومن 23 -26 بتصرف وزيادة يسيرة.

⁽²⁾ أدب الرحلات، ص106.

. نصوس مُغتارة من رحلته.

(جزيرة النساء في الصين)

الأهل الصبن بد باسطة في الصناعات الدقيقة ، ولا يستحسنون شبيئاً من صناعات غيرهم، وأي شيء رأوا أخذوا عليه عيباً، ويقولون: أهل الدُنيا ما عدانا عُمي إلاَّ أهل كابل فإنهم عور ، وبالغوا في تدفيق صَنعة النقوش، حتى إنهم يُصورون الإنسان الضاحك والباكي، ويفصلون بين ضحك السرور والخجالة والشماتة، وإذا أراد ملكهم شيئاً من المتاع يعرضه على أرباب الخبرة، ولا يتركه في خزائنه إلا إذا وافقوا على جودته. وحُكى أن صانعاً اتخذ ثوباً ديباجاً عليه صورة سنابل وقعت عليها العصافير، فعرضه الملك على أرباب الخيرة واستحسنوه، إلا صانعاً واحداً، قال: المصافير إذا وقعت على السنابل أمالتها، وهذا المصور عملها قائمة لا ميل فيها، فصدقه الحاضرون وعجبوا من دقة نظره في الصنعة (1). ومن خواص بلاد الصين أنه قلما يُرى بها ذو عاهة كالأعمى والزُّمن (ذي العاهة) ونحوهما وأن الهرة لا تلد بها. وقال محمد بن أبي عبدالله: رأيت بالصين إنساناً يصيح صياح القردة، وله وبر كوبر القرد وبداء تتالان ساقيه إذا بسطهما قائماً وبكون على الأشجار، بثب من شجرة إلى شجرة، وبينهما عشرة أذرع وبالصين داية السك، وهي داية تُخرج من الماء في كل سنة في وقت معلوم، ويُصطاد منها شيء كثير، وهو شديد الشبه بالظباء، فيُذبح ويؤخذ الدم من سُرته، وهو المبك، ولا رائحة له هناك حتى يُحمل إلى غيرها من الأماكن .وفي بحر الصبن جزيرة فيها نساء لا رجال معهن أصلاً، وإنهن يلقحن من الريح ويلدن النساء مثلهن، وقيل إنهن يلقحن من ثمرة شجرة عندهن يأكلن منها ، فيلقحن ويلدن نساء. حكى بمض التجار أن الربح ألقته إلى هذه الجزيرة، قال: فرأيت نساء لا رجال معهن،

 ⁽¹⁾ أظن أن مؤرخي الفنون التشكيلية لن يمروا على هذه القصة مرور الكرام خاصة وهي
 تكشف جانباً من البدايات الأولى للنقد التشكيلي في العالم القديم.

ورأيت النهب في هذه الجزيرة مثل التُراب، ورأيت من النهب قضباناً كالخيزران! فهممن بقتلي، فحمتني امرأة منهن، وحملتني على لوح وسيبنني في البحر، فالقتني الريح إلى بلاد الصين، فاخبرت صاحب الصين بحال الجزيرة وما فيها من الذهب، فبعث من يأتيه بخبرها، فذهبوا ثلاث سنين وما وقعوا بها فرجعواه (1).

(تنين حَلب)



دظهر بها .أي مدينة حلب . سنة أربع وعشرين وستمائة تنين بغلظ منارة وطول وعشرين وستمائة تنين بغلظ منارة وطول مُضرط، ينساب على الأرض، يبلع حكل حيوان يجده، ويُخرج من فمه ناراً تُحرق ما تلقاه من شجر أو نبات، واجتاز على بيوت أحرقها، والناس يهربون منه يهيناً ويساراً، حتى انساب قدر اثنى عشر فرسخاً، فاغاث الله تعالى الخلق منه بسحابة نشات وتدلت إليه، فاحتملته، وكان قد لَنْ ذنبه في إليه، فاحتملته، وكان قد لَنْ ذنبه في

كلب، فرفع الكلب وهو يعوي في الهواء، والسحاب يمشي به والناس ينظرون إليه إلى أن غاب عن الأعين،⁽²⁾.

(الهيكل المنوّر عا الصين)

«الهيكل المدوّر، وله سبعة أبواب، في داخله فبنة عظيمة البنيان عالية السنّمك، وفي أعلى القبة شبه جوهرة كرأس عجل، يُضيء منها جميع أقطار الهيكل، وإن جمعاً من الملوك حاولوا أخذ تلك الجوهرة فما تمكنوا من ذلك، فمن دنا منها قدر عشرة أذرع خرَّ ميناً، وإن حاول أخذها بشيء من

⁽¹⁾ آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني .نقلاً عن كتاب الرحلات لشوقي ضيف ص 22 -24.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 25.

الآلات الطُوال، فإذا انتهى إليها انعكست، وكذلك إن رمى إليها شيئاً، وإن تعرض أحد لهدم الهيكل مات، وفي هذا الهيكل بثر واسعة الراس من أكبً عليها وقع في قعرها، وعلى رأس البئر شبه طوق، مكتوب عليه: هذه البئر مخزن الكُتب التي هي تاريخ الدُنيا وعلوم السماء والأرض وما كان فيها وما يكون، وفيها خزائن الأرض، لكن لا يصل إليها إلا من وازن علمه علمنا، والأرض التي عليها هذا الهيكل أرض حجرية عالية كجبل شامخ لا يُرام قلمه ولا يتأتي نقبه. وإذا رأى الناظر إلى ذلك الهيكل والقبة والبئر وحسن بنيتها مال قلبه إليها وتاسف على فساد شيء منها، (1).

(الطاحونة العجيبة)

المسين عجائب المسين ... طاحونة يدور حجرها التحتاني، والفوقاني ساكن، ويخرج من تحت الحجر دقيق لا نخالة فيه، كل واحد منهما منفرد عن الآخر، (2).

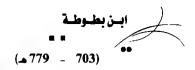
(القرس والفدير)

ويها . أي الصين. قرية عندها غدير فيه ماء ، في كل سنة يجتمع أهل القرية ويُلقون فرساً في ذلك الغدير ، والناس يقفون على أطرافه كُلما أراد الفرس الخروج من الماء منموه ، وما دام الفرس في الماء ياتيهم المطر ، فإذا أمطروا قدر كفايتهم وامتلأ الغدير أخرجوا الفرس وذبحوه على قُلة جبل وتركوه حتى باكله الطير ، فإن لم يفعلوا ذلك في سنة من السنين لم يُمطروا (أ.)

⁽¹⁾ المعدر السابق ص 22.

⁽²⁾ المصدر السابق من 22.

⁽³⁾ المصدر السابق ص 22.





محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم

اللواتي الطنجي، أبو عبدالله، الشهيربابن بطوطه .. من أكابر وأشهر الرحالة العرب، ومن الرحالة العرب، ومن الرحالة الأوائل والقلائل المعدودين في العالم، الذين اقتحموا مجال (عالم الرحلات) وطافوا العالم شرقاً وغرباً، بحثاً عن الغرائب والعجائب والطرائف في حياة الأمُم والشعوب، فأمتعوا الناس بأخبار وحكايات تاسر القلوب، وتأخذ بالباب العقول. وبهمته العالية وطموحه النادر،

دن سوطت

حقق ابن بطوطه الريادة في (أدب الرحلات)، وصار كل من جاء بعده من الرحالة يتمنى الوصول إلى درجته العاليه في المجد والشهرة، وحاول الكثير منهم أن يقلدوا ابن بطوطه في أسلوبه وخاصة عند روايته للفرائب والعجائب. وإن كان في بعضها نظر كما يقول بعض المختصين . إلا أنهم لم يصلوا إلى مستوى أسلوبه المستساغ والمُمتع وإن روى حتى أسطورة أو خرافة من الخُرافات.

ولد ابن بطوطه في (مدينة طنجة في يوم الإثنين السابع عشر من شهر رجب سنة 703هجرية / الرابع والعشرين من فبراير سنة 1304هيلادية) (الأسرة عنيت بالعلوم الشرعية، وعُرفت بالبسطة في العيش والسعة. واهتم أبوه بتربيته، فدرس الفقه والأدب، وأصبح حرياً بأن يكون قاضياً مثل كثير من أهله، ولكن داعن الحج إلى البيت الحرام دعاه، فلباه، وخرج من بلده وهو في المحادة وهو في الحدة ولا المحادة وهو المحادة والكن داعن الحج إلى البيت الحرام دعاه، فلباه، وخرج من بلده وهو في المحادة وهو المحادة ولم المحادة ولم المحادة ولم المحادة ولم المحادة ال

⁽¹⁾ ابن بطوطه ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل د/حسين مؤنس ص 16.

الثانية والعشرين من عُمره، سنة 725هـ/1324م)⁽¹⁾.

. وصف رحلته .

وكان خروجه للحج وهو في هذه السن أول خيوط رحلته الكبرى، حيث (انطلق من طنجة إلى افريقية الشمالية فنزار مبراكش والجزائير وتونس وطرابلس الفرب ثم مصر ففلسطين فسورية فالحجاز حيث يقصد. وبعد أن أتم فريضة الحج . للمرة الأولى . تابع الرحلة إلى فارس، والمراق، والأناضول، وعاد إلى مكة ثانية مروراً بالموصل وديار بكر. وبعد أن ارتحل إلى اليمن في جنوبي الجزيرة المربية وإلى عُمان والبحرين والأحساء من الخليج الفارسي⁽²⁾، وجاوز كل ذلك إلى افريقية الشمالية ، وعاد للمرة الثالثة إلى مكة مروراً بالخليج الفارسي⁽³⁾ من جديد. ومن ثم قصد مصر فلم يليث أن غادرها منجهاً نحو فلسطين فالأناضول فشبه جزيرة القرم ومن هناك أبحر إلى القسطنطينية برفقة إحدى اللكات. وانطلق إلى الهند عابراً بخارى، وخوارزم، وخراسان، وكردستان، وأفغانستان، وفي دلهي . أو دهلي كما يُسميها . شغل أحد مناصب القضاء حتى إذا بعث به السلطان مع أحد الوفود ، لحمل بعض الهدايا إلى ملك الصبن، هبت عاصفة في أحد الثفور البندية على المركب فأغرفته. فلم يعد ابن بطوطه إلى السلطان بل قضي حوالي سنة ونصف السنة في إحدى الجزر⁽⁴⁾ المجاورة، تولى فيها من جديد منصباً في القضاء. وشعر بعد ذلك برغية في زيارة الصين، لكثرة مغرباتها فقصدها بعد أن مير يسبيلان والبنغال وشيه جزيرة الملايو. ومن هناك عبر إلى جزيرة سومطرة ثم اتجه نحو ببلاد العجم ففارس فالعراق فسوريا فمكة للمرة الرابعة)⁽⁵⁾ بعد ذلك (عاد إلى فارس ماراً

⁽¹⁾ الرحلات، د/شوقي ضيف ص 95.

⁽²⁾ الصواب الخليج العربي كما يقرره المختصون في الجغرافيا وعلوم البعار.

⁽³⁾ الصواب ما سبق ذكره.

⁽⁴⁾ هي: جزر المالديف.

⁽⁵⁾ ادب الرحلة ، جورج غريب ص 59 -60.

بمصر فتونس الخضراء، فالجزائر، فوصل المفرب بعد الفياب الطويل سنة 750هـ /1349م) ثم (نهض إلى الرحلة الثانية، فكانت إلى اسبانية، حيث تعرف في أشاء ترحاله إلى سبتة وجبل طارق ومالقة وغرناطة) (أ) بعدها رجع (إلى فاس، ليهيىء نفسه للرحلة الثالثة، وكانت هذه المرة إلى إفريقية، حيث قضى سنتين زار خلالهما بعض المناطق الإفريقية، وأهل بعدها إلى فاس من جديد حيث أمضى بقية عمره) (3).

. يقول د/شوقي ضيف: (لم يترك ابن بطوطة بلداً نزل بها إلا وتحدث عن أهلها وسلطانها وعلمائها وقضاتها، وبذلك كانت رحلته معرضاً كبيراً لحياة الأمم والأقاليم التي نزل بها من الوجهتين السياسية والاجتماعية، وكانت فيه نزعة دينية قوية، فأطال الوقوف عند رجال الدين وأمور الإسلام وزوايا المتصوفة) (4) ويقول الدكتور يوسف الشويري: (تقوم رحلة ابن بطوطة على خلق الدهشة في القارئ عبر إيراد الكثير من الطرائف والفرائب) (5).

ورحلة ابن بطوطة كما يقول الدكتور حسين مؤنس: (معروفة متداولة بأيدي الناس، وهي قصة جميلة تُقرأ في لذة واستمتاع، لأنها في صميمها مفامرة طويلة حافلة بالمعلومات الصادقة الدقيقة بالإضافة إلى ما فيها من الغرائب والطرف، وراويها رجل صدوق لا يتكلف شيئاً في أحاديثه، بل كان هو نفسه لا يُفكر في تسجيل رحلته لولا أن الناس الحوا عليه في ذلك)⁽⁶⁾ وكان نتاج رحلة ابن بطوطة كتاب بعنوان: (تُحفة النظار في غرائب الأمصار) وكانت وفاته سنة 779هـ/1377م.

⁽¹⁾ الصدر السابق.

المصدر السابق.
 المصدر السابق.

⁽³⁾ المعدر السابق.

ر) (4) الرحلات لشوقي ضيف ص 98.

⁽⁵⁾ الرحلة العربية الحديثة من أوروبا إلى الولايات المتحدة، يوسف الشويري ص12.

⁽⁶⁾ ابن بطوطة ورحلاته، حسين مؤنس ص 11.

. نصوص مُختارة من رحلته.

(الصينيون عباقرة الصناعات)

وأهل الصين أعظم الأمم إحكاماً للصناعات وأشدهم إتقاناً فيها، وذلك مشهور من حالهم، قد وصفه الناس في تصانيفهم فأطنبوا فيه، وأما التصوير فلا يُجاريهم أحد في إحكامه من الروم ولا من سواهم، فإن لهم فيه اقتداراً عظيماً. ومن عجبب ما شاهدت لهم من ذلك أني ما دخلت قط مدينة من مُدنهم شم عدت إليها إلا ورأيت صورتي وصورة أصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد، موضوعة في الأسواق ولقد دخلت إلى مدينة السلطان همررت على سوق النقاشين، ووصلت إلى قصر السلطان مع أصحابي، ونحن على زي المراقيين، فلما عدت من القصر عشياً مررت بالسوق المذكورة فرأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة في كاغد قد ألصقوه بالحائط، فجمل كل واحد منا ينظر إلى صورة صاحبه لا تُخطيء شيئاً من شبهه. وذكر لي أن فرايت صورون صورنا، ونحن لم نشعر بذلك، وأنهم أتوا إلى قصره ونحن به، فجعلوا ينظرون إلينا ويصورون صورنا، ونحن لم نشعر بذلك، وثلك عادة لهم في تصوير كل من يهر بهم، وتنتهي حالهم في ذلك إلى أن الغريب إذا فعل ما يوجب فراره عنهم بعثوا بهم، وتنتهي حالهم في ذلك إلى أن الغريب إذا فعل ما يوجب فراره عنهم بعثوا

(مسجد ومرقص(۱)

وبمدينة دولة آباد سبوق للمغنين والمغنيات تسمى سبوق طرب آباد، من أجمل الأسواق وأكبرها فيها الدكاكين الكثيرة كل دكان له باب يُفضي إلى دار صاحبه. وللدار بابُ سبوى ذلك، والحانوت مزين بالفرش، وفي وسطه

⁽¹⁾ تُحفة النظار في غراثب الأمصار، ابن بطوطة ص 366. تعليق / في هذه القصة ما يدل على أن الصين القديمة امتلكت نظاماً امنياً راقياً يشبه إلى حم كبير الاحتياطات الأمنية التي تفرضها الدول في عصونا الحاضر على مواطئيها وعلى الغرباء الوافدين إليها، من بطاقات الهوية وجوازات السفر وغيرها..

شكل مهد كبير تجلس فيه المفنية أو ترقد، وهي متزينة بأنواع الحلي، وجواريها يحركن مهدها. وفي وسط السوق قبة عظيمة مفروشة مزخرفة يجلس فيها أمير المطربين بعد صلاة العصر من يوم كل خميس، وبين يديه خدامه ومماليكه، وتأتي المفنيات طائفة بعد أُخرى، فيفنين بين بديه ويرقصن إلى وقت المفرب، ثم ينصرفن. وفي تلك السوق المساجد للصلاة، ويصلي الأثمة فيها التراويح في شهر رمضان، وكان بعض سلاطين الكفار بالهند، إذا مرَّ بهذه السوق، ينزل بقبتها وتفني المفنيات بين يديه، وقد فعل ذلك بعض سلاطين المسلمين أيضاً، (أ).

(ذكر أهل الهند الذين يُحرقون انفسهم بالنار)⁽²⁾

وولمًا انصرفت عن هذا الشيخ (أرابت الناس يهرعون من عسكرنا، ومعهم بمض أصحابنا، فسألتهم: ما الخبرة فاخبروني أن كافراً من الهنود مات، وأججت النار لحرقه، وامرأته تحرق نفسها معه، ولما احترقا جاء أصحابي واخبروا أنها عانقت الميت حتى احترقت معه، وبعد ذلك كنت في تلك البلاد أرى المرأة من كفار الهنود متزينة، راكبة والناس يتبعونها من مسلم وكافر، والأطبال والأبواق بين يديها، ومعها البراهمة، وهم كبراء الهنود، وإذا كان ذلك ببلاد السلطان استاذنوا السلطان في إحراقها فيوذن لهم، فيحرقونها. ثم اتفق بعد مدة أني كنت بعدينة أكثر سكانها الكفار ألمصاة، بابحري، وأميرها مسلم من سامرة السند، وعلى مقرية منها الكفار العصاة، فقطعوا الطريق يوماً، وخرج الأمير المسلم لقتالهم، وخرجت معه رعية من المسلمين والكفار، وقع بينهم قتال شديد مات فيه من رعية الكفار سبعة نفر. وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجات، فاتفقن على إحراق أنفسهن، وإحراق

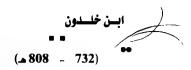
⁽¹⁾ المصدر السابق ص 319.

⁽²⁾ العنوان لابن بطوطة.

⁽³⁾ هو فريد الدين البذاوني لقيه ابن بطوطة في الهند.

المرأة بعد زوجها عندهم أمرٌ مندوب إليه، غير واجب، لكن من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفاً بذلك، ونُسبوا إلى الوفاء، ومن لم تحرق نفسها لست خشن الشاب، وأقامت عند أهلها بائسة ممتهنة لمدم وفائما، ولكنها لا تُكره على إحراق نفسها ، ولما تعاهدت النسوة الثلاث اللاتي ذكرناهن على إحراق أنفسهن أقمن قبل ذلك ثلاثة أيام في غناء وطرب وأكل وشرب كأنهن يودعن الدنيا، ويأتي إليهن النساء من كل جهة، وفي صبيحة اليوم الرابع أنيت كل واحدة منهن بفرس، فركبته وهي متزينة متعطرة وفي يُمناها جوزة نارجيل تلعب بها، وفي يُسراها مرآة تنظر فيها وجهها، والبراهمة يحفون بها، وأقاربها معها، وبين يديها الأطبال والأبواق والأنفار، وكل إنسان من الكفار يقول لها: ابلغي السلام إلى أبي أو أخي أو أمي أو صاحبي، وهي تقول: نمم وتضحك لهم. وركبت مم أصحابي لأرى كيفية صنعهن في الاحتراق، فسرنا معهن نحو ثلاثة أميال وانتهينا إلى موضع مظلم كثير المياه والأشجار، متكاثف الظلال، وبين أشجاره أربع قباب في كل قبة صنع من الحجارة، وبين القباب صهريج ماء قد تكاثفت عليه الظلال، وتزاحمت الأشجار، فلا تُخللها الشمس، فكان ذلك الموضع بقعة من بقع جهنم، أعاذنا الله منها. ولما وصلن إلى تلك القباب نزلن إلى الصهريج، وانفمسنا هيه، وجردن ما عليهن من ثياب وحُلى، فتصدقن به، وأُتيت كل واحدة منهن بثوب قطن خشن غير مخيط، فريط بعضه على وسطها، وبعضه على رأسها وكتفيها، والنيران قد أضرمت على قرب من ذلك الصهريج في موضع منخفض، وصب عليها روغن كنجت كنجد وهو زيت الجلحلان فزاد في اشتعاليا، وهنالك نحو خمسة عشر رجلاً بايديهم حزم من الحطب الرقيق، ومعهم نحو عشرة بأيديهم خشب كبار. وأهل الأطبال والأبواق وقوف ينتظرون محيىء المرأة، وقد حجبت النار بملحفة يُمسكها الرجال بأيديهم لئلا يُدهشها النظر إليها، فرأيتُ إحداهن لمّا وصلت إلى تلك الملحقة نزعتها من أيدى الرجال بعنف، وقالت لهم: مارا ميترساني ازاطش (آنش) من ميدانم أو اطش است راها كني مارا، وهي تضعك، ومعنى هذا الكلام: أبالنار تُخوفونني؟ أنا أعلم أنها نار محرقة. ثم جمعت يديها على رأسها خدمة للنار، ورمت بنفسها فيها. وعند ذلك ضريت الأطبال والأنفار والأبواق ورمى الرجالُ ما بأيديهم من الحطب عليها، وجعل الأخرون تلك الخشب من فوقها لثلا تتحرك، وارتفعت الأصوات، وكثر الضجيع، ولما رأيتُ ذلك كدت أسقط عن فرسي لولا أصحابي الذين تداركوني بالماء فغسلوا وجهى وانصرفت! (أ).

⁽¹⁾ رحلة ابن بطوطة، تحفة النّظار في غرائب الأمصار ص 238 -240.



عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، أبو زيد ..علامة، مؤرخ، أديب، رحالة، شاعر، مُفكر، فيلسوف، .. واضع ومؤسس علم الاجتماع



والعُمران، ولأجل هذا العلم طارت شُهرته كل مطار وعرفه الشرق والغرب كعظيم من عُظماء الإنسانية. ولد سنة 732هـ/1332م وليرجع نسبه إلى وائل بن حُجر من عرب اليمن. وقد نزح جده الأعلى خلدون إلى الأندلس في القرن الثالث للهجرة، ونزل إشبيلية، ثم انتقلت أسرته من إشبيلية إلى تونس في أواسط القرن السابع، عند غلبة الجلالقة عليها. وفي تونس

ولد ابن خلدون وتعلم، ثم صار يتنقل في بلاد المفرب والأندلس، وملوكها يتنافسون في إكرامه والاختصاص بنه، وقد كتب لبعضهم و وزَر لبعض، وأخيراً استقر به المقام مع أولاده في تلمسان وشرع في تاليف تاريخه، ثم عاد إلى تونس، ومنها انتقل إلى مصر، فدخلها سنة 487 واتصل بملكها السلطان برقوق، فولاه قضاء المالكية سنة 876 وقد ارسل يستدعي أسرته من تونس، فغرقوا جميعاً في البحر، فعظم عليه الأمر، واستقال من منصبه، وانقطع للتدريس والتأليف. وأثم كتابه العبر وديوان المبتدا والخبرء) (1) وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل والجد والتجديد أدركته الوضاة بالقاهرة سنة حافلة بالعام ودفن بباب النصر (2)، وترك مجموعة من نفائس الكتب

⁽¹⁾ إعجام الأعلام، مجمود مصطفى ص 16.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 17.

أشهرها كتابه (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) وحازت مقدمة هذا الكتاب التي عُرفت فيما بعد بمقدمة ابن خلدون على قصب السبق بين سائر كتبه الأُخرى واشُتهر بها بين العلماء الذين تخاطفوها لتدريسها لطلابهم وتحليلها ونقدها وإخراج ما فيها من سرائر الحكمة والفلسفة.

. وصف رحلته .

(رحل ابن خلدون إلى الأندلس مرتين، ثم ارتحل إلى مصر والحجاز والشام)⁽¹⁾ ودخل مراكش وفيها اصبح أميناً للسر عند سُلطانها أبي عنان المريني، وفي غرناطة بالأندلس عاش مُدة في بلاط ملكها ابن الأحمر. ورافق الحملة المصرية لمحاربة تيمورلنك في الشام وكان مفاوضاً بارعاً، وفي تونس تولى وظيفة كاتب عند أميرها. وتولى رئاسة الوزراء في بجانه (من بلاد الجزائر) وسافر إلى مكة لأداء مناسك الحج⁽²⁾. ورحلات ابن خلدون موجودة في كتاب من تأليفه جاء تحت عنوان: (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً)، وكتابه هذا أشبه بالترجمة والسيرة الذاتية.

. نس مختار من رحلته.

(الرحلة إلى تونس)

ول نزلت بقلمة ابن سلامة بين أحياء أولاد عريف، وسكنت منها بقصر أبي بكر بين عريف الذي اختطه بها، وكان من أحفل



تونس في العصر الحديث

⁽¹⁾ مقدمة كتاب (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً)، لمحمد بن تاويت الطبخي ص (يز).

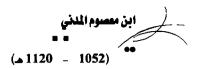
⁽²⁾ مقدمة كتاب (مقدمة العلامة ابن خلدون) طبعة دار الفكر اللبنانية 2004ص 5

المساكن وأوثقها ، ثم طال مُقامى هنالك، وأنا مستوحش من دولة المفرب وتلمسان، وعاكف على تأليف هذا الكتاب⁽¹⁾، وقد فرغت من مقدمته إلى أخبار العرب والبربر وزَّنَانَة، وتَشُوَّفَت إلى مُطالعة الكتب والدواوين التي لا توجد إلاُّ بالأمصار، بعد أن أمليت الكثير من حفظي، وأردت التقيع والتصحيح، ثم طرقتي مرض أوفي بي على الثنية، لولا ما تدارك من لُطف الله، فحدث عندي ميل إلى مراجعة السلطان أبي العباس، والرحلة إلى تُونس، حيث قرار آبائي، ومساكنهم، وآثارهم، وقبورهم، فبادرت إلى خطاب السلطان بالفيئة إلى طاعته، والمراجعة، وانتظرت، فما كان غير بعيد، وإذا بخطابه وعُهوده بالأمان، والاستحثاث للقُدوم، فكان الخفوف للرحلة، فظمنت عن أولاد عريف مع عرب الأخضير من بادية رياح، كانوا هنالك ينتجمون الميرة بمنداس، وارتحلنا في رجب سنة ثمانين، وسلكنا القفر إلى الدوسين من أطراف الزاب، ثم صعدت إلى التل مع حاشية يعقوب بن على وجدتهم بفرنار، الضيعة التي اختطها بالزاب، فُرحَلتهم معى إلى أن نزلنا عليه بضاحية فسنطينة، ومعه صاحبها الأمير إبراهيم بن السلطان أبي العباس بمخيمه، وفي عسكره، فحضرت عنده، وقسم لي من بره، وكرامته فوق الرضى، وأذن لي في الدخول إلى فسنطينة، وإقامة أهلى في كفالة إحسانه، بينما أصل إلى حضرة أبيه، وبعث يعقوب بن على معى ابن أخيه أبي دينار في جماعة من قومهم، وسرنا إلى السلطان أبي العباس، وهو يومئذ قد خرج من تونس في العساكر إلى بلاد الجريد، لاستنزال شيوخها عن كراسي الفئة التي كانوا عليها، فوافيته بظاهر سُوسة، فحيا وفادتي، وبر مقدمي، وبالغ في تأنيسي، وشاورني في مهمات أموره، ثم ردني إلى تونس، وأوعز إلى نائبه بها مولاه فارح بتهيئة المنزل، والكفاية في الجراية، والعُلوفة، وجزيل

 ⁽¹⁾ يعني بذلك كتابه (ديوان المبتدأ والخبرية تاريخ العرب والبرير ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر).

الإحسان، فرجعت إلى تونس في شعبان من السنة، وآويت إلى ظلِ ظليلِ من عناية السلطان وحُرمته، وبعثت عن الأهل والولد، وجمعت شملهم في مرعى تلك النعمة، والقيث عصا التسيار .. ولما قدمت تونس انثال علي طلبة العلم، يطلبون الإفادة والاشتغال، واسعفتهم بذلك؛ (١).

⁽¹⁾ التعريث بنابن خلندون ورحلته غرباً وشرقاً، عبدالرحمن بن خلندون، ص 231وص233 بتصرف يسير.



على صدر الدين ابن الأمير أحمد نظام الدين بن محمد معصوم المدنى الشهير بـ (ابن معصوم المدني)، علامة، أديب، شاعر، رحالة .ولد في المدينة النبوية (ليلة السبت الخامس عشر من جمادي الأولى سنة 1052هـ)(١) ..نشأ في ججر أبيه الأمير أحمد نظام الدين، وتلقى معارفه وعلومه على أيدى ثلة من العلماء الكرام في عصره ..(وأمه كريمة العلامة الشيخ أحمد المنوفي إمام الشافعية في الحجاز)⁽²⁾.

. التعريف برحلته.

لم تكن الرحلة فناً مُحبباً عند ابن معصوم المدنى، ولم يكن على باله أن يكون ذات يوم رحالة، وإنما دُفع لذلك دفعاً، حين غادر الحجاز وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عُمره سنة 1066هـ إلى الهند (بطلب من والده الذي كان يشغل وظيفة نائب السلطنة في حيدر آباد أيام السلطان قطب شاه)⁽³⁾. وقد رافقته أثناء سفره من الحجاز إلى البند . بعثة شرف . برئاسة وزير من حيدر آباد الدكن⁽⁴⁾، هاستفرقت رحلته إلى أن وصل إلى أبينه تسعة عشر شهراً (5) فمر أثناء رحلته هذه على مجموعة من البلدان، واختزن في ذاكرته كل ما شاهده في رحلته من الحجاز إلى الهند، ولما بلغ في العلم مبلغاً مُتقدماً،

⁽¹⁾ مقدمة رحلة ابن معصوم المدنى للمحقق شاكر هادى شكر من 5.

⁽²⁾ المصدر السابق ص5.

⁽³⁾ المصدر السابق ص5.

⁽⁴⁾ مقدمة المحقق ص 8.

⁽⁵⁾ المصدر السابق من8.

فشرع في كتابة رحلته سنة 1074هـ ودُون فيها كل مشاهداته وهو في الثانية والعشرين من عُمره ليكون بذلك من أصغر الرحالة العرب. وقد أشار ابن معصوم المدنى إلى صغر سنه في مقدمة رحلته فقال: (ولقد منيت بكرية الفرية، وتشعث الحال وعهد الصبا مخيم ما هُم بالارتحال، وبُليت بورود منهل البين الأكدر، وباهر العُمر مُشرق أشرف على الكمال وما أدير، رمتني مرامي النوي بجهدها ، وأبدلتني عن خبر ببلاد الله المشرفة ببارض هندها ، وناهيك بارض شاسعة نائية ، وبلد أهلها كفرة طاغية) إلى أن يقول : (وكان السبب في تجرع مرارات النوي، وتحمل حرارات الجوي، وفراق الأهل والوطن، والبُعد عن السوح المحترم والحرم المؤتمن، أن قضي الله على الوالد بفراقه لتلك المواطن واغترابه عن هاتيك المنازل والمعاطن، مدعواً إلى الدكن من الديار الهندية) .وبعد وصول ابن معصوم المدنى إلى الهند ومكوثه عند والده، تُولِيُّ السلطان عبدالله قُطب شاه، فتولى السُلطة أحد وزراء الملك الراحل، وفرض على ابن معصوم وأبيه الإقامة الجبرية.. وفي سنة 1086هـ تُوفي والد ابن معصبوم وهبو تحت الإقامة الجيرية (الحجير)، وشعر أبن معصبوم أن هنياك مؤامرة تُحاك لقتله، فقر إلى (برهان بور) والبحق بالسلطان محمد أورنك ريب شاه، وتولى رئاسة الديوان في البلاط الملكي . وبعد فترة من الزمن ضعف السلطان محمد شاه وتقدمت به السن وسناءت أخلافه، التي لم يُطق ابن معصوم تحملها ، ففكر في المودة للحجاز ، وتمكن من الحصول على الإذن بالسفر بحجة أداء فريضة الحج .. فسافر مم عائلته سنة 1114هـ، ووصل مكة المكرمة، وأدّى فريضة الحج، واتجه بعد ذلك للمدينة النبوية وزار قبر الرسول الأعظم محمد . صلى الله عليه وسلم . وكان ينوى الاقامة في أي من المدينتين (مكة والمدينة) (فوجد كل شيء فيهما قد تغير ولا يكاد يعرف

أحداً من الناس بعد غياب دام 48 منة) (1) فسافر للعراق وزار البصرة والنجف وكريلاء وبغداد، ووجد كذلك أن العيش في العراق لا يُناسبه خاصةً وأنه لم يجد فيها (الجوّ الملائم للتأليف والتدريس الذين نذر لهما ما بقي من أيام حياته، فقرر مواصلة الممفر إلى إيران) (2) وفي إيران زار مُدن خراسان وقُم واصفهان، وكان ينوي الإقامة في الأخيرة إلا أنه (وجد الأمور مضطرية على السلطان حسين الصفوي فواصل سفره إلى شيراز وهي آنذاك عامرة بالعلم والعلماء، فألقى بها عصا الترحال، واتخذ المنصورية مقراً لعمله في التدريس والتأليف.. وتوفي بشيراز سنة 120 هـ على اصح الأقوال، ولم يرم القلم إلا فيبل وفاته ببضع ساعات، ودُفن بحرم احمد بن الإمام موسى بن جعفر الملقب بشاه جراغ) (3) وترك آثاراً علمية قيمة المعروف منها كما ذكر الأستاذ شاكر هدي غنُكر عشرون مؤلفاً منها:

رحلته المسماه (سلوة الغريب وأسوة الأريب)، وسلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، وديوان شعره ..وفي رحلته سلوة الغريب وأسوة الأريب (وصف المدن والقرى اللتي مر بها) والسكان والمناخ والماء والهواء والجبال والأشجار والثمار، والحيوان، والمساجد ومراقد العُلماء، وترجم لبعضهم، ووصف البحار وما فيها من حيوان وأحجار كريمة وغرائب، فنمق كل ذلك ووشماه بما عُمرف عنمه ممن القمدرة على الاستطرادات الأدبية الرائمة، والاستدراكات العلمية المُفيدة وأرود الكثير من الشواهد المُختارة نظماً ونشراً (6). وكان قد بدا في تدوين رحلته سنة 1074هـ وهو في الثانية والعشرين

⁽¹⁾ المصدر السابق ص6.

⁽²⁾ المبدر البيانق ص 6.

⁽³⁾ المعدر السابق ص6بتصرف يسير.

⁽⁴⁾ المعدر السابق ص8.

من عُمره . كما أسلفنا . وانتهى من كتابتها في الثالثة والعشرين من عمره سنة 1075هـ.

. نصوص معتارة من رحلته.

وكان أول مبتدأ رحلة ابن معصوم المدنى . بعد خروجه من الحجاز . من اليمن ولذلك سنرى أن أغلب نصوص رحلته التي قطعها من الحجاز إلى الهند كانت عن مناطق وأماكن بمانية ، وعن ذلك بقول: (فسلكنا طريق اليمن الميمون، متوجهين نحو ذلك القطر المأمون أي الهندا وسيرينا نقتحم مهامه وقفاراً ، ولا نملك للدموع كفافأ ولا للقلوب نفاراً ، نجوب جيوب تلك الليلة الدهماء، ونخبط خبط عشواء في تلك الفلاة اليهماء إلى أن أسفر الصباح، فنزلنا بحمى هنالك مُياح، يُقال له (البيضاء) قد نشرت من محله راية سوداء كأنه لم يُنبِت نجمة خضراء فقلنا فيه ذلك اليوم وهيهات أن يجنح طرف إلى نوم ...فارتحلنا منه إلى السعدية وتبوأنا ظلالها وإن كانت غير ندية وهي ميقات اليمن بحذاء (يلملم) وهو ميقاتهم الذي وقته لهم النبي ـ ﷺ .) (١). ثم ذكر ما حدث من حرب وفتال بين بمض الخدم وسائقي القوافل المعروفين آنذاك بـ(المكارين) ولم يفك ما بينهم من قتال سوى حلول الليل. بعد ذلك ارتحل إلى دوقه (وهي وادٍ على طريق الحاج من صنعاء إذا سلكوا تهامة)⁽²⁾ ومنها إلى وادى الحسبة حتى وصل إلى القنفذة فوصفها قائلاً: ﴿ وهِي قرية بالقرب من حلى على ساحل البحر ويقال : أنها كانت في القديم فرضة مكة المشرفة بها تُرسى جميع السفن الواردة من الأقطار، ثم اهملت وجعلت الفرضة جدة)(3).

⁽¹⁾ رحلة ابن معصوم المدني المسماء : (سلوة الفريب وأسوة الأريب).

⁽²⁾ مقدمة رحلة ابن معصوم لشاكر هادي.

⁽³⁾ رحلة ابن معصوم المدني.

(ية جزيرة كمران)

وزار ابن معصوم المدني جزيرة كمران فقال: (ثم سرنا ليالي وأياماً للاطم تلك الأمواج لطاماً حتى وافينا جزيرة كمران بفتح الأحرف الثلاثة وهي جزيرة مُحيط بها البحر، إلا أن ماءها في غاية العدوبة، وبها مسجد عظيم، وأشجار وفواكه، وإليها بنسب الملح الكمراني الذي لا يوجد مثله في غيرها، وهو لا يُستعمل إلا دواء لشدة ملوحته، ينفع لأمراض كثيرة، ولا يُدانيه شيء من أقسام الملح في نقاوته وصلابته، وفيها مدفن الشيخ الكبير الشهير محمد بن عبد ربه المشهور بالورع والزهد، وضريحه بها من المزارات المشهورة)(1)



واحة خضراء في جزيرة كمران

⁶³⁻⁶² رحلة ابن معصوم المدني ص

(يا مدينة الحديدة)

ويواصل الرحالة ابن معصوم سرد رحلته في بعض مناطق اليمن فيقول: (ولم نُقم في هذه الجزيرة . أي جزيرة كمران . إلا نصف نهار حتى عُدنا إلى اقتحام التيار واستلام ذلك الفلك السيار ، فسرنا والبحر المديد دائرته مختلفة ، ولم نر مع وافر دوائره دائرة مؤتلفة ، والسفينة قد اشتملت بشراعها الصماء وتشاممت ، فلم نزل كذلك حتى جئنا (بندر الحديدة) ، وقد أبدى فينا السام أيده ، فألفيناها عامرة بالخيرات ، غامرة بالميرات ، وفيها من أنواع الرطب ما يُلهي عن استماع الخُطب ، ومن أقسام النُوار ما يسلي الفرزدق عن النُوار ، فعلمنا أن تصغيرها ليس للتحقير ، بل يعذب اسم الشيء بالتصغير ، فاقمنا بها ثلاثة أيام حتى قضينا منها المرام)(!).



جانب من مدينة الحديدة

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 64.

ويواصل ابن معصوم المدنى كلامه قائلاً: (ثم أقلعنا منها للمسجر مُستبشرين بأن لم بيق من النعب إلاّ اليسير، وإن كنا مع أعظم من هذا على وعد، ولكن المشيئة لله فيما بعد. فرحْنا نكابد الأهوال، وتُقاسى حوول الأحوال، إلى أن أسفر الصبح عن ثاني شهر رمضان المعظم هوافينا المخا معدن الأمن والرُّخا، وألفيناها عارية إلاَّ من الايناس، خالية إلاَّ من كرام الناس، فكان أول من تلقانا فيها ببشره، وهما علينا بطيب خلقه ونشره واليها، الخافقة رايات عزه وسُعده، الثابتة آيات فخره ومجده، ذو الأخلاق التي دلت على طيب الأعراق، والمكارم التي انعقد عليها الإجماع والإتفاق، من لم يزل العز الباذخ به يهيم مولانا زيد بن على بن إبراهيم .ولما وافينا المخا اتصل بنا الخبر بأنَّ العدوُّ قصد جهة مولانا السلطان (عبدالله قطب شاه) ـ خلد الله مُلكِه . فعاث فيها، وأغار على نواحيها بجموع لا تُحصى، وجنود لا تُستقمني، ولا يُعلم ما آل الأمر إليه، وما استقر الحال عليه، فأجمعنا على الإقامة بالبندر المذكور (المخا) إلى أن تُوافينا الأخبار من تلك الأقطار. والمخا بالخاء المعجمة المخففة وفتح الميم قبلها: مكان قريب من زبيد على ساحل البحر. كذا ضبطها اليافعي في تاريخه في حوادث سنة أربع عشـرة وخمسمائة عند ذكر الشيخ أبي بكر بن جعفر بن عبدالرحيم المخائي. والعوام يقولون: المخا (بضم الميم) وهو بندر في غاية العمارة، فيه قصور مشيدة، وحدائق عديدة تحتوى على نخل كثير، ويُجلب إليه أنواع الفواكه من تعز وغيرها. ومستقى أهلها من آبار في جانبه الشرقي إلاَّ أن ماءها لا يخلو من ملوحة ، ويُجلب للأكابر من موزع ماء عذب جداً. وفيه حمام لطيف، بناه رجل من أكابر أتباع مولانا السلطان، يقال له : الشيخ ملك محمد، وأخبرني من كان حاضر بنائه، أن الشيخ المذكور فرش أرضه بالقرنفل، ثم ألقى عليه الجص

لتطيب رائعته، ولقد اكتسب أجراً عظيماً في بنائه، وكانت وفاة بانيه المذكور سنة ثلاث وسبعين وألف رحمه الله تعالى. وزرت بالمخا ضريح الشيخ أبي الحسن علي بن عمر الشاذلي وعليه قُبّة عظيمة معتنى بها غاية الاعتباء. وفي أيام اقامتنا بالمخا انقض كوكب عظيم هائل من جهة الجنوب إلى الشمال بعد المفرب فأضاءت له الدنيا وهو كشعلة النار، وترك وراءه ضياء مستطيلاً جداً. وبعد انقضاء الموسم بالمخا وذهاب جميع السفن عنها خليت عمن رأيناه بها من الأكابر، فلم يبق فيها سوى رعاع أهلها من السوقة وغيرهم، حتى أن واليها المقدم ذكره لم يُقم بها، بل فارقها وأناب منابه غيره، فوجدنا لذلك من الوحشة والغربة ما ضاعف علينا الكربة، مع سوء عشرة الأتباع الذين كانوا في صُعبتنا، وعدم الألفة والأنس بهم.)(1).

(١١٤ اللُّحية)

ودخل ابن معصوم المدني كذلك . مدينة اللحيه - وعن ذلك يقول: (ومازالت السفينة تنساب بنا انسياب الحيه حتى وصلنا بندر اللحيه، فامتطينا صهوة الزورق، وظننا أن غصن الخلاص قد أورق ونزلنا البندر المعمور، فالفيناه بكل خير مغمور، وفيه من أنواع الفواكه ما يلتذ به كل مفاكه، فلما ظننك بسقيم بحر ناقه، من موز كمكاحل الذهب، ورُطب كظلم الحبيب إذا وهب، وأعناب كالدرر المسلوكة، وحالاوات كالدنانير المسبوكة، فقضينا به يومنا، واستطبنا فيه نومنا، وكان فيه أول مشاهدتنا للكفرة أولي الجحيم، فاستعذنا بالله تمال من الشيطان الرجيم، ولم يكن يقع النظر قبل ذلك على أحر ممن هو على غير ملة الإسلام عصمنا الله بهدي صاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام).

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 64 -65، ص93، ص101، ص107، ص110. بتصرف يسير.(2) المصدر السابق.

(مشاهداته في الهند)

وواصل ابن معصوم المدنى مسيره حتى وصل إلى الديار الهندية ، واجتاز بعض الأماكن في الهند حتى وصل إلى منطقة تُسمى (جيتابور) وعن ذلك يقول: (ثم نزلنا البندر وهو بندر جيتابور بجيم مكسورة وياء مثناة من تحت، فتاء مثناة من فوق، وبعد الألف باء موحَّدة مضمومة، غواو ساكنة، فراء مُهملة وكان وصولنا إبّان الربيع بالديار الهندية، فالفيناه قد نشر مطارفه وأبرز تالده وطارفه. لا تقع العين إلا على رياض خضرة، وعياض يانعة نضرة، والأرض تشكو والسماء تُشكى، والروض بضحك والغمام يبكي . فأقمنا بهذا البندر ثلاثة أيام، ثم انتقلنا إلى بندر أعظم منه، وكان هذا فرضة لذاك، فسرنا في الخور على الزورق بين ذينك الجبلين حتى وصلنا إليه، وهو قرية لطيفة يُقال لها: (راجابور) براء مهملة وبعد الألف جيم ثم ألف فباء موحدة مضمومة فواو ساكنة فراء، وفيها عمارة حسنة لمصطفى خان أعظم وزراء عادل شاه ، ولم يكن في تلك القرية عمارة سواها فنزلنا بها. وهذه القرية من أعمال كُوكُن بكاف مضمومة فواو ساكنة فكاف أخرى مفتوحة فنون، وهو صقع عظيم ليس في أرض الهند أكثر خراجاً منه لحسن ربيمه فإن المطر يكون فيه سنة أشهر لا ينقطع ليلاً ولا نهاراً بخلاف سائر أرض الهند، فإنّ مُدة المطر فيها لا تزيد على أربعة أشهر.

ورأينا بهذا البندر أشياء لم نكن نراها من قبل منها: الطائر المعروف بالطاووس وتكنيه العرب أبا الوشي وترخيمه طويس، وهو من الطير كالفرس عزاً وحسنا، وفخ طبعه العقة وحب الزهو بنفسه والخيلاء، والإعجاب بريشه، وعقده لذنبه كالطاق لا سيما إذا كانت الأنثى ناظرة إليه، فإذا نظر في اعطافه ورأى الوانه المختلفة زهى بنفسه وتاه ومما رأيناه بهذا البندر من الحيوانات الفرية: سنائير الزباد، الواحد منها كالسنور الأهلي لكنه أطول منه جُنَّة وذنباً، ولونه إلى السواد أميل، والزباد هيه شبيه شبيه

بالوسخ الأسود اللزج، ذفر الرائحة، يُخالطه طيب حسن يوجد في ابطيه، وفي باطن أفخاذه، وباطن ذنبه، وحوالي دبره، ولم يبرح معه جماعة يلاعبونه ويحرّكونه حتى يعرق فيسيل الزباد، فتعد له ملاعق الفضة ويؤخذ.

ورأينا بهذا البندر أشجاراً لم نكن نراها، منها: شجر الفلفل وهو أشبه ما يكون بشجر الدجر يلتف على شجرة أخرى ومن الغرائب ما رأيناه بهذا البندر، وهو عين على قلة جبل تنبع وتجري في السنة ثلاثة أيام ثم تغور وتقطع، وكانت أول دخولنا البندر منقطعة، ثم بعد اقامتنا هنالك شهرين قيل: نبم ماؤها فقصدناها للتفرج، وقصدتها الهنود للعبادة.

وكنا قصدناها قبل ذلك لما وصفت لنا فرأيناها غائرها ومجراها يابساً. وقد اتخذت الهنود عندها حياضاً، ولما نبع الماء امتلأت تلك الحياض، وهو ماء عنب أبيض برّاق، ويُحكى مثل هذا كثير إلاّ أن للعيان موقعاً ليس للسماع ... ورأينا بهذا البندر معبداً عظيماً للهنود فيه أصنام من ذهب وفضة مصورة على صورة الإنسان وصور الحيات، وقد صور حولها من الصخر المنحوت أصنام كثيرة، فمنها صور بقر، وصور رجال ونساء. وهذا المعبد بيت عظيم منحوت كله من الصحر الأسود تقصده كفرة الهنود من الأقاق وتنذر له النذور، ورايناهم بسجدون للأصنام التي فيه، والسرج فيه ليلاً ونهاراً لا تُطفا، وله خدم وحجّاب وأتباع. وبجنبه نهر عظيم يخر من شاهق في بئر لا يُعلم قرارها عن الوصف، ثم ينصب الماء إلى البحر، وحكى لنا أهل تلك البلاد أن بعض عن الوصف، ثم ينصب الماء إلى البحر، وحكى لنا أهل تلك البلاد أن بعض من الناصة فلم يخرج منهم أحد، ولا يُعلم ما صاروا إليه، وكثير من جهلة الهنود يعتقد في هياكلهم هذه القدم، وأما علماؤهم فيزعمون أنها تقريهم إلى الله ذاكفين)(ا).

ومكث ابن معصوم في هذا البندر (كوكن) ثلاثة أشهر إلا عشرة أيام

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 142 -144، ص150 -151، ص158 -159، ص160 -161.

كما نص مو على ذلك في رحلته (1)، ثم وصل إلى (الدكن) وفيها رأى الفيل لأول مرة وعن ذلك يقول: (ورأينا في بعض المنازل فيلاً لبعض العمال ولم نكن نراه قبل ذلك، فعجبنا من عجيب خلقته، وغريب صورته، وعظيم جثته، فسبحان مُبدع العالم باقتداره، ومدبر الأشياء على مشيئته واختياره والعرب ثكني الفيل أبا الحجاج، وأبا مزاحم، وأبا الحرمان، والفيلة: أم شبل.)(2)

⁽¹⁾ المصدر السابق ص168.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 169.



ال حباشي سليم قُبطان، رحالة مصري شهير، ومن رجالات القرن التاسي عشر الميلادي ..أرسله محمد علي باشا الكبير مع أربعمائة رجل تحت إمرته لاستكشاف منابع النيل، وكانت نتيجة هذه الرحلة الاستكشافية كتاب ألفه البكباشي سليم قُبطان تحت عنوان: (رحلة إلى أعالي النيل الأبيص)...

. وصف رحلته .

.يقول الباحث نوري الجراح: (كان النبل قد شغل الجغرافيين والرحالة والمستكشفين من كل الأجناس، لا سيما خلال القرون الثلاثة الأخيرة، لكونه أطول أنهار العالم. وحتى بعثة الربان سليم قبودان كان النبل الأبيض ما يزال غير مستكشف، وبالتالي فإن مسالة ينابيع النيل ما برحت موضع ما يزال غير مستكشف، وبالتالي فإن مسالة ينابيع النيل ما برحت موضع تطلع الشعوب كلها، وريما بقيت كذلك طويلاً في مستقبل الزمان كما نبه جومار في نص الرحلة المنشور في مجلة الجمعية الجغرافية الفرنسية. من هننا جاء فيها من منا الرحلة أهميتها كرحلة علمية رائدة، بنى على ما جاء فيها من ملاحظات ومعلومات، وما خلصت إليه من معطيمات، جُمل الرحالة والستكشفين الأجانب الذين حاولوا لاحقاً استحشاف منابع النيل (أ)، وابتدا مسار الرحلة من الخرطوم، واستمرت 135 يوماً ، واقتطعت جزءاً من سنة فرانسوا جومار: (باكورة ثمار الحضارة التي انبعث في مصر ضوؤها منذ خمس وعشرين سنة. لهذا كانت جديرة في ما يتعلق بالبلاد التي هي خمس وعشرين سنة. لهذا كانت جديرة في ما يتعلق بالبلاد التي هي

⁽¹⁾ مقدمة كتاب رحلة إلى أعالي النيل الأبيض لنوري الجراح ص 15 - 16 بتصرف

موضوعها، والأشخاص الذين قاموا بالاهتمام والعناية، وإن لم تتم نتائجها ولم تنضج شارها)⁽¹⁾.

ويذكر رفاعة الطهطاوي أن الرحلة: (سارت من الخرطوم في النيل المسمّى بالبحر الأبيض مسافة 500 فرسغ⁽²⁾ حتى وصلت إلى جزيرة جانكير بمشروع جندكرو، وعندها رمال وصخور مُتكاثرة، فالشلالات تمنعُ السير عن النيل منماً كلياً، فاقتصر القبودان على أخذ الاستعلامات اللازمة من أهالي تلك الجهة. فاستبان من ذلك أنَّ منبعُ النيل بقرب دائرة الاستواء على 30 مرحلة (المرحلة تُساوي كفراسخ) فوق جزيرة جانكير، فتكونُ المسافةُ بينها وبين منبع النيل نحو 50 أفرسخاً تقريباً. وبهذا الاستكشاف سهل لسياح الإنكليز إتمام استكشافهم)⁽⁶⁾.

. نصوص مُختارة من رحلته.

(قبيلة الننكا)

والثلاثاء 14من ذي الحجة ..هممنا بالرحيل مُنذ تنفسِ الصبح، ففي الساعةِ الثالثة رأينا في جهة الغرب حلّة كبيرة إلى غربها فرع صغير ووجدنا بين البوص والأدغال التي تحفّ به زوارق صغيرة، وعلمنا أن الأهالي يزرعون التبعُ في الأجزاء المرتفعة، وكانوا يفرون مِنّا كلما دنونا منهم، وقد عثرنا بداخل حلة على أربع نساء ورجل كانوا مختبئين بها، فأحضرناهم إلى مكاننا وسألناهم عن قبيلتهم وعن السبب الذي يُلجىء الأهالي إلى الفرار، فأجابوا بأنهم من قبيلة الدنكا، وأن الذين لجؤوا إلى الفرار خائفون، أما هم فإنهم لمرضهم لم يستطيعوا اقتفاء أشرهم، وكان في الحلل مقادير كبيرة من الأغذية، كالذرة والدجاج، فطلبنا منهم البقاء في حلتهم وعدم التحول عنها،

⁽¹⁾ نفس المصدر السابق ص15.

⁽²⁾ يقول الجراح: الفرسخ يُساوى 8كلم.

⁽³⁾ المصدر السابق ص14.

وأن يحضّوا الفارين على العودة والثقة بنا والاطمئنان إليناء⁽¹⁾. (النويريين)

وصل إلى الشاطيء أربعون رجلاً ومعهم أربع بقرات تركوها خلفهم، وكانت شُعورُهم طويلة حمراء اللون، وليس بينها وبين شعور غيرهم من السودانيين حاممة شُبُه. وكان في ذراع كل منهم دملج من سنَّ الفيل أو الحديد أو النُحاس على شكل الأساور ، وكانت بأبديهم الحرابُ والنشابُ ، وكانت أجسامهم موشومةً بالألوان كاجسام الشلك(2)، وإنما يتكلمون بلهجة تقرب من رطانة الدنكة ، فقايضونا على ما معهم من الذَّرة والسمسم بأشياءً من الزجاج، وقد فعلوا ذلك على غير علم من شيخهم، لأننا لم نشك أبدأ في أنه لو وقف على ما حصل منهم لما كتم غيظه، وهو ما حصل فعلاً إذ علمنا أنه وبخ هؤلاء الرجال على فعلهم، فأمرتُ عندئن محمداً (مُترجم البعثة) بالذهاب إليه لطلبه فلم يحضر الرجل بنفسه، وإنما أرسل إلينا على بد آخر معزة وقليلاً من التبغ على سبيل الهدية، ولطالمًا سنالنا هذا الرسول واستفهمنا منه فلم نستطع أن نعلم من أقواله أكثر من أنه هو وأصحابه من النويريين⁽³)، فأخلينا سبيله بعد أن أعطيناه شيئاً من المصنوعات الزجاجية ، وقلنا له إنه كان يجب أن يُحضر ممه شيخه لما كان في عزمنا من إتحافه ببعض الهدايا ، وأفهمناه بواسطة العسكري محمد أنه لم يكن هناك ما يدعو إلى خوفه، ثم إذنا له بالإنصراف على أن يُرافقه هذا العسكري، على أن الشيخ لم يرضُ بوسيلة ما التسليم بتأكيداتنا الودية، ولكن أرادت الحكمةُ الإلية أن يدنوا أحدُ رجاله من محمد ويُخبره بما عزم عليه أصحابه من الكيد لنا والتنكيل بنا. وكان مما أخبره به أن المعزة المُهداة كانت مسمومة ، وأنّ

⁽¹⁾ رحلة إلى أعالى النيل الأبيض لسليم قبطان ص79.

⁽²⁾ الشلك كما يقول نوري الجراح: قبيلة جنوب السودان مشهورة.

⁽³⁾ النويريون كما يقول الجراح: قبيلة معروفة بجنوب السودان أيضاً.

الغرض الذي كانوا بسعون إليه هو اكتساب ثقتنا حتى إذا استنمنا إليهم عبثوا بنا شرَّ عبث، وعلى أثر هذا أركن الرجلُ إلى الفرار. ولقد بادر محمد برواية ما حصل على مسمعي، فأمرتُ في الحال بفحص المعزة وبيان السبب في انتفاخ جميع أجزاء جسمها وخروج زبد من فمها، فتأكد لي أن هذه العلامات تويد الشبهة في حق أولئك الناس، وتدل على سوء نيتهم نحونا.

عندثنز أمرتُ بعض عساكر الذهبية الأولى بإطلاق النار فأطاعوا الأمر، فسقط رجل كان واقفاً بجوار الشيخ فتيلاً وفرَّ آخرون مُنخنين بالجراح، تاركين خلفهم ما كان معهم من الرماح والنبال، ولقد رأينا عندما تحركنا حُلة الشيخ المذكور واقعة إلى الشرق على مسافة نصف ميل تُحيط بها الأشجار الضخمة، وتقصلها عن النهر بحيرة تكاثفت على شواطئها الأشجار والأدغال، (1)

(قبيلة الشلك)

.. الرأيف في الحال ألف بن من الشلك مجردين من الثياب ومدجعين بالأسلحة، وكان كل منهم يحمل دُمُلجاً من سن الفيل أو الحديد أو البرونز، وكان النساء والرجالُ منزوعة من فكهم الأسفل الأربعة أسنان الأمامية منها وكان في النساء والرجالُ منزوعة من الحديد. ويجمل الشلك بطرف رماحهم جُملةً من ريش النعام يحلونها بها، ومن العادات الشائعة عندهم أن ينام المرضى والعزابُ في الرماد وفي روث الحيوانات، فتتلوث وجوههم بهاتين المادتين. وهم يُقيمون الصلاة أمام شجرة مُحاطة بالبوص ومعلق بها الشيىء الكثير من الجلود والريش، (2).

المصدر السابق ص 48 -49.

⁽²⁾ المعدر السابق ص 39.

محمد بن علي بن زين العابلين •• (القرن التاسع عشر اليلادي)

محمد بن على بن زين العابدين .. رحالة تُونسى، ومن رجالات القرن الناسع عشير الميلادي .. ولند بشونس وبها نشأ ، وقيرا القيرآن الكريم في (الكُتاب)، وعمل بوصايا والده التي تحثه على طلب العلم، وبدأ في تحصيل العلوم بتونس، وارتبط بصداقات ومودة مع مجموعة من الطلبة القادمين من بلدان مجاورة لتونس للتعلم فيها، وكان معظم هؤلاء الطلبة مُهتماً بعلوم الخيمياء والسحر وفنون البحث عن الكنوز واكتشافها، وكانوا يتفانون في تحصيل هذه العلوم، (دافعهم في ذلك الفقر والحاجة)(1)، ومن خلال احتكاك (زين العابدين) بهم تاثر بما يرددونه في مناقشاتهم حول صحة هذه العلوم وكيف أنها تجلب الحظ السميد والربح الوفير، وفي نهاية المطاف اتجه لتعلم هذه العلوم وعن ذلك يقول: (وكانوا خلال المناقشات. أي الطلبة . التي كانت تدور حول العلوم المذكورة . آنشاً . يروون عبارات لا معنى لها مأخوذة عمن زعموا أنهم قد جربوها أو منقولة عن المستفات التي تتاولت تلك العلوم. وكانوا مع ذلك يزعمون أنهم موقنون من صحة تلك العبارات بحكم أنهم قد عاينوها أو سمموا عنها. وفي الأخبر ونتيجة هذه الأقوال فإن فيض خزانة المخيلة تغلب على بوتقة فكرى فولعت بتلك العلوم)⁽²⁾.

وحاول (زين العابدين) تجريب هذه العلوم من أجل جني المال، إلا أن محاولاته باءت بالفشل فاتجه لعلوم أُخرى وعن ذلك يقول: (ورغم أني أجريت عدداً من التجارب وبدّرت في سبيل ذلك ما كان عندي من مالٍ دون أن أجني أي ربح حقيقي، فقد عزفت عنها وصرفت كل جهدي لدراسة علم التماثم

⁽¹⁾ رحلة السودان لمحمد زين العابدين ص25.

⁽²⁾ رحلة السودان لحمد زين العابدين ص 25 - 26.

وعلم أسماء الله الحسنى وعلم التنكير)⁽¹⁾. بعد ذلك قرر الرحالة (زين العابدين) السفر إلى الشرق، لأجل أخذ علوم (التماثم وأسماء الله الحسنى والتنكير) عن أساتذة من الشرق، بعد أن تعذر وجود أساتذة (عريفين) بهذه العلوم في المفرب حسب قوله (2)، فسافر إلى مصر ومنها إلى الحجاز لأداء مناسك الحج و(البحث عن رجال العلم ومؤلفاتهم)⁽³⁾.

ثم رجع إلى مصر سنة ألف ومائتين وخمس عشرة للهجرة، وأقام بالجامع الأزهر، وأثناء ذلك عاوده الحنين مجدداً لدراسة علوم الخيمياء والسحر والعلوم الخفيه وعن ذلك بقول: (فعاودني الحنين إلى دراسة العلوم فكنت أربط أواصر الصداقة مع مسافرين كلما سنحت فرصة لذلك، وقمت خلال أبحاثي في العلوم الخفية بعديد التجارب حول ما كان يرويه ويعرضه بعضهم، وتبين لي عندها أني كنت في طريق الضياع وأن طوق آمالي كان على وشك التمزيق (4) نتيجة ما كان يردده البعض منهم بالم مؤكدين أن من يتعاطى هذه العلوم يختفي دون أن يترك أي أثر) (5) وبعد أن كان سيفقد الأمل في إتقان هذه العلوم والحصول على نتيجة أخبره بعضهم أنه يوجد في السودان أساتذة في هذه العلوم، فغادر مصر متوجها إلى (السنار)(6) وظل في هذه البلدة تمعة أشهر متتقلاً بين أطرافها ونواحيها، وهناك وجد أناساً لهم اهتمامات كبيرة بالعلوم التجريبية، فطلبوا منه أن يُعلمهم إياها..، وسُرعان ما تنبه أنه في هذا البلد لن يجد منا سنعى إليه، فارتحل إلى كردفان وهناك انتقى بالشيخ إبراهيم يجد منا سنعى إليه، فارتحل إلى كردفان وهناك انتقى بالشيخ إبراهيم الشهير الشيغ يحد منا سنعى إليه، فارتحل إلى كردفان وهناك انتقى بالشيغ إبراهيم الأسعردى أحد أتباع (الطريقة القادرية) المنسوية للمتصوف الشهير الشيغ

⁽¹⁾ المعدر السابق.

⁽²⁾ المصدر السابق.

⁽³⁾ المصدر السابق.

⁽⁴⁾ في كتاب رحلة السودان وردت هكذا والصواب (التمزق).

⁽⁵⁾ رحلة السودان ص 26.

⁽⁶⁾ السنار بلدة في السودان.

عبدالقادر الجيلاني⁽¹⁾، ووصف (زين العابدين) الشيخ الأسعردي بانه مُتبحر في العلوم العقلية والنقلية وله صفات تُبشر بالخير والسعادة (²⁾، وتبين لـزين العابدين أن الأسعردي ارتحل لكردفان مُنـذ ثـلاث سنوات، بهدف (إجراء أبحاث في الخيمياء والسحر)⁽³⁾، فكشف رحالتنا للأسعردي أنه جاء لنفس السبب الذي جاء من أجله، وتوطدت العلاقة بينهما، لكنهما سُرعان ما اكتشفا أن هذا المكان ليس فيه ما أنينا من أجله .ومن هُنا ابتدأت رحلة الشيخ محمد بن علي ابن زيد العابدين، وتحول مسار رحلته من طالب لعلوم (الخيمياء والسحر) إلى رحالة يُدون بادهاش كل مشاهداته في السودان.

. التمريف برحلته.

اختلف الدارسون في تحديد السنة التي ابتدأ فيها الشيخ محمد بن علي بن زين العابدين رحلته إلى السودان، لكنهم شبه متفقين على أن رحلته كانت في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، ...ولم يقف الاختلاف بينهم إلى هذا الحد فقط، بل وصل الخلاف بينهم، حول شخصية (رحالتا) نفسه، فمنهم من نفى وجوده أصلاً، وآخرون لم ينفو وجوده لكنهم نفوا أن يكون قد سافر للسودان، ولكلا الفريقين حُجج فيما ذهبوا إليه ...كذلك بآءت محاولات الباحثين في العثور على معلومات أكثر عن حياة الرحالة (زين العابدين) بالفشل . وعجزوا عن تحديد سنة مولده أو وفاته ...ويُمول الكثير منهم على مخطوطة (النص العربي) للرحلة . المفقود ،، في حال عثورهم عليه علّهم يجدو فيه معلومات أكثر وضوحاً عن حياة الرحالة التونسي، ذلك لأن نص الرحلة ثرجم عن الفرنسية ، والترجمة الفرنسية أخذته عن النص الذي كُتب باللغة التركية .. يقول المستشرقان (لينودورمونو) و(جان لويس باكي) بعد إيرادهما مجموعة من الآراء حول مدى صحة الرحلة من عدمها: (لكل ذلك وجب علينا

⁽¹⁾ ورد في كتاب الرحلة (الكيلاني) والصواب ما أثبتناه

⁽²⁾ رحلة السودان ص 27.

⁽³⁾

أن نمترف بأننا لا نملك ولو شاهداً خارجياً واحداً بدل على صحة النص ولا حتى ما يؤكد أن المؤلف قد وجد فملاً ، وهذا مما

يؤسف له ...وفي سنة 1976م كتب لنا (ريشاردهيل) الذي كُنا استشرباه بخصوص نصنا ما يلي: أصبحت أشك في وجود زين العابدين مُنذ أن بدأ اهتمامي بالرحلة الأفريقية المزعومة ينمو ...إن الدلائل التي جاءت في مقدمتكم والقرائن التي بينتموها بما فيها ما يجيز امكان السفرة خيالية وما ينفي ذلك، جعلتني أفتتم بأن زين العابدين قد وجد فعلاً وأنه هو الذي كتب الرواية العربية الأصلية)⁽¹⁾ وفي التعريف برحلة الشيخ محمد بن على بن زين المابدين يُحدثنا الدكتور عبدالله مماوية الذي نقل نص الرحلة عن الفرنسية إلى العربية فيقول: (من الأكيد أن القارئ بشعر بمتعة كبيرة عند مطالعته هذا النص، إذ اعتمد المؤلف فيه أسلوباً قصصياً توفرت فيه العديد من عناصر التشويق كالوصف والحوار وتناول موضوعات غريبة وعجيبة ، واعتماد بنية روائية واضحة وسليمة، ابتداءُ بظروف خروجه من تونس ثم رواية الأحداث التي واكبت مختلف تنقلاته بالسودان، محترماً تسلسلها الـزمني، وخاتماً أخيراً رحلته برجوعه إلى تونس وبالعبر التي استخلصها من المجازفة التي قام بها. إن القارئ سُرعان ما يتعلق بهذا المؤلف ويعجب بشخصيته، فهو يحلم بأمور خارقة للمادة، ويطمع في الإثراء واكتشاف الكنوز، وهو بمكس ما تعود الكثيرون ترويجه عن شيوخ الجوامع ومدرسيها ، رجل شُجاع مُغامر ، قام بمفرده بسفر طويل شاق وخطير، وهو متفتح يُقدر الأمور حق قدرها، أعجب بالكثير مما شاهده بالرغم من أنه كان يُشاطر معاصريه في اعتبار السودائيين متوحشين، وهو رجل إنسان وفيلسوف نقد نفسه وتهكم عليها، فنعت نفسه بالجشع بعد أن غنم الكثير من المال نتيجة سفره. كما يعجب القارىء بغزارة ودفة الملاحظات التي قدمها المؤلف فيما يخص عادات الشعوب

⁽¹⁾ مقدمة رحلة السودان ص 22.

اللتي زارها، وتقاليدها، واللتي يحق لننا أن نعتبرها مرجماً الثوغرافيا وأثولوجيا. إن هنده الرواية تهمنا حتى لو لم ينذهب المؤلف فعللاً إلى السودان، ذلك لأنها بقدر ما احتوت عليه من معلومات فإنه يُمكن اعتبارها من أهم المصادر التي تمدنا بصورة نظرة التونسيين إلى السودان في ذلك العصر، ومن الأكيد أن السودان عبر بو سعدية والسطعبالي، غذى ولا يزال يُفذي الخيال التونسي. (۱)

. نصوص مختارة من رحلته .

(ملڪ ڪردفان)

دالرعايا يدعون الملك أباهم، ثم إن من أصبح وزيراً عليه أن ينزع عن ثياب الرجولة، فتقص خصيتاه وعليه بعد أن يتم مداواته أن يضعهما أمام السلطان وكانه يُريد أن يُغهمه: ها أنا ذا يا مولاي قطعت عني هذه الأشياء التي هي من أسباب الشهوات الجنسية، ومن الأن فصاعداً أنا قادر على التضرغ لشؤون الرعية ولخدمة بلاطك السعيد بكل انتباه وبدون أية طوية. وأخيراً يُفتح له باب الحرم الملكي ويدخل عندئنز في خدمة الملك والحرم، كما يتولى شخصياً إدارة شؤون الرعية عند غياب السلطان، (2).

(یا دارهور)

دومهما قد يكون لأهل بلد (دارفور) من الإنسانية ، فإنهم عُراة من كل جهة من الخارج ، لا يحجب عوراتهم ولا بسترها إلا شيىء من الشعر المضفور يشدونه إلى حزامهم ، أما الذين يسخفون الجبال علاوة على أن جُلهم عُراة تماماً ، فإنهم لا يزيدون على أن يكونوا قطيماً من الحيوانات الجاهلة بالمتقدات الدينية وبمستلزمات هذه الدنيا. يُسكن بعض الأثرياء الذين يعيشون في المدن هؤلاء السود في مزارعهم قصد التناسل وتزايدهم ومثلما نبيع يعيشون في المدن هؤلاء السود في مزارعهم قصد التناسل وتزايدهم ومثلما نبيع

⁽¹⁾ مقدمة كتاب رحلة إلى السودان.

⁽²⁾ رحلة السودان ص28.

نحن الفنم والبقر فإنهم في كل سنة يبيعون الذين يصلحون لذلك من أطفالهم منهم من يملك خمسمائة أو ستمائة عبد من الذكور والإناث، ويجيئهم النجار في كل فصل يشترون منهم عبيداً ذكوراً وإناثاً، يختارونهم لبيعهم فيما بعداً(!).

(ثقافة الخصاء في كردفان ودارفور)

واعتادت الرعبة لي كردفان أ⁽²⁾ مشاهدة عملية الخصاء ولذلك فانه عندما بأسر أحد الشُبان عدواً له فانه بستاصل خصيتيه ويحفقهما في الشمس ثم يتقلدهما سمة لشهرته وشجاعته وما دام لم يفعل ذلك فلا يُمكن له الزواج. لذا من صارع خصمه كانت بده على السكين للخصى أكثر منه للقتل، وإذا شمر الخصم أنه مهزوم لا محالة واستسلم فإنه يقعل ذلك دون أن يقتله ...وعلى قمم لحيال دارفور أ⁽³⁾ يميش سود كثيرون كثرة أمواج البحر الأسود ، وبما أنهم كانوا على هذا البعد من أصول الحضارة والمادات فإن جُل هؤلاء عُراة من الرأس إلى الرجلين، ورغم هذه المجية فإنهم يُظهرون لملكهم وأعوانه طاعة دائمة، لذلك يمكن أن يتجول الشخص بينهم طوال أيام كاملة وهو مصحوب بأحد خدم السلطان دون أن يمسوه بأي سوء ...يتميز الأشخاص الذين هم في خدمة السلطان بالطريوش الذي يُغطى رؤوسهم والقوس والسهام التي يتسلحون بها، وإن كانت لبعض القروبين سيوف عرضها عرض اليد، فإن ذلك لا يُمثل قاعدة هامة وروى المسافرون والتجار الذين طافوا أنحاء هذا البلد أنه بالرغم مما للرجال هناك من سلوك وعادات ليست بشرية إلا جزئياً، فإن نساءِهم يُحافظن بعكس ذلك على عادة من أحسن العادات هي تلميح أجسامهن وتجميلها بدلكها بالزيت، وإذا كان لشخص بنت وأحبها أحد فإنه

⁽¹⁾ رحلة السودان ص32 -33.

⁽²⁾ ما بين ممكوفين من عندي للتوضيع.

⁽³⁾ ما بين ممكوفين من عندى للتوضيح.

يُخالطها ويذهب عندها متى شاء ويُداعبها ويمزح معها دون أن يضع يده ولو على جزء من قميصها وذلك إلى يوم الزواج، هذه العادة هي خاصة بالمدينة أما بالريف وحسب المكان فإن المسلمين يتزوحون وفق الشرع أما الأخرون فيأخذون النساء غصباً وبصفة خاصة فإنه يُمكن بل يحصل فعلاً أن يقتل رجال أصحاب جرأة وشجاعة تتدلى في رقابهم عقود مكونة من سبعة أزواج من الخصى، زوج المرأة التي يطمعون فيها ثم يخطفونها أما أنا فشاهدت مرة الأمر التالي: كان شاب يُحب ابنة إحد أعيان البلد حُباً لا يقدر الإنسان على وصفه، وكانا قد تعودا على التلاقي، لكن أب الفتاة منعهما من أن يتقابلا لأنهما ليسا من نفس الوسط، وذات يوم بعد أن مزق الشاب طوق الصبر والخضوع، جذب الفتاة إليه، وبعد أن فض بكارتها لاذ بالفرار لكن الفتاة كان لها عاشق آخر كانت تُحبه للفاية. وكانت تلتقي به بعلم أبيها ، وحين علم هذا الشاب الأمر تملكه اليأس فأخذ يسحق خصيتيه لطماً بحجارة في دار الفتاة حتى أغمى عليه، ولما شاهد أب الفتاة حاله فهم أنه لم يبق لانقاذه إلا استئصال خصيتيه، فنادى جراحاً ماهراً قام بالعملية، وبعد أن أمر بتقديم بعض العلاج له أرسله إلى بيته. أما البنث فلما تبينت أنها ستفقد بهذه الصورة معشوقاً وفياً انتظرت نزول الليل، ولما استفرق الجميع في النوم ذهبت وشنقت نفسها في شجرة، وفي الصباح لما رأوا ما أصابها نشبت خصومة بين قبيلة أب الفتاة وقبيلة الرجل الذي تجرأ على اغتصابها متسبباً بذلك في هذه الخسائر ، وارتضع عدد الضحايا إلى ثمانية أشخاص من جهة الفتاة وخمسة عشر من الجهة الأخرى، وكانت الغلبة لحماعة الفتاة الذين انضم إليهم أفراد قبيلة المعشوق الذي خصى نفسهه (1).

(آكلي لحوم البشر)

الهالي هذه الجبال . أي جبال دارفور . يتحاربون من حين إلى آخر وفضلاً

 ⁽¹⁾ رجلة السودان ص 29 وص 34 -36.

عن كونهم يبيعون عادة للقروبين الأشخاص الذين أسروهم فإنه يحصل أحياناً أن يأكلوهم، لكن هذه الحالة تحدث حالياً بصفة نادرة في المنطقة التي نحن بها الآن، هذا ما حدثني به لرفيقياً (أ) فصرخت ثانية قائلاً: هل من المكن أن يأكل أناس أناساً؟ عندها أوضع لي ما يلي: ذلك ما يفعل جميعهم، فعندما يقع أحد الأعداء بين أيديهم أسيراً يأخذونه إلى مكان بعيد عن المكان الذي هم به وهُناك يذبحونه ويأكلونه بعد شي لحمه على النار، ولم يترك هذه العادة إلا المسلمون. وعندما شاهد علامات الذعر على وجهي طمانني قائلاً: إنه حسب ما ورد ذكره سابقاً فإن هذا الأمر لا يحدث إلا عند الحروب ولا خوف على السافرين من ذلك.

... ولما أقبل الليل قدم طفل جميل ورقيق يُناهز عمره الاثنتي عشرة سنة وهو يحمل على رأسه قادوساً من خشب فيه سكين وبعد أن وضع قادوسه أمامي مكث ساكناً وعيناه تنظران إلى الأرض، ورغم أني سألته عما يريد فإننا لم نستطع التفاهم بأي حال. جاء لزيارتي ونحن على تلك الحال أحد القادة الذين كانوا قد جاؤوني خلال النهار، فلما سألته عما يريد الطفل الصنير أجابني: إني أرسلته إليكم إكراماً لكم كي تأكلوه بعد ذبحه وطبخه، فسألته: هل يُعقل أن يؤكل إنسان وأن يكون وليمة؟ فأجاب: رغم أن هذا الشخص ينتمي إلى الجنس البشري إلا أنه ليس منا بل من أعدائنا أن هذا الشخص بنتمي إلى الجنس البشري الا أنه ليس منا بل من أعدائنا ومثلما يأكل من يقع منهم بين أيدينا، وخاصة إذا كانوا كهذا الطفل لحمهم صغير طري. (2)

⁽¹⁾ ما بين معكوفين من عندي للتوضيح.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 55 -60 وص 60 -61.



رفاعة رافع الطهطاوي علامة، أديب، رحالة . وضعه الدارسون والباحثون على رأس قائمة اعلام النهضة العربية في العصر الحديث. ولا يقمصر سنة 1801م و(تلقى العلم بالجامع الأزهر ثم دخل في خدمة محمد علي كواعظوفي العساكر الجهادية)(1)، وكانت وفاته في مصر أيضاً سنة 1873م، بعد أن أثرى العقل العربي بأطروحاته وأفكاره النيرة، الـتي تـدعو إلى النهضة والعلو.

. وصف رحلته.

ترك رفاعة راضع الطهطاوي كتاباً أثيرياً في فن الرحلات،أسماه: (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) أودع فيه خلاصة مشاهداته ونتائج رحلته في فرنسا، فكان (أول عربي في العصر الحديث يترك لنا نصاً ضافياً عن رحلة إلى بلد أوروبي)(2).

ورحلة الطهطاوي إلى فرنسا (رحلة تكليفية من قبل السلطان محمد علي والي مصر حينذاك للذهاب إلى فرنسا باعتبارها عاصمة الحضارة الغربية، وكانت للتعلم والتثقف بعلم فرنسا وفنها ونقل ما يُمكن نقله إلى مصر)(3)

⁽¹⁾ الرحلة المربية الحديثة من أوروبا إلى الولايات المتحدة، د/يوسف الشويري ص19.

⁽²⁾ الصدر السابق ص 19 يتصرف.

⁽³⁾ أدب الرحلات، د/حسين معمد فهيم من 202.

(وأرسله معمد علي باشا حاكم مصر برتبة مبعوث وإماماً للصلاة «صُحبة الأفندية المبعوثين لتعلم العلوم والفنون الموجودة بهذه المدينة البهية». كان ذلك في العام 1836م، عاد بعدها إلى



محمد على باشا الكبير

مصر ليتولى مناصب عدة في التحرير والتعرير والتاليف)(1)

و(سجل قلم . الطهطاوي . البهاراً بك ثير من معالم الحضارة الغربية ، ولكنه أوضح في الوقت نفسه تحفظه

وذلك في إطار تربيته الدينية على الكثير من عادات وأخلاقيات الفرنسيين، وإن تقرير رحلة الطهطاوي يُعد في نظرنا توثيقاً الثوجرافياً دقيقاً وشيقاً للعديد من أوجه الحياة الفرنسية، كما شاهدها وتفاعل معها مدة خمس سنوات قضاها بباريس. وتُذكرنا رحلة الطهطاوي (القرن الثالث عشر الهجري) برحلة ابن فضلان (القرن الرابع الهجري) وما بينهما من تشابه واختلاف. فكلتاهما قد ابنعثت من قبل الحاكم إلا أن ابن فضلان ذهب ليعلم، أما الطهطاوي فقد ارتحل ليتعلم. وتتصل هذه المقارنة -في رأينا -بين وضعين حضاريين مختلفين، فابن فضلان المُعلم قد عاش إبان حقبة الحضارة العربية الإسلامية الزاهية، أما الطهطاوي الطالب فقد عاصر فترة اضمحلال تلك الحضارة، والرغبة في إصلاح الوضع الحضاري الذي آلت إليه مصر في ذلك الحين)(2)

⁽¹⁾ الرحلة العربية الحديثة، د/يوسف الشويري ص 19.

⁽²⁾ أدب الرحلات، د/حسين فهيم ص 202.

وتربيته، فهو لا يتحدث كمن لا يملك معياراً محدداً يقيس به الأمور ويضبط المسائل)⁽¹⁾. وأشار عليه بتدوين رحلته إلى فرنسا شيخه حسن العطار⁽²⁾، حيث يقول: (فلما رُسم اسمي في جملة المسافرين، وعزمت على التوجه أشار علي بعض الأقارب والمحبين لا سيما شيخنا العطار، فهو مولع بسماع عجائب الأخبار، والاطلاع على غرائب الآثار . أن أنبه على ما يقع في هذه السفرة، وعلى ما أراه وما أصادفه من الأمور الغريبة، والأشياء العجيبة، وأن أقيده ليكون نافعاً)(3).

. نصوص مختارة من رحلته .

(نساء باریس)

والنساء بها . أي باريس . مُنعمات سواء بمالهن أو بجمالهن، وأما الرجال فإنهم بين هؤلاء وهؤلاء عبيد النساء، فإن الإنسان يحرم نفسه ويُنزه عشيقته، وأما الخيل فإنها تجر العربات ليلاً ونهاراً على أحجار أرض باريس خصوصاً إذا كانت المستأجرة للعربية امرأة جميلة، فإن العربجي يُجهد خيوله ليوصلها إلى مقصدها عاجلاً، فالخيل دائماً مُعذبة بهذه المدينة، (4).

(مدينة باريس)

هذه المدينة كباقي مُدن فرنسا وبلاد الافرنج العظيمة مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والضلالات، وإن كانت مدينة باريس من أحكم سائر

⁽¹⁾ الرحلة العربية الحديثة ، د/يوسف الشويري ص20.

⁽²⁾ المصدر السابق ص20.

 ⁽³⁾ تخليص الإبريز في تلخيص باريز للطهطاوي، نقالا عن ادب الرحالات، د/حسين فهيم ص
 202 تصدف.

 ⁽⁴⁾ تخليص الإبريز في تلخيص باريز للطهطاوي، نقالا عن الرحلة العربية الحديثة، د/يوسف الشويرى ص23 - 24.

بلاد الدُنيا وديار العلوم البرانية، ^(١).

(اطباء باریس)

«الحُكماء في باريس كثيرون جداً ، حتى يوجد في كل خط (شارع) عدة حُكماء ، بل الطُرق مملوءة من الحكماء ، حتى أن الإنسان إذا أُصيب بداء فإنه لا بد أن يجد الحكيم حالاً لكثرة الحُكماء (2).

(الرقص مع النساء)

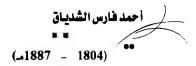
دية باريس كل رجل عزم امرأة يرقص معها، فإذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية وهكذا، وسواء كان يعرفها أم لا، وتفرح النساء بكثرة الراغبين في الرقص معهن، ولا يكفيهن واحد ولا اثنان، بل يُعببن رؤية كثير من الناس يرقصوا معهن، لسآمة أنفسهن من التعلق بشيىء واحد، (3).



⁽¹⁾ المعدر السابق من 23.

⁽²⁾ المعدر السابق من 25.

⁽³⁾ المصدر السابق ص 24 -25 بتصرف.





1804م، و(كان والداه من سُكان الحدث قرب بيروت) (1) وفي السنة التي ولد فيها (احمد) اتجها إلى عشقوت (ولما بلغ الرابعة من عُمره، عاد أهله إلى الحدث حيث نشأ فارس وترعرع. وفي مدرسة تلك القرية تلقى مبادى القراءة ثم أرسل إلى مدرسة عين ورقة في كسروان حيث

أنم دروسه الابتدائية. وكان له ميل شديد إلى المطالعة، فأعانه أخوه أسعد على زيادة التحصيل، فنقدم في معرفة العربية والسريانية، وأتقن الخط العربي. وما إن بلغ الخامسة عشرة حتى تُوفي والده. فلم يقعده ذلك عن متابعة العربي. وما إن بلغ الخامسة عشرة حتى تُوفي والده. فلم يقعده ذلك عن متابعة التحصيل. على أنه اضطر إلى العمل للقيام بأوده وأود والدته. فانصرف إلى النساخة وبقي على ذلك مدة من الزمن. ثم عن له أن يشترك مع أحد أصدقائه في البيع. فاستبضعا بضاعة واكتريا حماراً لحمل البضاعة والمتاجرة بها طلباً للكسب فلم يُفلحا. وهكذا ترك صاحبنا هذه التجارة الخاسرة (واقتضى طريقاً آخر من طُرق المعاش، وهو طريق النعليم. فأتيح له أن يُعلم بنناً لأحد الأمراء. ولكن التعليم لم يُبلغه ما أراد، فرجع إلى النساخة وإن كان ذلك. كما يقول . على غير المراد. ولا ريب أن عمله في نسخ الكتب قد أفاده إذ وسع كما يقول . على غير المراد. ولا ريب أن عمله في نسخ الكتب قد أفاده إذ وسع أفاق المعرفة أمامه، ومكنه من اللغة وأساليب الكتابة. وكان أخوه قد اتصل

⁽¹⁾ الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة المربية الحديثة، أنيس المقدسي ص141.

بالمرسلين الأميركيين وعمل معهم، ثم رأى في تعليمهم الديني ما حمله على اعتباق مذهبهم.

فاضطهده رؤساء الدين الماروني في ذلك العهد اضطهاداً عنيفاً. وكان اضطهاد أخيه من جُملة الأسباب التي دعت صاحبنا إلى كره المقام في لبنان والتجائم إلى الارسالية الأميركية. فأرسلوه إلى مصر سنة 1826 ليعلم المُرسلين هُناك اللفة العربية. لما بلغه موت أخيه معنباً في دير فنوبين، وذلك سنة 1830، ثارت نقمته فهاجم رؤساء الدين مُندداً باعمالهم وتعصبهم.

وفي مصر انكب فارس على الدرس والمطالعة برعاية استاذين كبيرين هما محمد شهاب الدين محرر الوقائع المصرية، ونصر الله الطرابلسي. فاتقن علوم العربية ولم اسمه في عالم الكتابة. ولم يلبث أن عُين خلفاً لرفاعة الطهطاوي في تحرير الوقائع.

أقام في مصر تسع سنوات تزوج أشائها ورزق ولدين هما سليم وفايز. ثم طلبه المرسلون الأميركيون في مالطه ليُعلم العربية في مدرستهم ويُصحح بعض مطبوعاتهم ومنشوراتهم العربية (وذلك قبل انتقال مطبعتهم إلى بيروت). فأقام في مالطه 4 أسنة مُكباً على التدريس والتصنيف وتصحيح المطبوعات. وهناك اعتنق المذهب الإنجيلي. ثم رأت جمعية الكتاب المقدس أن ينتقل إلى انكلترا كمساعد للدكتور لي (Lee) في ترجمة التوراة إلى العربية. فقضى مُدة في هذه المهمة عاد بعدها إلى عمله السابق في مالطه. وسنحت له فرصة وهو في مالطه فزار تونس زيارة قصيرة. اتبح له في اثنائها الاتصال بالباي حاكمها فمدحه بقصيدة ونال رضاه وعطفه. وطلب ثانية إلى انكلترا لاكمال ترجمة التوراة فأقام فيها عدة سنوات، حتى إذا انتهى من عمله هُناك انتقل إلى باريس. واتفق أن باي تونس زار فرنسا (والشدياق في باريس) وفرق مالاً كثيراً على فقرائها، ثم عاد إلى بلاده. فارسل إليه الشدياق قصيدة بمدحه ويُطري على فقرائها، ثم عاد إلى بلاده. فارسل إليه الشدياق قصيدة بمدحه ويُطري

جوده واحسانه، فاهتز لها الباي. وما عتم ان أرسل له مركباً حربياً يستقدمه إلى تونس. فسافر إليها والآمال تمال صدره. وهُناك قوبل بحفاوة وأكرام، وعُهد إليه بتولي التحرير في جريدة الحكومة الرسمية «الرائد التونسي». وفي تُونس اعتنق الإسلام وسمى نفسه أحمد فارس الشدياق)(1).

و(ما لبث أن تلقى دعوة من السلطات المثمانية في اسطنبول للعمل هناك. وفي اسطنبول باشر الشدياق باصدار جريدة :الجوائب؛ التي صدر العدد الأول منها في كتموز (يوليو) 1861، وتوقفت عن الصدور في العام 1884. وحقق الشدياق عبر «الجوائب؛ شُهرة عربية وإسلامية وعالمية)(2) بعد ذلك (اعتراه ضعف في بصره فاضطر إلى اعتزال العمل والجهاد الأدبي. وبعد سنتين من اعتزاله العمل زار مصر فلقي فيها ترحاباً وحفاوة من عُظماء البلاد ورجال المعلم فيها. لكن مقامه فيها لم يطل فعاد إلى الاستانة حيث وافاه الأجل المحتوم في 20 المول سنة 1887. وكان لوفاته رنّة في جميع الأقطار. وعملاً بوصيته نُقل جثمانه إلى لبنان، فاستقبله كبار القوم ودُفن في الحازمية قُرب بيروت)(3).

وترك مجموعة من الحكتب النفيسة والشهيرة منها «الساق على الساق في ما الفاوياق» و«الجاسوس على القاموس».

. وصف رحلته .

للرحالة أحمد فارس الشدياق كتابان في الرحلة الأول منهما (الواسطة في معرفة أحوال مالطة) والثاني (كشف المخبا عن فنون أوروبا) والكتاب الأول ألفه في أخبار جزيرة مالطة التي (قضى فيها أكثر من 14سنة فعرفها معرفة

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 141 -143.

⁽²⁾ الرحلة العربية الحديثة من أوروبا إلى الولايات المتحدة، د/يوسف الشويري ص29 -30.

⁽³⁾ الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، أنيس المقدسي ص144.

دقيقة وألم باحوال سُكانها وطبائعهم إلمام المطلع الخبير) (1). وأما الكتاب الثاني ف(بعد أن امضى الشدياق في مالطة نحو 14 سنة، ساقه عمله إلى بلاد الإنكليز وكان ذلك في سنة 1848، فوصف لنا سفره من مالطة إليها وما شاهده في طريقه من مُدن وأقوام، حتى إذا وصل إلى انكلترا واستقر فيها حدثنا عن أحوالها وعادات أهلها قارناً ذلك بكثير من المعلومات التاريخية والجغرافية والصناعية والزراعية وغيرها ..وله كلام طويل في وصف عادات الإنكليز، وقد زار في انكلترا عدداً من المدن وتعرف بحياة القرى، كما زار بعض حواضر اسكوتلاندا وأماكنها المشهورة. فجاءت أوصافه لبريطانيا وسنكانها شاملة وافية.)(2) وارتحل بعد ذلك من انكلترا إلى فرنسا، وعقد مقارنات عديدة بين أخلاق وطباع الفرنسيس والإنكليز ...(ولعل الشدياق كان العربي الوحيد الذي عاين الريف الأوروبي وحياة سُكانه عن كثب، إذ

. نصوس مُحْتارة من رحنته.

(آداب المالمة عند الإنكليز)

وعادتهم في المآدب أن يجلس الضيوف على المائدة، وتجلس صاحبة الدار في الصدر، وتأخذ في ان تُقطع لهم شرائح اللحم رقيقة، وتناول الصحفة للخادمة فتضعها الخادمة أسام الأكل، ولو حصل خمس حصص من تلك الشرائح لما شبع. والإكثار من أكل الخبز عندهم مظنة الهمجية. وقد أدبت مرة عند أحد أعيانهم، فلما جلسنا على المائدة أخذت الفوطة ووضعتها على حجري وكانت كسرة الخبر مخباة فيها فوقعت وأنا لا أدري واستحييت أن

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 154.

⁽²⁾ المعدر السابق ص156 ~157 يتصرف

⁽³⁾الرحلة العربية الحديثة من أوربا إلى الولايات المتحدة، د/يوسف الشويري ص33.

أطلب غيرها، وهم ظنوا أني تتكلزت في بلادهم. فلما تحركنا للقيام إذا بالكسرة لاصقة بنعلي فتذكرت حينئذ قصة ذلك السائل الذي طرق باب بخيلٍ فرمى له بكسرة خبر أخت كسرتي هذه التي انتعلتها فأخذها وتأملها، ثم طرق الباب مرة أخرى فقال له صاحب الدار قد أعطيناك فلم لا تنصرف؟ قال قد أعطيتموني هذا الدواء ولم تقولوا لي كيف أستعمله.

وإذا كان على المائدة لونان من الطعام أو ثلاثة كأن يكون مثلاً شواء من البقر ودجاج خيرتك الست أبهما تُريد فإذا تناولت من لون سقطت شفعتك من الثاني، وندر أن تُعطيك منهما كليهما، ولا يُمكن أن تُعطيك شيئاً أو بالأحرى من شيئه إلا إذا استطلعت رأيك فيه أولاً ها(1)

(طبالع الانكليز)

وإنهم أيّان يتغربوا يظلوا لهجين بذكر بلادهم وما فيها من المحاسن واللذات وقد رأيت كثيراً ممن سافروا إلى بلادنا وإلى مصر وباريس وغيرها فأشوا على تلك البلاد بشيىء وافق طباعهم منها، إلا أنهم عند ختم الكلام يقولون: (لا شيء مثل انكلترا) ...ومن طبع الانكليز أنه متى وثق أحدهم بإنسان وعرف منه الجد والاستقامة والأمانة، يأتمنه على زوجته وبناته فيذهبن ممه ليلاً ونهاراً بلا مانع. ومن يحضر إلى بلادهم بوصاة من عند معارفهم احتفلوا به وعدوه منهم وصموا آذانهم بعد ذلك عن سماع ما يُقال فيه من الذم ...ومن طبع الخاصة منهم أن يتجنبوا معاشرة العامة ما أمكن، ولذلك سببان: أحدهما وهو المشهور عند الناس، عظم الفرق بين الفريقين في الأطوار والأخلاق. فإن العامة في هذي البلاد ليس لهم حظ من الكياسة ولا تكاد خلائقهم وعاداتهم تُرضي أحداً من البشر ممن كان ذا ذوق سليم وطبع

⁽¹⁾ كشف المخبأ عن فنون أوروبا، أحمد فارس الشدياق نقالاً عن كتاب أدب الرحلات للدكتور حسين محمد فهيم مل 153.

مستقيم. فالأوباشية ظاهرة عليهم في كلامهم وحركاتهم وتخيرهم الألوان، وفي تصرفهم، (1).

(اغتباء الانكليز وفقرالهم)

دومع ما هم هيه (أي الأغنياء) من البعبحة والنعيم فلا بد وأن يكون لكل منهم دار في الخلاء (أي الأرياف) يُسكنها في الصيف هفي هذا الصقع الجليل تسطع أنوار السعادة من أبراجهم العلوية. وهُناك ترى الخدم والحشم، والخيل المُطهمة والعواجل (المركبات) النفيسة. وهناك تُمد الموائد بما عليها من الأطعمة الفاخرة المجلوبة من جميع البلدان وهُناك نتيه الكلاب على كثير من بني آدم ممن يتضورون جوعاً ويهلكون من الوسخ والبرد والمُري، ومن أكل اللحوم النتة ... هليس بين الجنة والجحيم في هذه المدينة بعد ما بين الجنة والعيم في الأخرة، (2).

(أوغاد مالطه)

والأوغاد يترددون حيث تنردد الخاصة وذوو الفضل. فقلما رأيت مكاناً خالياً منهم. وإذا لقوا أحداً من الوجوه سلقوه بالسنتهم ولمزوه. وأسوا من ذلك أن القُضاة يعتبرون هؤلاء الأنجاس عند التحاق والتخاصم اعتبار الخيرين من الناس. وهذا الذي جراًهم على التمادي في القبائح. وهؤلاء الأرذال إذا شربوا قدحاً واحداً من الخمر طافوا في الأسواق وهم زائطون ضاجون يُظهرون بذلك طاقتهم على الإنفاق، (3).

 ⁽¹⁾ كشف المخبأ عن فنون أوروبا، أحمد فارس الشدياق نقلاً عن كتاب الفنون الأدبية وأعلامها
 إلى النهضة العربية الحديثة لأنيس المقدسي ص157.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 160.

⁽³⁾ المصدر السابق س155.

(إسراف الإنكليز)

وولهم إسراف زائد في الأثباث، فإن أسرتهم، وموائدهم، وأصونتهم، وكراسيهم، وخزائن كتبهم من الخشب الماهيكون ...ومع ذلك فلن ترى لسيدة الدار خُلياً من الماس أو شالاً من الكشميري. وهي عكس عادتنا. ومن اسرافهم أن يُغطوا الدرج بالجوخ المنقوش أو الزرابي الفاخرة، وفوقها الكتان النفيس يدوسون عليه. ومراحيضهم في غاية النظافة والترتيب، حتى أن الفرنسيين إذا ذكروا مرحاضاً على هذه الصفة قالوا إنه مرحاض إنكليزي، (۱).

_ E. _

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 156.



محمد عياد بن سعد بن سُليمان عياد الشافعي المرحومي الطنطاوي



...علامة ، أديب ، لغوي ، شاعر ، رحالة ...(ولد في قرية نجريد من أعمال مركز طنطا ، سنة نجريد من 1810م ، ويُنسب إلى قرية مرحوم من أعمال مديرية غربية مصر والتي كان أبوه منها ، حيث عمل والده سعد ببيع القماش والصابون والبن. وفي بلدته مرحوم تلقى الطفل محمد عياد علومه الأولية ، حيث حفظ القرآن وأعاده ، ومن ثم قصد

طنطا لإكمال دراسته، وهي المدينة التي كانت حافلة بالمُلماء والفقهاء والفقهاء والفقهاء والفقهاء والفقهاء والفقهاء والفراء (أ) ثم انتقل محمد عياد الطنطاوي إلى القاهرة ودرس على مجموعة من شيوخ الأزهر، وظل طالباً للعلم حتى بلغ فيه شأواً لا يُبارى، واشتهر ذكره بين الناس، وكون علاقات واسعة مع بعض المستشرقين الروس، ودُرس عليه بعضهم علوم الأدب واللغة والشعر.

. وصف رحلته،

ونتيجة لهذه العلاقة طلب من مدرسة الألسن الشرقية بروسيا. لتدريس اللغة العربية فيها، وطلبت روسيا ذلك رسمياً من محمد علي باشا الكبير، الذي وافق بدوره على (إعارة كلية الألسن الشرقية الشيخ محمد عياد الطنطاوي لتدريس العربية)⁽²⁾.

⁽¹⁾ مقدمة رحلة الشيخ الطنطاوي للدكتور محمد عيسى صالحيه ص 10.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 13.

وكانت بداية رحلة الشيخ الطنطاوي إلى روسيا سنة 1840م، وظل في روسيا مُعلماً ورحالة (أكثر من عشرة أعوام)⁽¹⁾، زار فيها مُعظم المدن الروسية، وكانت نتيجة هذه الإقامة الطويلة كتاب بعنوان: (تُحفة الأذكياء بأخبار بلاد الروسيا)، جمع فيه كل مشاهداته في بلاد الروس ..يقول الدكتور محمد عيسى صالحيه: (كان الشيخ محمد عياد الطنطاوي يقضي إجازته متنقلاً بين البلدان الروسية، يطوف المتنزهات والغابات ويحضر الاحتفالات الرسمية والشعبية، وقد حظي بعناية مُتميزة في الدولة الروسية، عين مستشاراً في الدولة الروسية، وقلده القيصر نشان وسام ستانيسلان ووسام حنه، كما قلده القيصر خاتماً مرصعاً بالألماس الغالي)⁽²⁾ ويقول الدكتور صالحيه أيضاً: (إذا كان رفاعة الطهطاوي رائد عصر التنوير من خلال بعثته في أوروبا الغربية، فإن محمد عياد الطنطاوي هو راثد عصر التنوير من خلال وفادته في أوروبا الغربية، فإن محمد عياد الطنطاوي هو راثد عصر التنوير من خلال وفادته في أوروبا الغربية،

..وإلى جانب رحلته هذه فله كتب أخرى، أغلبها ما زال مخطوطاً، وكانت وفاة رحالتنا (الطنطاوي) في (29أكتوبر سنة 1861م، ودُفن في مقبرة فولكوفو الإسلامية) (4) بمدينة بطرسبورغ الروسية.

. نصوس مختارة من رحلته .

(اخلاق الروس)

المعادة الروس وأخلاقهم الكرم والإنفاق وحُسن معاشرة الناس، ويميلون إلى الفخر والكبر، وفي القديم كانوا مشهورين بالجبن حتى استعبدتهم النتار حيناً، لكن الآن انمكست القضية، وصار التتار مُنتعنين لهم ومن رعاياهمه(5).

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 30.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 14 -15.

⁽³⁾ المصدر السابق ص 14.

⁽⁴⁾ المصدر السابق ص 16.

⁽⁵⁾ تُعفَّة الأذكياء بأخبار بلاد الروسيا ص 185.

(رقص النساء مع الرجال)

ورأيت النساء . أيضاً ـ يلعبن ويرقمين من غير نكير، وهذه عادة تلك البلاد، إلا أن رقصهن بالحشمة مع الرجال، وربما رقص الرجل مع امراة غيره بحضرته من غير إحساس بغيرة، ويعدون ذلك من الأدب واللطف، وتقضية الزمان بالحظ والسبرة، (1).







الخريف والصيف، بكنس الطُرق وتوصيل ماء المطر إلى البالوعات وإزالة الوحل والقاذورات، وتجديد قطع الخشب والأحجار بالرمل، وفي الشناء والربيع بكنس الثلج وتنظيف المماشي منه، ورُبما توالى الثلج، فكلما سكن نظفوا وإذا جمد حكوه بالحديد، ثم رشوا عليه الرمل وكنسوه، فدائماً يُمكن التفسح بسهولة (2).

(التجاروالأعيان)

«التجار لا يُعدون في روسيا من الأعيان، فالتاجر ولو ملك ملايين لا يُعد

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 94.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 159.

من أهل هذه الرتبة ، إذا تزوج واحدة من الأعيان حط رُتبتها ، وصارت تُعد من التجار ، لأن الزوجة تابعة لزوجها في الشرف والخسة ، وبنت الأعيان لا تتزوج التاجر إلا بسبب غناه ، كما أن أحد الأعيان لا يتزوج التاجرة إلا لغناها ، فيختارون التمتع بلذة العيش ولا يُبالون بعقد الكفاءة (١).

(الراة تُنسب لزوجها بعد الزواج)

دإذا تزوجت المرأة سُميت باسم عائلة الزوج لا باسم عائلتها، ومن له بنات يُظهرهن في المجالس ويعمل لأجلهن ليالي رقص، عسى أن يُعشقن ويتزوجن (2).

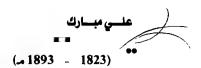
(مدارس الصم والبكم)

اللصم والبكم الذين يعقلون مدرسة فيها يتعلمون العلوم والتصوير والسرقص والألسن، لكن لا يتكلمون إلا بالإشارة، ولكنهم يكتبون كغيرهم ويرقصون كغيرهم، ومن عجيب ما رأيت أني حضرت ليلة رقص عند رجل من الصّم والبُّكم، فكان كثير من الراقصين والراقصات منهم، وكان اللاعب على القانون أعمى، فصاروا يتعجبون من كيف يعرف اللعب ولا ينظر، وصار يتعجب منهم كيف يرقصون على الموسيقى وهم لا يسمعونها).

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 186.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 198.

⁽³⁾ المصدر السابق ص 217.





علي سُليمان مبارك ...أديب رحالة و(علم بارز من أعلام النهضة العربية في القرن التاسع عشر، بل إنه واحد من الذين اسهموا في تحديث المجتمع المصري الفارق في عصور التخلف والظلام. وهو يقف إلى جانب أعلام بارزين في ذلك العصر كمثل رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده وغيرهما، ممن كان لهم سهم في تطوير المجتمع المصري، وتالياً

المجتمعات العربية . الإسلامية على أسس عصرية قوامها العلوم والمعارف الحديثة، مع الإصرار على أن يحتفظ الدين بمنصة رفيعة ومرموقة)⁽¹⁾، و(ولد على باشا مبارك أحد مُخططي العُمران في مصر عام 1823)⁽²⁾ في بلدة درنبال، بمحافظة الدقهلية المصرية . تلقى تعليمه الأولي على يد والده الشيخ مبارك وفي كُتاب قريته وكتاتيب أُخرى، والتحق بمدرسة قصر العيني، بعدها التحق بالمدرسة التجهيزية للهندسة.

و(اختير مع تلامذة قلائل للالتحاق بكلية دندسية عُليا في بولاق هي «المهندسخانة؛ التي كانت قد تأسست في أيار من العام 1834)⁽³⁾.

وبعد خمس سنوات قضاها في هذه الكلية، ثم ابتعاثه مع (بعثة علمية إلى الريس أوفدها محمد على باشا إلى العاصمة الفرنسية عام1844) (4) ...(وفي

⁽¹⁾ على مبارك المفكر والمعمر، سمير أبو حمدان ص5.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 11.

⁽³⁾ المندر النبايق من 30.

⁽⁴⁾ المصدر السابق ص 31.

باريس دخل «المدرسة المصرية العسكرية» العام 1844، وقضى هناك أربع سنوات، شم التحق في سنة 1848 بالجيش الفرنسي حيث أنهى تدريبه واستكمل العلوم العسكرية والهندسية. وعندما عاد إلى مصر وجد أن الخديوي الجديد عباس الأول يُريد منه تقليص المدراس الحكومية وخفض ميزانيتها. فقام بهذه المهمة كرجل عسكري بُطيع أوامر رؤسائه. ولم يلبث أن أرسله خليفة عباس، الخديوي سعيد، إلى الاستانة لينضم إلى القوات المصرية التي كانت تخوض حرب القرم إلى جانب الدولة المُثمانية. غير أن ارتقاء أسماعيل سدة الخديوية في 1863، وهو الذي بكان زميل دراسته في باريس، أعاده إلى داشرة الحياة السياسية والإدارية حيث تولى عدداً من المناصب والوزارات، خصوصاً الأوقاف والمعارف. وسافر إلى باريس مرة ثانية في العام والوزارات، خصوصاً الأوقاف والمعارف. وسافر إلى باريس مرة ثانية في العام الفرنسية).

. وصف رحلته.

إلى جانب كُتب أثيرية أبدعها قلم الراثد الحبير علي مبارك فله كتاب في الرحلة أسماه (علم الدين) (وهو عمل موسوعي رثبة المؤلف بأسلوب جديد حيث تناول عدداً هائلاً من المواضيع والعلوم والفنون تحت أبواب مُنفصلة دعاها ومسامرات، بلغت ماثة وخمساً وعشرين مسامرة. وأدرج المسامرات في إطار رواثي حيث يجري الحوار بين شيخ مصري اسمه علم الدين وابنه برهان الدين من جهة ، وبين مستشرق انكليزي من جهة أخرى. ويقوم هذا المستشرق بعد أن اصطحب معه كلاً من علم الدين وبرهان الدين إلى فرنسا ، بشرح معالم الحضارة الأوروبية. بينما يُساهم الشيخ المصري في ابداء آرائه انطلاقاً من ثلقافته العربية واحاطته بالتراث الإسلامي والعلوم القُرآنية) (2) ، (ولا يقتصر

⁽¹⁾ الرحلة العربية الحديثة، د/يوسف الشويري ص 71 -72.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 72 -73.

كتاب علي مبارك على تفاصيل الرحلة الباريسية لفقطاً، بل يشكل موسوعة ضخمة شملت كل العلوم في الشرق والغرب)⁽¹⁾.

. نصوص مغتارة من رحلته .

(الخانات)

مسبحان الله، أرى الإفرنج يعتنون باتقان جميع الأشياء، حتى خاناتهم ووكايلهم لا يتساهلون فيها كتساهلنا في خاناتنا ووكايلنا، فترى المسافر إذا نزل بمكان من خاناتنا ووكايلنا وجد المكان مجرداً من كل شيء، فلا يجد به ما يأكله أو يشربه أو يفرشه أو يستعمله، والويل لمن يعضي عليه بها الليل، لأنه يكون تحت تصرف أنواع الحشرات من البرغوث والقمل والبق والبرغش، (2).

(يامرسيليا)



ولم اسمع أحداً من جميع سُكان هذه البقمة يذكر اسم الله تعالى، بل اراهم في جميع نهارهم لا يتكلمون ولا يشتغلون إلا بأمورهم الدنيوية، وفي الليل لا يأوون إلا إلى محلات الملاهبي، ومن الغريب أنهم مع اعتنائهم بنظافة ملابسهم

وتزيين ظواهرهم لا يستعمل أحد منهم الماء في إزالة فضلاته ولا يستجمر ولا يفسل يده بعد الأكل، (3).

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 73. وما بين معكوفين من عندي.

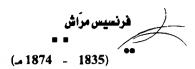
⁽²⁾ علم الدين، على مبارك، نقلاً عن المصدر السابق ص75.

⁽³⁾ المصدر السابق ص 77.

(البورصة الباريسية)

«مكان تجتمع فيه الصيارفة الكبار والسماسرة وعظماء التجار، وهو من ضمن العمارات العظيمة التي تتباهى بها باريز ..ومما يزيد الإنسان تعجباً أنه لا يوجد هُناك غير الكلام، وأما المُبادلة وقبض الدراهم فشيىء نادره (1).

(1) المعدر السابق ص 78 بتصرف يسير.



فرنسيس بن فتح الله مراش الحلبي ...أديب رحالة كاثوليكي (1)، ولد في



حلب (سوريا) سنة 1835م. (درس حتى سن المشرين علوماً عربية كالشمر والنحو، شم وطلب العلوم العالية واللغات، وعندما بلغ الخامسة والعشرين درس على وأحد مهرة أطباء الانكليز ...العلوم الطبية، وتابع دراسته هذه وهو يخ حلب مُدة أربع سنوات قرر بعدها السفر إلى باريس)(2)، (ليدرس الطب وأقام بها سنتين ثم

عاد إلى حلب)⁽³⁾ وكان نناج إقامته في باريس كتاب بعناوان (رحلة باريس) ، (وهو أقرب إلى الكراس، يصف فيه انطباعاته ويُورد بعض آرائه السياسية والاجتماعية)⁽⁴⁾.

.. ولفرنسيس (نزعة فلسفية علمانية اجتماعية في كُتبه ومقالاته، ولعله كان السباق في الأطلاع على وتبني أفكار دارويين ونظريته في النشوء والارتقاء، وإن لم يُشر إلى ذلك صراحة. وباشر كتاب رحلته الباريسية بمقدمة شبه فلسفية، ... وربما كان من أوائل الكتاب العرب الذين تبنوا مبادئ الثورة الفرنسية بحماس منقطع النظير ولعله أيضاً أول من ألف رواية سياسية باللغة العربية لشرح هذه المبادىء وتعميمها، وهي دغابة الحق المنشورة

⁽¹⁾ أدب الرحلات، د/حسين محمد فهيم، س113

⁽²⁾ الرحلة المربية الحديثة، ص 52.

⁽³⁾ ادب الرحلات، ص113.

⁽⁴⁾ الرحلة العربية الحديثة، ص 51 -52 بتصرف.

يخ المام 1866)⁽¹⁾.

. التمريف برحلته.

كانت رحلة فرنسيس مراش إلى باريس في العام 1866م، وظل فيها حتى أواخر الله م 1867م، وعاد إلى حلب ونشر كتابه (رحلة باريس) ... و(ترك مست على راسمه لحلسبا في 7أيلول (سمبتمبر) مستة1866م، متوجهاً إلى الإسكندرونة، ميناء حلب، ممتطياً فظهر كديش،)(2) وقبل أن يصل إلى يافا، مر باللاذقية، وبيروت، ومن يافا اتجه إلى الإسكندرية ومنها إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة، ثم عاد إلى الإسكندرية، ومنها أتجه إلى أوروبا قاصداً باريس.

و(لم يكن مرّاش سائحاً أو رحالة مرّ في باريس مروراً عابراً، فهو ذهب إلى هناك لدراسة الطب فاطلع عن كثب على الحياة الجامعية واحتك بالأساتذة و الطّلاب)(3) كما اطلع على تفاصيل الحياة السياسية في فرنسا وتأثر بأهداف ثورتها الشهيرة، ولم يغفل عن البحث في أسباب رُقيهم وازدهار حضارتهم.

. نصوص معتارة من رحلته .

(بين مرسيليا وليون)⁽⁴⁾

اأي أعين تُشاهد تلك الأرض المهتد فيها ذلك الطريق (سكة الحديد) ولم تلبس حلة الاندهاش والتعجب، وتسكب على القلب سلسبيل الابتهاج والطرب، وتدفع إلى النفس أنوار الأدب والتهذيب، فاتحة أبواب اجمد وأمنع القرائح. فلا يسعني هُنا الشرح عما رايته من خصب وازدهار هذه الأرض

⁽¹⁾الرحلة العربية الحديثة، ص 51 -52 بتصرف.

⁽²⁾ المصدر السابق ص53 بتصرف، وما بين معكوفين زيادة منى للتوضيح.

⁽³⁾ المصدر السابق ص59.

⁽⁴⁾ المصدر السابق ص 54.

السعيدة، وما يلوح عليها من بديع عناية البشر المتمدنة ونتائج سمو أفكارهم، لأن ذلك يحتمل مجلدات كبيرة ..ولكن أقول بأوجز المقال أن جميع تلك المسافات التي كنت أمر عليها، فلوات وجبالاً وهضاباً، كانت بُستاناً واحداً ومدينة واحدة. وما كنت أشاهد لون التُراب الطبيعي سوى بين اسطوانات



مدينة ليون

طريق الحديد حيث تكر العجلات، وما سوى ذلك فجميعه بسائين نضرة، وكروم مخصبة، وغياض أنيقة تتخللها الينابيع والأنهار، ورياض تبسم بثغور الزهور المتوعة الأشكال والألوان، تزهو رافلة بحللها

السندسية النضرة التي لا تذبل غضاضتها ولا تجف بضاضتها (١١).

(باریس)

وها أنا الآن في مركز مجد المالم واعجوبته، هو ذا تيار البخار قد دفع ني الآن في مدينة باريس، مصب أنهار المجاثب وموقع أنوار التمدن والآداب. وها قد أخذت عيناي ترى ما كان يراه ذاك الذي خطفته أرواح الآلهة إلى السماء الثالثة ..لوباريس، ذات شوارع رحبة العرض، مستقيمة الطول، حسنة التمهيد والتخطيط، مفروشة على الجانبين بأشجار مستوفية النظام والنسق لكي ترد حرارة الشمس وتأذن لرطوبة النسيم، جامعة كل شروط النظافة والاتقان، فلا يقوم هُناك للجيف الطاعونية انبعاث، ولا للأقذار الوبائية حشرات واسعة الفسحات،

⁽¹⁾ رجلة باريس، فرنسيس مراش، نقلاً من المندر السابق من 54 -55.

⁽²⁾ في كتاب الرحلة العربية الحديثة جأءت هكذا (حشر) وهو خطأ مطبعي.

محكمة الأسلوب،(1).

(لاكسل في باريس)

دما للكلل هناك موقع ولا للمال موضع، وما للأفكار تتاؤب على الأفواه أو نوم في اعماق الرؤوس. فهناك الجميع يتسابقون في ميادين التقدم والفلاح ... وهناك الجميع يجرون إلى الأمام، الجميع يتحركون، الجميع يتسارعون. الجميع يتسارعون الجميع يشتناون، الجميع متماضدون سوية ومنضمون إلى قوة واحدة للركض المصاعب والوصول إلى قمة الكمال والجمال، عالمين أن الهجوم إلى الأمام يُورث مُفخرة، والحركة نمواً، والتسارع اعتباراً، والشغل ثروة وغناء (غنى)، والانضمام قوة وسطوة، والوصول إلى ذلك شرفاً واقتداراً. وإن التهاون يلد تأخراً، والسكون قهقرة، والبطء احتقاراً، والبطالة فقرأ وفاقة ، والانفصام ضعفاً وانحطاطاً. والأمة الفرنساوية تتموج على بعضها كقطعة واحدة بدون نزاع جزئياتها ولا انقسام في كلياتها، سابحة في بحور كقطعة واحدة بدون نزاع جزئياتها ولا انقسام في كلياتها، سابحة في بحور الأمن والسلام بدون خوف من واشب اجنبي، أو حسوم غادر .. واقلة باذيال الحرية الكاملة بدون خشية من التعشر باشواك سيادة بريرية أو سلطة المربعة (أ.)

(اهمية اللفة عند الفرنسيين)

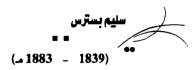
دالفرنسيون يُتقنون لفتهم تُطقاً وكتابة، وعلى كل منهم أن يعلم قواعد لفته، ويفهم أصولها، والذي يجهل ذلك يعتبر عندهم كالحيوان العديم التُطق لعدم معرفته صحة النُطق، لأنه متى زاغ النُطق زاغت الأفكار لوجود علاقة الدلالة بينهما . على أنه متى زاغ الدليل زاغ المدلول - فلا جرم إذاً أن يُعتبر زائغ المكون بهيمة لكون زيغان الأفكار دواماً يستلزم زيغان الإنسانية،(3).



⁽¹⁾ المصدر السابق من 56بتصرف وما بين معكوفين من عندى للتوضيح.

⁽²⁾ المعدر السابق ص 57 -58 بتصرف.

⁽³⁾ المندر السابق ص59.



سليم بسترس .. أديب رحاله ، ولد في مدينة بيروت سنة 1839م ، ونشا في (عائلة مسيحية ارثوذكسية ذات نشاط تجاري معروف برز فيها عدد من رجال المال والأعمال) (1) .. وكانت وفاته سنة 1883م.

، التمريف برحلته،

(لعل سليم بسترس من الرحالة العرب القلائل الذين توجهوا إلى أوروبا نتيجة دافع شخصي بحت، وليس نتيجة بعثة ديبلوماسية أو علمية . وقرر بعد القيام برحلته الأوروبية الاستقرار نهائياً في لندن حيث أنشا هناك محلاً تجارياً. ولا يـزال الغموض يكتنف بعض مراحل حياته، خصوصاً لجهة الأسباب الكامنة وراء رحلته)⁽²⁾ وكشف الرحالة سليم بسترس جزءاً من هذا الغموض حين يقول: (إنني بينما كنت مُثناقاً إلى السياحة في البلاد الإفرنجية وما يليها من الأطراف لمشاهدة تلك الديار الملوءة من التهذيب والنظام، دعاني إلى البُبادرة في ذلك قصيد تبديل الهواء لأجل تمكين صحتي التي كانت بحمدالله قد رجمت بعناية الطبيب الشهير إبراهيم أفندي سرهزار)⁽³⁾ فرالرحلة إذاً كانت في سبيل الاستشفاء والنقاهة، من جهة، وبناء على رغبة ضابة للاطلاع مباشرة على بلاد تتصف حياتها بدالتهذيب والنظام؛ (4).

(وشاهد سليم بسترس كل ما وطّن نفسه على مشاهدته، فتحقق لديه أن أوروبا من جهةٍ أخرى هي فعلاً وجود مطابق للصورة الذهنية التي كونها عنها

⁽¹⁾ الرحلة العربية الحديثة من اوروبا إلى الولايات المتعدة، د/يوسف الشويرى ص39.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 39 بتصرف.

⁽³⁾ النزهة الشهية في الرحلة السليمية، سليم بسترس، نقلاً عن المصدر السابق ص 40.

⁽⁴⁾ الرحلة العربية الحديثة ص 40.

وهو لم يزل <u>څ</u> بيروت)⁽¹⁾.

...وترك الرحالة بسترس كتاباً في الرحلة أسماه (النُزهة الشهية في الرحلة السليمية) وابتدأ مسار رحلته من بيروت إلى حيفا ومنها إلى الاسكندرية (وزار القاهرة زيارة خاطفة، وعاد إلى الاسكندرية ومنها إلى مالطا فإيطاليا) (2) ومنها توجه إلى فرنسا .. وزار أيضاً بلجيكا والنمسا وبريطانيا وبروسية.

. نصوص مختارة من رحلته.

(الله مرسيليا)

وولما فرغنا من الفُرجة على ممالك إيطاليا توجهنا إلى فرنسا، فدخلنا مرسيليا وتفرجنا بها على معصرة للزيت تدور على آلات بُخارية تعصر الزيت من السمسم وبزر الكتان وتُصفيه. وعلى كرخانة للسكر تعصر الشمندور وتغليه في حلل كبيرة، وتقصره على بخار العظام المغلية ليأخذ لون البياض المُسرق ثم تُصفيه وتسكبه في قوالب من النحاس. وعلى كرخانة اخرى للطرابيش فيها أنوال كثيرة تحيك نسائج من اللباد الأبيض السميك، ثم تُركبه على قوالب مختلفة فيكون طرابيش تامة لا تحتاج إلا الصباغ، (3).

(باریس)

«توجهنا إلى باريس فوجدناها جنة الدُنيا وسلوة الغريب عن وطنه، لأننا أقمنا بها تسعة وعشرين يوماً، وكنا نقضي النهار وأكثر الليل بالتجوال والترزه والفُرجة على مناظرها الجميلة، وكان كل ذلك كأنه يوم واحد ... وبالحقيقة أن اللسان يعجز عن تفصيل ما في هذه المدينة من الترتيب والنظام، إن كان من جهة اسواقها أو ابنيتها أو منزهاتها، أو طُرقها أو بسائينها أو

⁽¹⁾ المعدر المنابق ص 40.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 41.

⁽³⁾ المصدر السابق ص 41.

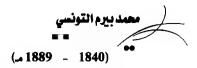
نظام عيشتها الرغيدة. فنقول بالاختصار أنها تحتوي على ألوف من الشوارع والأزقة الواسعة. وبيوتها وحوانيتها كلها مدهونة بالألوان المختلفة. وعلى كل جانب من الشوارع مسطبة مبلطة (أي رصيف) تمر المشاة عليها. وفي الوسط بُقعة فسيحة غير مبلطة لأجل مرور الكروسات (أي عربات الخيل) فترى ألوف بُقعة فسيحة غير مبلطة لأجل مرور الكروسات (أي عربات الخيل) فترى ألوف من الناس يمرون بكل احتشام على تلك المساطب. وألوف ألوف من الكروسات تراها مقطورة، منها على أربعة أفراس، ومنها على اثنين، ومنها على فرس واحد، متنابعة بركض سريع. والذاهبة منها ثمر على الناحية اليُمنى والقادمة على اليُسرى. وإذا خالف أحد هذا الترتيب أو ازعح أحداً في طريقة أو حدث منه أذية لأحد يقع تحت القصاصة (1).

(اهائی ثندن)

ايتصفون بحسن التدين وعندهم محبة وثبات في العلوم والصنائع اكثر من كل أهل الدنيا .. وأهلها لا يزالون مزدحمين في الأسواق منعكفين على أعمالهم لا يلتهون عنها بالنتزه والخروج إلى الجنائن والبساتين. وهم يُحبون الإحسان إلى الفقراء فيعطون كل سنة نحو ثلاثة ملايين ونصف من الليرات، عدا جمعية الصدقة التي تُعطي سنوياً نحو سنة آلاف ليراً» (2).

 ⁽¹⁾ النزهة الشهية في الرحلة السليمية، سليم بسترس، نقالاً عن المسدر السابق من 42 -43
 نتسرف.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 47 -48 بتصرف.



محمد بيرم الخامس التونسي .. أديب، رحالة ، مُصلح اجتماعي، ورجل (دولة ودين)⁽¹⁾.. (ينحدر من عائلة تولت القضاء ومشيخة الإسلام، أما هو فتولى رئاسة جمعية الأوقاف، وأيّد الإصلاحات والتنظيمات التي شرع بها صديقه خير الدين التونسي خصوصاً بعد 1873. وسافر محمد بيرم إلى أورويا أكثر من مرة، إما بهدف التداوي، كما يقول، أو نتيجة مهمة ديبلوماسية، اكثر من مرة، إما بهدف التداوي، كما يقول، أو نتيجة مهمة ديبلوماسية، واستقر في اسطنبول قبل احتلال فرنسا لبلاده بقليل، وحظي برعاية السلطان عبدالحميد المالية والسياسية، ثم غادر العاصمة العثمانية وحلَّ في الديار المصرية حيث بدأ بنشر كتابه «صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار» ثم اكمل نشره ابنه بعد وفاته، وهو يتكون من خمسة أجزاء)⁽²⁾ وبعد أن استقر (في مصر سنة 1884م أصدر جريدة «الاعلام»، وتولى خطة القضاء في مصر الابتدائية الأهلية)⁽³⁾ وكانت وفاته سنة 1889.

. وصف رحلته .

قام الرحالة محمد بيرم الخامس التونسي (بثلاث رحلات إلى أوروبا بين 1875 و 1879 و المحتاب وصفوة الاعتبارة يُمثل شرة هذه الرحلات مجتمعة وهو يتحدث كفقيه ورجل إصلاح، فتجده يتمسك بأهداب الدين الإسلامي من جهة، ويدعو إلى تدارك تدهور العالم العربي والإسلامي من جهة آخرى) (4).

وأصدر بيرم التونسي كتاباً في الرحلة في خمسة أجزاء أسماه وصفوة

⁽¹⁾ الرحلة العربية الحديثة من اوروبا إلى الولايات المتحدة، د/يوسف الشويري ص 82.

⁽²⁾ المعدر السابق ص 82. بتصرف يسير.

⁽³⁾ المصدر السابق ص 90.

⁽⁴⁾ المعدر السابق ص 83.

الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، وهذا الكتاب (يُمثل قمة أدب الرحلات العربية إلى أوروبا في القرن التاسع عشر، فهو يمتاز عن سواه بدقة تقسيم المواضيع وشمولية السرد والحديث عن مُعظم الأقطار الأوروبية، إضافة إلى تركيزه على الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تونس ومصر والدولة العثمانية)⁽¹⁾ و(نشر بيرم اصفوة الاعتبار، بعد أن كانت فرنسا استكملت احتلال الجزائر . أي ما بين 1830 و1847 وهو عام إلقاء القبض على الزعيم الجزائري الأمير عبدالقادر ونفيه إلى الخارج، وقضت بريطانيا على حركة أحمد عرابي في مصر . في العام 1882 .، ودخلت بلاده تونس تحت الحماية الفرنسية، ولذلك نراه يربط دائماً بين الأوضاع الداخلية واسياسة الخارجية للدول الأوروبية)⁽²⁾.

. نصوص مُختارة من رحلته.

(سُكان ريف إيطاليا)



السيس من عدادتهم الحياء، مثل ما هو عندنا، فترى البنت تُخاطب زوجها وتفاكهه أمام والديها، بل وتفعل ذلك مع خطيبها، وتسرقص مسع الرجدال أمامهم. هذا في البنات فكيف بالبنين. وعندهم

أن الغناء ليس بمعيب من النساء، فترى أكبر الأعيان يحتفل في داره بدعوة عامة، وتصير بنته أو زوجته أو إحدى النسوة الأعيان المدعوات تُغني في ذلك

⁽¹⁾ المصدر السابق ص82 - 83.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 85 مع هامش رقم 2و3 من نفس الصفحة

الملأ، وترقص مع الرجال على أشكال شتى من معانقة ومخاصرة وغيرها، ولا تأثيم في ذلك بل يرونه إكراماً بحيث أن المسلم الفيور يكاد يتفطر مما

برى (أ).

(وما أدراك ما باريس)

وباريس وما أدراك ما باريس هي نُزهة الدنيا وبُستان العالم الأرضي واعجوبة الزمان .وهي نموذج لغرائب مصنوعات البشر ، وحُق للفرنساويين التفاخر بها ومباهاة الأمم بمحاسنها وجمالها ومعارفها ومصانعها (2).

(الإنكليز والتبشير)

د ومما اختصت به انكلترا وجود جمعية دبنية (3) انشر مذهبهم البرتيستانتي، وانفاق النفقات الباهظة على إرسال الرُسل لتتصير الناس في أقسام الأرض وحماية دولتهم وراءهم، فيغرون الناس بالمال وبالمباحثات الدينية وبفتح المدارس لتعليم العلوم ودرس العقائد فيها. وقد بذلوا مستطاعهم في الهند لتبديل عقائد أهله وحصلت مع المسلمين مباحثات شهيرة وكان الانتصار فيها ولله الحمد للمسلمين، حتى أنه أسلم بسببها كثير من المجوس، بل في هاته المدة أسلم أربعة قسوس من الذين تصدوا للنزاع والجدل بسبب صدق الديانة الإسلامية ورسوخ العلماء هناك وتبحرهم في العلوم، (4).

(بضالع الإنكليز لا تبور)

الن تبور لهم بضائع ولا تُقفل لهم معامل، فما يُنتجه ثلاثون مليوناً من

⁽¹⁾ صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، محمد بيرم التونسي، نقـلاً عن الرحلة العربية. الحديثة ص 88.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 83.

⁽³⁾ في كتاب الرحلة العربية الحديثة جامت هكذا (دبانيه).

⁽⁴⁾ المصدر السابق ص 87.

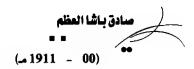
الانكليز من الصنائع يكونون مطمئنين على رواجه في مستعمراتهم كُل على قد احتياجاتها ، زيادة عن المالك الأجنبية ، وكفى بذلك غنى للأمة الانكليزية ، وأى فائدة أعظم لها من ذلك (أ).

(أهالى الشمال الإيطالي)

«تقدمت فيهم الحضارة أكثر من أهل الجنوب، إذ أهل الجنوب والوسط لا زال فيهم أناس على سنذاجة تقرب من التوحش، وكلهم على الديانة النصرانية على المذهب الكاثوليكي، إلا خمسة وثلاثين ألفاً منهم على المذهب البرتيميتية، وثلاثة وعشرون ألفاً من اليهود، ومن الأهالي ستون ألفاً من جنس الأرناؤوطه (2).

(1) المصدر السابق ص 86.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 88.



صادق باشا المؤيد العظم ...رحالة سوري شهير ومن رجالات القرن التاسع عشر الميلادي، وله ييروت واصل عشر الميلادي، وله ييروت واصل الدراسة، وأتم دراسته العليا في الأستانة وبرلين (وتخرج من كلياتها الحربية) (أ) ...(وكان قائداً عسكرياً كبيراً في الجيش العثماني (قريق أول)، ومندوب الدولة العلية في بلغاريا، واضطلع بمهمات عديدة على الأصعدة العسكرية والدبلوماسية، منها الإشراف على مدّ الأسلاك البرقية من دمشق إلى الحجاز)(2)، وفي أواخر أيامه لزم دمشق وفيها توفي ودفن سنة 1911م.

زار صادق باشا العظم أوروبا، وارتحل إلى الحبشة ودون رحلته إليها في كتاب بعنوان: (رحلة الحبشة من الأستانة إلى أديس بابا سنة 1896م) وارتحل كذلك إلى صحراء أفريقيا الكبرى، وجمع نصوص رحلته إلى هذه الصحراء في كتاب.

. يقول الكاتب نوري الجراح: (بدأ صادق باشا رحلته [إلى الحبشة] في المراكز المرا

⁽¹⁾ مقدمة رحلة الحبشة لنوري الجراح ص 11.

⁽²⁾ مقدمة رحلة الحبشة لنوري الجراح ص11.

⁽³⁾ ما بين ممكوفين من عندي للتوضيح.

الكاتب يوماً ولم يدون فيه ما شاهده وسمعه وقراه ووقع له، حتى ليُخيل إلينا أن الكاتب لا هم له أكبر من تدوين الرحلة ، والواقع أن صادق باشا العظم يُغصب هنا عن كاتب رحلة محترف، ورحلته هذه تضعه في مصاف كبار كتابها العرب والأجانب، لما يتميز به من دقة في التعبير، وأمانة في النقل، ورهافة في وصف المساهد، وذكاء في قراءة الظواهر، وبساطة في اللغة ، وطلاوة في العبارة ، وطرافة في التعليق . وتُصنف هذه الرحلة في عداد الرحلات الديلوماسية)(1).

. نصوص مُختارة من رحلته إلى العبشة.

(اللح مع القهوة)

وكنت أجد من يوم ورودي إلى أديس بابا طعم ملح في القهوة إن كانت بسكر أو من غير سكر وما كنت أعلم سبب ذلك، وعلمت اليوم أنهم يضعون الملح في القهوة زيادة في إكرام الضيف لأن ثمن الملح فنا غال جداً، وقد حدث اليوم أن طاهي القهوة وضع في قهوتنا ملحاً ثم أتى أجيره فوضع هو أيضاً مقداراً من الملح فيها ظناً منه أن كبيره لم يضع فيها لملحاً أفي فلم نقدر أن نشريها، ولما علمت ذلك منعت الخدم المكلفين بعمل القهوة من وضع الملح في القهوة وقد اندهش الخدم من هذا التبيه وأخذوا يمتذرون مظهرين لنا لزوم وضع الملح وضع الملح في القهوة حتى لا يحطوا بكرامتنا على زعمهم ولم نقدر على منعهم إلا بواسطة صاحب المنزل الذي عرفته بأننا لم نتود في بلادنا وضع الملح في القهوة المناه الذي عرفته بأننا لم

(انواع المقويات)

وإن العقوبات في بلاد الحبشة تُرتب كما ترتب في البلاد الأخُرى حسب

⁽¹⁾ المصدر السابق بتصرف ص 11 -12.

⁽²⁾ ما بين معكوفين من عندي للتوضيح.

⁽³⁾ رحلة الحبشة من الأستانة إلى أديس بابا ص 187 -188 بزيادة يسيرة.

الحنابة والحنعة والمخالفة وإنما عقوباتهم شديدة كشدة طعم الفلفل الأحمر عندهم، فالمخالفات عقوبتها بالسوط فيربطون يدى ورجلي المحكوم عليه بسيور من الجلد أو بالحبال ويُكب على وجهه ثم يأتي أربعة من الرجال ويشد كل واحد منهم الحبل أو السير شداً متيناً حتى يُخيل للناظر أن أعضاء المكوم عليه سينفصل بعضها عن بعض ويعلو حسمه عن الأرض من شد الحيال وبعد ذلك يأخذ الحلاد بجلده بسوط طويل على أفخاذه وظهره وسائر جمعه العاري عن اللباس. وعقوبة السرقات قطع الأيدي والأرجل وياتي أقرياء المحكوم عليه أو من يُحب أن يعمل عمل خير بقليل من الزيت ويفاونها على النار أو يُحمون حديدة لدرجة الاحمرار قبل تنفيذ الحُكم فعند قطع اليد أو الرجل يضعون محل الجرح في الزيت المغلى أو يكوونه بالحديدة الحامية لأنه إذا لم يُعمل ذلك ويترك الجرح كما هو يموت من كثرة نزيف الدم من الجُرح وأكثر المحكوم عليهم يموتون بعد التنفيذ. أما القتل فعقوبته القتل إذا لم يرضُ ورثة المقتول بالدية فيُسلم القاتل إما إلى الجلاد مُباشرة وإما إلى الورثة، فإذا سُلم إلى الورثة يقتلونه بمثل ما فتل أي إذا كان قد فتل بالرصاص يقتلونه بالرصاص وإن كان قتل بالسيف فبالسيف، وكثيراً ما يتجاوز الورثة في تنفيذ هذه الأحكام حدود الإنسانية فيمثلون به تمثيلاً شنيعاً ويعذبونهه (1).

(حنان الحبشيات)

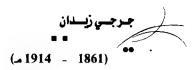
المر بضع نسوة فاستوقفت نظري مخلاة معلقة على ظهر إحداهن وفيها طفل صغير فعلمت أن النساء الحبشيات يحملن صغارهن على ظهورهن ضمن مخلاة ولا يُفارقنهم قبط في ذهابهن وإيابهن وقيامهن وجلوسهن. وعلى هذا المنوال ينمو الطفل على جسم والدته كما ينمو الغصن الصغير على الشجرة. والناظر لا يرى من الطفل سوى الرأس الذي لا تؤثر الشمس عليه قبط مع أن الأبيض لا يقدر على الوقوف في الشمس خمس دقائق من غير مظلة، لأن

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 163.

شمس هذه البلاد مؤثرة جداً فإذا أصابت الإنسان بضرية منها يلتهب الدماغ ويقضى على المصاب في الحال، وإذا بكى الطفل أثناء سير الأم فإنها تسحب المخلاة إما على اليمين أو على الشمال وتُرضعه وهو في كيسه وبعد الفراغ من إرضاعه تتنفض فتذهب المخلاة إلى محلها القديم على ظهر المرأة، (1).

8 0 0

(1) المصدر السابق ص 99.



جرجي بن حبيب زيدان .روائي شهير، كاتب صحافي مُتميز، رحالة ...ولد في بيروت سنة 1861م وبها نشأ (وتعلم القراءة والكتابة ومبادئ النحو



والحساب، ولم يُكمل تعليمه، بسبب اضطراره للعمل إلى جانب والده، حيث انقطع عن الدراسة لمدة تزيد على سبع سنوات، لكن حنينه إلى المدرسة وتعلقه بالكتب دفعام إلى متابعة الستعلم الذاتي، فأخذ في تعلم اللغة الإنكليزية، وقدراءة العديد من الكتب في الشعر والأدب والعلوم والرياضيات والكيمياء والفزيولوجيا وغيرها، مما أهله لدخول كلية الطب في الجامعة الأمريكية ببيروت، فأحرز تفوقاً في السنة الأولى)(1)

بعدها اضطرته مجموعة من الظروف للسفر لمصر وترك لبنان، وفي مصر نمت أفكاره وأزهرت رياحين اطروحاته واشتهر أمره وذاع، وعُد في العالم العربي من رُواد نهضته الأدبية والفكرية .وتُوفي سنة 1914م.

.وصف رحلته.

إلى جانب كُتبه الأثيرة (2)، لجرجي زيدان كتاب في أدب الرحلات، قص فيه رحلته إلى أوروبا التي قام بها سنة 1912م. وعن هذه الرحلة يُحدثنا الباحث قاسم وهب فيقول: (لم تكن رحلة جرجي زيدان إلى أوروبا سنة

⁽¹⁾ مقدمة رحلة جرجي زيدان، قاسم وهب ص1 أجزيادة بسيرة.

⁽²⁾ وهو مؤسس مجلة الهلال الشهيرة.

1912م رحلة استجمام واستمتاع بقدر ما كانت رحلة علمية مبرمجة، تجشم القيام بها في آخر العمر ليكتب وصفاً مُفصلاً ودفيقاً عن أحوال المدنية الغربية ممثلة بكل من فرنسا وإنكلترا اللتين تُجسدان خلاصة هذه المدنية في جانبيها المادي والمنوي، في الوقت الذي كانت تتطلع فيه عيون الشرقيين إلى الخروج من ربقة التخلف، والسير في ركاب الأمم المتمدنة)(1).

. نصان مُعتاران من رحلته.

(اخلاق الإنكليز)

هومن الأخلاق المشهورة عن الإنكليز أنهم متكبرون يترفعون عن مخالطة سبواهم من الأمم. وهي تُهمة لا تخلو من الحقيقة. إن الانكليزي معجب بنفسيه، يفتخر بدولته وأمته، وينفرد عن سائر الأمم فلا يُزاوحهم أو يختلط بهم إلا بما تقتضيه المصلحة التجارية أو السياسية. ولا عجب فإننا في عصر الانجلوسكسون كما كان العرب في إبان دولتهم والرومان قبلهم. ولكل أمة عصر إذا تفوقت فيه على سواها توهّمت امتيازها الفطري عليهم بالجبلة الأصلية وهي طبعاً لا تتبال ذلك التفوق إلا لمواهب تمتياز بها عن سواها. وممًّا يوجه إلى الإنكليز من الانتقاد أنهم أنائيون يُحبون الاستثثار بالمنافع لأنفسهم، وهـو خُلـق فطـرى في الإنسـان لا يخـتص بأمـة دون أخـرى. لكنـه يظهـر في الإنكليزي، لأنه لا يُبالى أن يُظهره ويتمسك به ولا يهمه ما يُسميه الآخرون أريحية أو نجدة ويعدونها من أسمى المناقب، فهو لا يُعرض نفسه للخسارة لمنفعة سواه كما يفعل الفرنساويون مثلاً، أو كما يفعل العرب ويعدونه من مفاخرهم ولذلك كان المرب أسرع اختلاطاً بالفرنساويين. ومن مقتضيات الجنوح إلى الحقائق أن الإنكليزي صريع في أقواله وأعماله، لا يقول غير ما يعتقده ولو ساءك قوله. فيظهر ذلك منه مظهر الجفاء، ولكنه بعد المجاملة ضرباً من العبث، فلا بزال يتجنبك حتى يتعرفك، ويثق بك فيمد لك يده، ويُصافحك، ويكون عند ذلك من أخلص الأصدقاء وأظرف الحلساء، (2).

⁽¹⁾ المعدر السابق ص 13 -14.

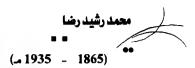
⁽²⁾ رحلة إلى أوروبا، جرجي زيدان ص 98 -99.

(طبائع الضرنساويين)⁽¹⁾

«الفرنساوي عامل نشيط يدأب على العمل بحماسة وهمة ، ولا سيما أهل الزراعة منهم فانهم قوبوًا الأبدان يعملون في حقولهم ينشاط، ولا تجدفي فرنسنا بُقِعة تقبل الزراعة غير مزروعة ، وكذلك العُمال والصُناع ، وسائر طبقات الناس، فإنهم نشيطون في ذهابهم وإيابهم في كلامهم وأشغالهم وفي أسفارهم فإن أحدهم ينزل من القطار ويحمل حقيبته (الشنطة) بيده فاذا كان منزله قريباً سار إلى بيته ماشياً لا يرون في ذلك باساً ، على أنهم إذا طلبوا غُلاماً أو رجلاً يحمل لهم الحقيبة في أشاء الطريق لا يجدون، وهي صفة يشترك فيها أهل أوروبا كافة، ويتأثر بها الشرقي حالما بطأ تلك القارة. وتقوم في نفسه رغبة في الهمة والنشاط فإذا رجع إلى بلده عاد إلى طبعه، إلا إذا توطن أوروبا طفلاً، ومرجع ذلك إلى طبيعة الإقليم. والفرنساوي ذكي الفؤاد، سبريع الخاطر، حاضر الذهن، فصيح، خفيف الروح، فيه ميل إلى الفنون الجميلة وذوق في الصناعة. وللفرنساويين ذوق في الجمال لا تُضارعهم فيه أمة ، يظهر ذلك خصوصاً في الباريسيين فإنهم قدوة الأمم في الأزياء على اختلاف أشكالها، ولهم ذوق في توليد الجمال مما لا جمال فيه من نفسه بترتيب أجزائه على شكل لا فاعدة له إلاّ النوق، وهو على أرقى درجاته في باريس، تُجد المرأة القبيحة الخِلقة تتزيا بزي يُناسبها، وتصفف شعرها تصفيفةُ تُتاسب ملامح وجهها فتظهر جميلة ...والفلاح الفرنساوي بسيط في لباسه وأخلاقه، ومهما يكن من فقره فإنك تُجِده نظيف الثوب، نظيف الفراش، بأكل على المائدة بالشوكة والسكينة بترتيب ونظافة ، فلا تستنكف إذا دخلت بيته من أن تجلس على مقعده، تأكل من طعامه، وتشرب من كأسهه⁽²⁾.

(1) العنوان لجرجي زيدان.

⁽²⁾ المعدر السابق بتصرف وزيادة يسيرة ص 37 -39.



محمد رشيد رضا ..علامة، أديب، رحالة .من مشاهير عُلماء الإسلام في



بدايات القرن العشرين، وعده الباحثون من رواد النهضة الأوائل أمثال الشيخ محمد عبده وجمال السدين الأفضائي وعبدالرحمن الكواكبي ...له مؤلفات في غاية من النفاسة والروعة تنضح بالفكر العبقري والتدويري، وهدو صاحب مجلة (المنار) الشهيرة ...ولد سنة 1865م في قرية القلمون (لبنان) وكانت وفاته سنة 1935م بمصر ودُفن بها.

. وصف رحلته،

للشبخ محمد رشيد رضا رحلتان شهيرتان إلى (سوريه) حيث قام بالأولى (سنة 1908م بعد إعلان الدستور العُثماني والثانية سنة 1919م بداية الانتداب الفرنسي)⁽¹⁾، وله رحلات أخرى أثبتها في مجلة (المنار) وقد اكتسبت رحلتاه هاتمان أهمية خاصة عند المهتمين بادب البرحلات، وذلك لأنهما رصدتا (التحولات الكُبرى التي عصفت بالمنطقة خلال الحبرب المالمية الأولى وسقوط الإمبراطورية العثمانية وتفككها)⁽²⁾ و(المكانة العلمية السامية التي اتسم بها هذا العالم الأديب تزيد من أهمية هاتين البرحلتين. فهو يُعد من كبار أثمة المسلمين والمصلحين الاجتماعيين في النصف الأول من القرن العشرين كسلفه المفكر الرائد عبدالرحمن الكواكبي. وقُدر لرشيد رضا في رحلته الأولى أن

 ⁽¹⁾ عن نص كلمة كُتبت على غلاف كتاب رحلته الذي نشرته دار السويدي بالتعاون مع
 المؤسسة العربية للدراسات والنشر تحرير وتقديم/ زهير احمد ظاظا ،ط 2001/10م.

⁽²⁾ المصدر السابق.

يشهد الآثار التي تركها إعلان الدستور النثماني على الحياة السورية، وفي رحلته الثانية أن يكون المؤرخ اليومي لوقائع دخول الجنرال غورو دمشق وإقصاء فيصل عنها وما جرى من أحداث وردت مُفصلة في رحلته، وكان الشيخ يومذاك يتصرف كمسؤول أول عن بلاد الشام، ويقترح على فيصل تعيين الوزراء وفي أحلك الظروف يقصده المسؤولون للإستشارة. وعاش مثالاً في الجرأة والصراحة، فحين اختلف فيصل مع أعضاء المؤتمر السوري، قال الأمير: أنا الذي أوجدته . يقصد المؤتمر . فرد عليه رشيد رضا قائلاً : بل هو الذي أوجدك فقد كُنت قائداً من قواد الحُلفاء تحت قيادة الجنرال اللنبي، فحملك المؤتمر ملكاً المؤتمر ملكاً المؤتمر ملكاً

. نصان معتاران من رحلته .

(معاهدة سايكس بيكو)

اتفق أن أعلن كل من دولتي إنكلتره وفرنسه عقب وصولي إلى الشام أنهما اتفقتا نهائياً على تنفيذ معاهدة (سايكس بيكو) المعروفة بمعاهدة سنة ألهما اتفقتا نهائياً على تنفيذ معاهدة (سايكس بيكو) المعروفة بمعاهدة سنة 1916م وأن إنكلتره ستخرج جنودها من المنطقتين الشرقية والغربية من سوريه، وتترك الأولى للجيش العربي العجازي والثانية للجيش الفرنسي، وما كان حملها للأمير فيصل على السفر إلى أوروبة في هذه المرة إلا تمهيداً لهذا العمل. وكان أهل سوريه عامة يظنون قبل هذا الإعلان أن الدولتين الحليفتين قد عدلتا عن تنفيذ تلك المعاهدة، لما رأوه من التنازع بين رجالهما في النفوذ أيام وجود اللجنة الأمريكية في سورية وسعي كل منهما في كل منطقة من المناطق الثلاث لكسب أصوات الأهالي في طلب انتدابهم لمساعدة البلاد أي لاستعمارها بهذا الاسم الجديد الذي وضع في قاموس السياسة بعد العلم بنفور الناس كافة من الأسماء الأخرى التي ابتذلت وزال انخداع الناس بها كلفظ

⁽¹⁾ المصدر السابق

الحماية والاحتلال الموقت، فلما أعلنت الدولتان اتفاقهما كبر وقع وعظم صدعه في قلوب الجماهير الذين خُدعوا بذلك التنازع، وظنوا أن إنكلتره تُفضل العرب على فرنسة، فكان كل من زارني منهم يسألني عن رأيي في فنا الحدث الجديد في السياسة الإنكليزية فكنت أقول: إنكم ترونه جديداً وأراه غير جديد، إن السياسة الإنكليزية ثابتة وما كان لعاقل أن يظن أن تُفضل العرب على فرنسة، وإنما عرض لفرنسة أمل جديد أحدثه إجماع السوريين في بلادهم وفي مهاجرهم كلها على وحدة سورية وعدم تقسيمها إلى ثلاث مناطق مختلفة الإدارة والسلطة فحسبت أنه يُمكنها جمل هذا وسيلة لاعطائهم سورية كلهاء (أ).

(مخمصة الحربوسوء اثرها)(2)

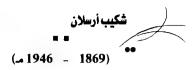
ولم أسمع من أهل دمشق من أخبار الجوع والعري إبان مخمصة الحرب إلا قليلاً من كثير ما سمعت من أهل لبنان والساحل، فدمشق كجزيرة في بحر عظيم من الجنات والبساتين، وأجنادها ورساتيقها ذات خصب عظيم، ولم يكن للترك من السلطات على اهراء غلالها في حوران وجبل الدروز ما كان لهم على غلال لواء طرابلس وحمص وحماء، بل كانوا يشترون القمح من الدروز بالثمن الفالي ويدفعون ثفنه من الذهب الأحمر لا من ورق النقد الذي ما كان يروج إلا بثلث قيمته، أو ربعها، فلهذا لم يكن شد خناق المجاعة على أهل دمشق محكماً كغناق لبنان وبيروت وسائر السواحل، لذلك كان أكثر من مات فيها جوعاً من الذين هاجروا إليها لا من أهلها، على أن الكثير منهم قد باعوا أثاث بيوتهم وجميع ما يملكون وبذلوه في ثمن القوت. وأما ما جرى في السواحل وجنوب لبنان ولا سيما قضائي المتن وكسروان منه فهو قوق ما كانت تشرحه الجرائد في مصر ويظنه أكثر أهلها من المبالغات

⁽¹⁾ رحلتان إلى سورية، محمد رشيد رضا ص 80.

⁽²⁾ العنوان من المصدر السابق ص 81.

التي يُقصد بها الطعن في الترك، فالحق أن كل ما وصفته كان دون الذي وقع، وقد ثبت عندي أن بعض الناس كانوا ياكلون كل ما يجدونه في المزابل والطُرق رطباً يُمضغ أو يابساً يُكسر، وثبت عندي أكل الناس الجيف حتى ما قيل من أكل بعض النساء لحوم أولادهن والعياذ بالله تمالى. وأخبرني كثيرون في بيروت وطرابلس أن الناس كانوا يرون الموتى في الشوارع والأسواق وألشرفين على الموت من شدة الجوع ولا يبالون لهم ولا يرثون لأنين المستغيثين بهم، فقد قست القلوب وكزت الأيدي حتى من الذين كانت تتضاعف ثروتهم من الاحتكار الذي ضاعف البلاء وعظم به الشقاء، فقد كان هؤلاء وغيرهم من الموسرين تستطاب لهم الألوان المتعددة، وكانوا يُقيمون المآدب للولاة وقواد الجيش الذي صبوا كل هذا العذاب على الأمة والبلاد حتى الطاغوت جمال باشا. وأما حفاوتهم بانور باشا ومن زار البلاد السورية معه فلم يُسبق لها نظير باشا، وأما حفاوتهم بانور باشا وروساء البلديات يهتمون بنقل جثث الموتى والمشرفين على الموت من الطرقات التي يمر فيها أنور باشا أو جمال باشا أو والي بيروت لئلا يتألم شعوره الحجري برؤية ذلك وأنى نتالم الصخور؟ (أ!)

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 81 -82.



شكيب أرسلان، أمير البيان. علامة، مؤرخ، أديب، رحالة .ورائد من رواد النهضة في العالم العربي. ولد في بلدة الشويفات (لبنان) سنة 1869م ...



و(بدأ التحصيل العلمي بالدرس على أيدي معلمين خصوصيين، وبقسي على هذه الحال حتى بلغ العاشرة من عُمره. ثم هبط من بلدته الشويفات إلى بيروت، فدخل مدرسة الحكمة حيث بقي طالباً فيها نحو سبع سنوات تلقّن في أثنائها اصول العربية والفرنسية. وانتقل بعد ذلك إلى المدرسة السلطانية فتعلّم التركية وبعض العلوم الدينية وغيرها. ولما أثم تحصيله

تولى بعض المناصب الحكومية، حتى إذا أعلن الدستور العُثماني سنة 1908 وبوشر بعد انتخاب نواب من البلدان العثمانية العربية لمجلس النواب العثماني، انتُخب نائباً عن مقاطعة حوران، فقصد الاستانة للقيام بواجبات النيابة)(1)

.. و(عاش شكيب أرسالان في حقبة من الزمان ذات أهمية كُبرى في تتاريخ الأدب العربي الحديث. فإنه ما كاد عصر الكبار من رواد نهضتنا يُشرف على المغيب في لبنان حتى أنجبه القدر فنشأ في آخر عهدهم، ورافق في حياته جميع التطورات الفكرية والاجتماعية التي حدثت في الشرق العربي. وقد شارك بقلمه ولسانه في هذه التطورات، فترك وراءه أثراً عميماً من أدبه

⁽¹⁾ الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، أنيس المقدسي ص 258 -259.

النشري والشعري.)⁽¹⁾ وكانت وفاته سنة 1946م تاركاً وراءه مجموعة من الكُتب والمؤلفات النفيسة.

وصف رحلته.

كان شكيب أرسلان (نضو أسفار. فمنذ ترك وطنه لبنان وهو في ريمان الشباب قذفت به الأقدار في شتى البلدان الشرقية والغربية ، تطول اقامته في بعضها ، وتقصر في البعض الآخر تبماً للظروف والأحوال. ومن البلدان التي زارها أو أقام فيها عدا الشرق العربي: تُركيا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا وسويسرا وانكلترا واسبانيا وأميركا وغيرها. وكانت رحلاته ذات ثمار أدبية وسياسية. فألف كتباً وصف فيها ما شاهده وما انطبع في نفسه ، وكتب ما لا يُحصى من الرسائل والمقالات السياسية . وبرغم ما شاهده من آثار ومآثر المدنية الفريية وما يتجلى فيها من ظواهر القوة والعلم والحضارة ، لم يتزعزع إيمانه بالإسلام وما شاده قبلاً من مدنية شهد لها التاريخ)⁽²⁾.

وكانت رحلات أمير البيان شكيب أرسلان (الله أوروبا لغرض سياسي الاسافر صيف 1917 في مُهمة رسمية إلى برلين، وزار بعض مُدن ألمانيا. ووصف هذه الرحلة في رسالة نُشرت تباعاً في جريدة «الجهاد» المصرية، وفي ثلاث رسائل كتبها فيما بعد سنة 1935 إلى رشيد رضا (ت 1935). ثم أوفده أنور باشا ثانية إلى برلين في حزيران 1918 ليعصل من الألمان على اعتراف باستقلال أذربيحان والطاغستان. وعندما خسرت الدولة المُثمانية الحرب بقي أرسلان في برلين. ثم أقام في سويسرا من أواخر 1918 إلى أوائل 1920. بعد ذلك عاد إلى ألمانيا، ثم سافر في حزيران 1921 إلى موسكو في مهمة سياسية أيضاً. وبين 15 آب و 21 إلى لندن في تموز 1922 بشأن الانتداب على سورية انعقد في جنيف، ثم سافر إلى لندن في تموز 1922 بشأن الانتداب على سورية انعقد في جنيف، ثم سافر إلى لندن في تموز 1922 بشأن الانتداب على سورية

⁽¹⁾ المعدر السابق ص258.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 261.

ولينان وفلسطين. بعد ذلك حضر مؤتمر جنوا في آب 1922 ، وزار روما. وأقام في سويسرا ما بين 1925 و1946 حيث كانت لوزان ثم جنيف مركزي نشاطه في الدفاع عن البلاد العربية ضد الاحتلال الأوروبي. وسنة 1927 زار كُلاً من الولايات المتحدة وموسكو. وإن لم يخص أرسلان هذه الـرحلات كلها بمؤلفات مستقلة ، فإنه وصف مشاهداته وانطباعاته في كتابيه اشوقي أو صداقة أربعين سنة؛ و «السيد رشيد رضا أو إذاء أربعين سنة» ثم في الفصول الطويلة التي أضافها إلى كتاب لوتروب دحاضر العالم الإسلاميء. وقد حج أرسلان إلى الحجاز سنة 1929 ونشر عدداً من رسائله في هذه الرحلة في جريدة والشورى، ثم ضمنها الكتاب الذي وضعه في رحلته الحجازية «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس المطاف، وفي صيف 1930 زار أرسلان جنوبي فرنسا واسبانيا وتطوان. وفي القسم الفرنسي من رحلته كتب «تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وابطاليا وجزائر البحر المتوسط». أما رحلته الأندلسية فكتب على أثرها مؤلفه الضخم والحلِّل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، وقد ضمنه فصولاً أضافية في التاريخ والجفرافية. وبين 1926 و1935 زار أرسلان مراراً بلدان أوروبنا الشرقية التي يقطنها المسلمون، ومنها بلاد البوسنة والهرسك التي وصفها في كتاب لا يزال مخطوطاً «الحلة السنية في الرحلة البوسنية»)⁽¹⁾.

. نص مختار من رحلاته .

(آثار العرب في اسبانيه)

ولا تزال آثار العرب حية في اسبانية، تشهد بفضل هذه الأمة، وتنطق بامتزاج الإسلام مع الحضارة، وإن كثيراً من الأماكن في تلك البلاد خصوصاً غرناطة وقرطبة واشبيلية بل بلنسية وطليطلة قد يظن الداخل إليها أن

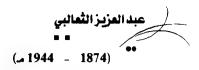
 ⁽¹⁾ الرحالون المرب وحضارة الفرب في النهضة العربية الحديثة الصراع الفكري والحضاري،
 الدكتورة/نازك سابايارد، ص 304 -306.

المسلمين لم يُغادروها إلا مُند عهد قريب، وقد اندمج كثير من الأوضاع العربية في البناء بالهندسة الاسبانيولي، كما اختلط اللسان الاسبانيولي بالعربي، وتولدت من هذا الاقتران ألفاظ خلاسية. وقد اتفق المحققون من مؤرخي الافرنجة أن اسبانية كانت مجاز العلم من الشرق إلى الغرب، ومبعث أشعة العرفان، أفاضها العرب، فاستنارت بها أوروبا، وامتدت بها طويلاً، وقد تركوا هناك آثاراً في الصناعة والزراعة والبناء، وافخم ما بقي عنهم منها مبانيها التي لا تزال إلى الآن بهجة السياح ودهشة الناظرين، (أ).



الاندنس

⁽¹⁾ خُلاصته تاريخ الأندلس، الأمير شكيب ارسلان ص307 بتصرف يسير



عبدالعزيز بن إبراهيم بن عبدالرحمن الثعالبي ..زعيم سياسي، مُناضل،



مُصلح اجتماعي، علامة، رحالة ... الحقه الدارسون بجملة رواد النهضة في السالم العربي أمثال الإمام محمد عبده وجمال الدين الأفغاني ومحمد رشيد رضا وعبدالرحمن الكواكبي (ولد في مدينة تونس الخضراء في 144 شعبان 1293هـ/1874م)(1) وبها نشأ في (كنف جده عبدالرحمن الثماليي القاضي المجاهد الجزائري الذي هاجر إلى تونس ترفعاً

واعتزازاً عن أن يعمل للفرنسيين فورث عنه أخلاقه العالية ومبادثه السامية)⁽²⁾. ورحفظ القرآن «بُكتاب» حومة الأندلس ودرس النحو والعقائد والآداب ودخل مدرسة باب سويقة الابتدائية في تونس، ثم التحق بجامع الزيتونة فقضى فيه سبع سنوات وتخرج عام 1896م حاملاً شهادة التطويع وأخذ يتردد على المدرسة الخلدونية مُتبعاً الدراسات العُليا، ولمّا تألف في تونس أول حزب لتحرير تونس ومقاومة الاستعمار الفرنسي عام 1895م انضم إليه ثم أسس الحزب الوطنى الإسلامي)⁽³⁾.

وكانت وفاته في شوال 1363هـ/أكتوبر 1944م في تُونس، ودُفن بها.

⁽¹⁾ عبدالمريز الثماليي رائد الحرية والنهضة الإسلامية، أنور الجندي ص 10 -11بتصرف.

⁽²⁾ المصدر السابق.

⁽³⁾ المصدر السابق.

. وصف رحلته .

ترك الرحالة الثعالبي مجموعة من الكتب النفيسة والمقالات الرصينة، على أن أهم كتبه هو كتاب (خواطر في رحلتي إلى الشرق) ..(ولقد كان الثمالين بطبيعته رجل هجرة ورحلة ، فقد رحل إلى مصر مُنذ 1897 وكانت له رحلات متوالية إبان العمل الوطني حيث قصد إلى الجزائر والمفرب الأقصى والأندلس واسبائيا وفرنسا وسويسرا. ثم كانت رحلته إلى فرنسا - مجدداً -والأستانة، ومنها انتقل إلى الهند وجاوه وعاد إلى تونس قبيل إعلان الحرب العالمية، غير أن رحلته الطويلة تلك التي بدأها أواخر 1923 إلى إيطاليا ومنها إلى اليونان وتُركيا ودخل مصر 1923 . أيضاً . وزار الحجاز وقصد المحميات العربية وانتهى به المطاف إلى بغداد فاستقر بها من 1925 إلى 1931 ثم عاد إلى مصر ومنها قصد إلى الصين 1933 وعاد إليها مرة أُخرى وفي عام 1936 غادرها إلى الهند على أن يرجع إلى تونس فقد أبلغه الفرنسيون أنهم سمحوا له بالرجوع فعاد إلى مصر أواخر ابريل 1937 وي602 يونيو غادر الاسكندرية إلى تُونس .. وتكاد تكون حياة الثعالبي كلها مُنذ 1897 إلى 1937 رحلة متصلة خلال اربعين عاماً كاملة، وهي حياة شاقة فيها الاعتقال والنفي والهجرة، هو خلالها دائب على التجوال ليتعرف إلى أحوال المسلمين في كل مكان، وتبليغ صوت تونس الحرة إلى كل صقم)(1).

وزار رحالتما عالي الهمة فرنمما وإيطالها وسويسره وبلجيكا والهند والصين وتُركها وأندونيسيا ومصر والعراق وبورسودان ومصوع وعدن والمكلا وبربره وكلكتا وبورما وجزيرة فلفلان وسهام وماليزيا وسنفافوره وسيلان والملايو والفيليبين وهونج كونج والحجاز وطرابلس وغيرها من البلدان والأماكن.

وقد كان الثماليي في رحلاته صاحب رسالة سامية، يحمل هم نهضة

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 28 -29 وص 67.

المسلمين بين جوانحه، فلذلك (درس في رحلاته حالة الشعوب الإسلامية دراسة عالم مُحقق)⁽¹⁾ لتخليصها من ربقة الذُل والاستعمار والجهل، وطار من بلبر إلى آخر حاملاً رسالة تقارب بين الشعوب الإسلامية، تقوم على أساس (الدين الإسلامي) الذي دعا إلى الحُرية والتفاني في سبيل طلبها، ومشى الثعالبي على فيكرة (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها).

. نصوص مختارة من رحلاته.

(ايام في الهند)

القد ذهبت إلى الهند في رحلاتي إلى الشرق الأقصى خمس مرات، وكنت في كل مرة أعود منها اشعر بنوع من الحنين إليها والشغف بالرجوع وكنت في كل مرة أعود منها اشعر بنوع من الحنين إليها والشغف بالرجوع إليها عند أول فرصة سانحة وعلى كثرة ما شاهدت من الأحياء وشاهدت من الأشياء، لم أجد بيئة تجتمع فيها الغرائب وتضطرم فيها العقائد وتنصهر فيها النفس الإنسانية مثلما وجدت في الهند. ملايين الناس وآلاف البيئات ومثات اللغات، جميع الأديان من الوثنية التي تؤمن بالأحجار إلى الصوفية التي تفنى في ذات الله. حدث ذات مرة أن دُعيت لمؤتمر جمعية العُلماء في بنارس فأخذت القطار من بومباي وسار بي إلى وسط الهند وفي بعض المحطات كان يقف فيها، كنا نجد جموع المسافرين من الهندوسيين تمد أيديها من النوافذ باكواب لكي ينالوا جانباً من الماء الذي يصبه السُقاة من البراهمة وهم يركضون، وذلك لأن كل هندوكي يخشى إن هو استبقى ماء معه في رحلته يركضون، وذلك لأن كل هندوكي يخشى إن هو استبقى ماء معه في رحلته أن تصله نجاسة من شخص قريب منه باللمس أو الظل أو النظر فيحرم عليه ولذا يفضل أن يبقى ظمآن على الرغم من شدة الحر حتى ينال جُرعة ماء طاهر من الساقي. وكان مفروضاً أن يصل القطار إلى بنارس في منتصف الليل من الساقي. وكان مفروضاً أن يصل القطار إلى بنارس في منتصف الليل ولكن مشقة الرحلة اضطرتني إلى الإغفاء فأغلقت باب الديوان ونمت وحين

⁽¹⁾ المعدر السابق.

جاء وفد جمعية العلماء إلى معطة بنارس وبحث عنى لم يهتد إلى مكاني فسار بي القطار إلى مدينة جواديا وهذه المدينة مركز الدعاية البوذية وفيها يعيش نفر كبير من أتباع كهنة جوتاما بوذا ولم يكن هناك سبيل إلى البقاء في هذه البلدة، فأخذت القطار العائد إلى بنارس وعند وصولي اسلمت مناعي إلى عربة إذ لم يكن أحد بانتظاري وطلبت من السائق الذهاب بي إلى أكبر فنادق المدينة. فسارت العربة نحو ساعة وأنا قلق من هذه الرحلة الطويلة التي لا أفهم لها سبباً وإذا بها تقف وإذا باربعة رجال يأتون من بناء مُقابل ويحملون حقائبي فظننت أنهم من خدم الفندق الذي أريده فلما تبعثهم ودخلت البناء وجدت نفسي في مسجد كبيروكان الوقت موعد صلاة الصبح فما إن انتهيث من الصلاة حتى وجدت المملين قد ضربوا حلقة حولي وسألني أحدهم (أنت سيد؟) أي من الأشراف فقلت : أجل. فطأطنا الجميع رؤوسهم قليلاً وأخذوا يُحدقون بي وهم صامتون كأنما هم حول معبود من معبودات الهند الكثيرة وبلفت بي الحيرة مبلغها ولم يُنقذني إلا وصول الشيخ عبدالحميد مندوب جمعية العُلماء الذي علم بقدوم زائر مسلم غريب إلى المدينة فأخذني من بين القوم وأمر بحقائبي فُحملت إلى منزله وسار بي إلى مقر الضيافة عنده وبعد أن استرحت واستقبلت بعض الزائرين احسست بحركة غريبة في المنزل فقد كان كثيرون يأتون إلى الشيخ عبدالحميد ويُسرون في أذنه كلاماً وكان هو كثير الاضطراب يذهب ويعود وكنت أسمع ضجة في الخارج، حسبتها أول الأمر عارضة ولكن تكرارها في ساعات متعاقبة حملني على أن أذهب إلى الشُرفة، لأرى ما هنالك وقد وجدت شيئاً عظيماً، آلاف من الناس، تتجمع أمام المنزل وفخ الطرقات ويصيح بعضها صياحاً مُنكراً فلما استفهمت عن جلية الخبر قبل لى أن هؤلاء المُتظاهرين من فريق المسلمين السلفيين الذين يؤمنون بالكتاب والحديث ويرفضون ما عداهما وأن الشيخ عبدالحميد من فريق الشافعية وكلا الفريقين يُخالف الآخر خلافاً عنيفاً وقبولي لضيافة الشيخ عبدالحميد تكفي لرميي بما يُرمي به فريقه ولذا فهم مستاؤون من أني ذهبت إلى مسجدهم وقد طهروا المسجد مراراً ودامت هذه الفتة أربعة أيام ولم اتمكن خلالها من زيارة بعض كبار الهندوس وعلى الأخص الفيلسوف (بهوانداس) وبعض معالم الهندوسيين، وبعد أن عادت السكينة إلى المدينة زُرت مسجد بنارس ذا القبة الذهبية وكان قديماً معبداً هندوسياً فانتزعه الملك أورانجريب من كهنته وحوله إلى مسجد، (11).

(اليمن . قطعة من أوروبا)

القد قرأت ما كتبه المتقدمون من رومان ويونان في وصف اليمن وما كنت أحسب عند سفرى إليها أننى سأرى فيها أوروبا فإن البلاد كلها تشقها جبال مكسوة بالأحراش تتخللها الزهور المطرة فالجو دائماً معطر بعبير الياسمين وهُناك حيث السماء الصافية والنجوم المتألقة والأرض المُزهرة تجود عبقرية الشاعر. وهُناك حقول شاسعة للزراعة مُنسِقة أحسِن تنسيق تُزرع فيها الحبوب بانواعها المعروفة في بلادنا والدخان(2) والنيلة والقطن والبن والقات، وقد لاحظت رُقي الزراعة في تلك البلاد فالحرث مُتقن والتنقية دقيقة ، حتى أنك لا تجيئء على عُشية في الأرض، والأرض ذات خصب كبير وكثيراً ما يبلغ طول عود الذرة ثلاثة أمتار حتى أن القافلة لو دخلت مزرعة ذرة لحجبتها عن الأنظار ومما يذكر أن البعض يُنزرع مرة ويُحصِد ثلاث مرات مثل أرض (لحج) وهي كثيرة الأمطار وجبالها مرتفعة. ومن يطوف اليمن يعتقد أنها ذات مدنية عريقة وليست بلاد بداوة يرى أنها تجمع بقايا مدنيات درست وقد كنت أرى القصور الشاهقة ذات الهندسية العجيبة منتشرة في مركز متصرفية الحدود إلى مدينة صنعاء ولم أقع في طريقي على بيوت الشعر أو الخصاص التي كُنت أراها في الحجاز والعراق أحياناً و(3).

 ⁽¹⁾ عبدالعزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية، أنور الجندي ص 74 -76.

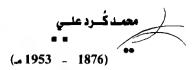
⁽²⁾ كذا في الكتاب ولعله الدِّحن.

⁽³⁾ المصدر السابق ص 73.

(المراق بلاد غنية .ولكن)

والعراق بلاد غنية لها مستقبل حسن إذا وجدت الأيدي التي تُساعد على استثمار منابع الشروة الغزيرة فيها فالعراق يصح أن يكون من خير مشاتي المالم متى مدت السكة من حيفا إلى بغداد إذ يتيمسر إقامة فتادق على شاطىء الفرات وجعل هذا الشاطىء قبلة السائحين الأوروبيين والأمريكيين وقد درست بنفسي أجمل مشاتي العراق وهي المنطقة الممتدة من الهندية إلى الكوفة حيث الحدائق والنخيل تمتد على ضفاف الفرات مُتطاولة متناسقة تتعكس صورها على ماء النهر فيرى الإنمان منظراً من أبدع المناظر لم يُر له مثل إلا على شواطىء سومطرة وجزائر البحر الهندي ويجد السائحون في فصل الشتاء هناك ربيعاً ويمتد من ديسمبر إلى مارسه (١).

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 70 -71.



محمد بن عبدالرزاق بن محمد كرد على. لُفوي، أديب، رحالة ...ولد في



مدينة دمشق سنة 1293هـ/1876م. و(تعلم في المدرسة (الرشدية) الاستعدادية، وتُحويخ والده وهو في الثانية عشرة من عُمره، فابتدأ حياته الاستقلالية صغيراً، وأقبل على المطالعة والسدروس الخاصة، فأحسسن التُركية والفرنسية، وحفظ أكثر شعر المتنبي ومقامات الحريري)(أأ...كتب في مجموعة من أشهر الصُحف والمجلات ـ حينها .

وترك مؤلفات كثيرة جعلته في مصاف كبار الكُتاب العرب، وأسس المجمع العلمي العربي بدمشق سنة (1919م) وتولى رئاسته. وكانت وفاته بدمشق سنة 1372هـ/1953م.

. وصف رحلته .

ترك محمد كُرد علي كتاباً في الرحلة بعنوان: (غرائب الغرب)، وهو خلاصة ثلاث رحلات قام بها إلى أوروبا، ابتداها سنة 1908م. وفي كتابه هذا عرج في الحديث عن دمشق ولبنان ومصر لابتداء مسيرة رحلته إلى أوروبا من هذه الأماكن وعن كتابه هذا يقول: (هذه فصول ومقالات بل آهات كتبتها في وصف ممالم الغرب وما تقيته وقد زرته ثلاث مرات الأولى في شتاء سنة 2371 (1908)، والثائثة في سنة 2181 - 1914، والثائثة في سنة

⁽¹⁾ الأعلام، خير الدين الزركلي ج 7 ص 73.

(1921 - 1921))، وقد زار كلاً من فرنسا وانكلترا وألمانيا وإيطالينا واستبانيا وسويسترا والبلجينك وهولانندا والنمسنا والمجتز والبلقنان والآستانة واليونان. وعن دوافع رحلته هذه قال: (كان من أعظم أماني النفس مُنذ بضع سنين أن أرحل إلى أوروبا رحلة علمية أقضى فيها ردحاً من الدهرم للتوفر على دراسة حضارة الفرب في مبعثها، واستطلاع طلع المعاهد، التي منها نشأ المخترعون والمكتشفون، والفلاسفة المنزهون، والصناع والزراع والماليون، وهم على التحقيق مادة تلك المدنية وهيولاها إلى أن قدر الله فأقام والى سورية السابق تلك القضية الملفقة على حريدة (2) المقتيس واحتال انتقاماً لنفسه لاقفال المطبعة وتوقيف الجريدة والمجلة قبل صدور حُكم المحكمة على فقلت الآن حان وقت الرحلة في طلب العلم والتفرغ لتحقيق ما في الخاطر، ريثما يتبين الحق من الباطل، والحالي من العاطل، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم)⁽³⁾. ويرى الرحالة محمد كرد على أن الرحلة والسياحة في الأرض تُجِديد للحياة . الرتيبة . وتهذيب للنفس الماولة ، حيث يقول: (السياحة تُجِدد الحياة وتزيد الاختبار وتعلم وتهذب وتزيد في الاعتبار بحوادث الليل والنهار، وإنى لأتمنى لكل من ساعدته الحال أن ينهض ليعتبر ويتعلم ويتسلى فإن النفس في قرارها تصدأ كما يصدأ الحديد بالرطوبة فهي تحتاج للنور والحرارة وإلاّ فتذبل الزهرة)(4).

. نصوص مُختارة من رحلته .

(باریس)

وإن فاخرت باريز بممارضها التي أقامتها في أوفات مختلفة لتلفت إليها الأنظار، وتستفيد الفخار والنضار، فإن لها لكل ليلة ممارض لا تختلف عن

⁽¹⁾ غرائب الفرب، محمد كرد علي.

⁽²⁾ هذه الجريدة أسسها محمد كرد إلى جانب مجلة (المقتبس).

⁽³⁾ المصدر السابق ص4.

⁽⁴⁾ المصدر السابق ص305.

السابقة إلا في كون البقعة التي تقوم عليها هذه أوسع مجالاً، وأكثر جمالاً. يصرف الباريزيون أو معظمهم نهارهم في الاستعداد لليلهم، وكثيرون لا يعملون إلا في الليل ويصرفون النهار في جمع قواهم، وادخار أحسن ما عندهم لما بعد الشفق، فهم لا يجعلون الليل لباساً والنهار معاشاً كما هي عادة مُعظم الأمم، بل إن الحركة عندهم تبدأ قبيل الظهر بطيئة، ولا تزال تتموحتى تغيب الشمس، وتطلع بدلها شموس وأقمار. ترى المدينة في النهار عاسة مُظلمة على كثرة جاداتها الكبرى وشوارعها المغروسة على جانبيها بالأشجار غائباً وطرقها وأزقتها وساحاتها العامة. وفي هذه الأماكن تشهد مجالس الحسن والإحسان، وما تفننت في إبداعه العوامل، وتلطفت في روائه الأفكار والأنامل. على تلك الأرصفة تُناجي النفس رب النجوى قائلة: اللهم هل خلقت باريز من معدن اللطف والظرف، لتكون مثالاً من جنة أرضية فخصصت أهلها بالاستمتاع بنعمة الجمال، حتى لكانك شطرته شطرين شطر وقفته على الباريزيات، وشطر وزعته على سائر بنات حواده (1).

(طباع السويسري)

والسويسري على اختلاف أصوله ولفته أفرنسياً كان أو ألمانياً قليل الفضول، لا يسألك في الفندق ولا في الشارع إذا تعرفت إليه عن مقاصدك ولا يتنبع عوراتك، ولا يسالك أسئلة لا تُحب أن تُجيب عليها .والسويسري كالإيطالي والألماني والانكليزي كثير الولد والذرية وأولاده لا يُعدون بالزوج بل بالعقد وبلفني أنه ولد لأحدهم من زوجة واحدة ثلاثون ولداً فهولاء أكثر من أن أما الأزواج الذي رزقوا العشرة والخمسة عشر ولداً فهولاء أكثر من أن يُحصوا فأولاد السويسريين كالبيض أو البرتقال يُعدون بالخمسات والعشرات يبلعب الأولاد حول أمهم وفي الحقل حتى السابعة من عُمرهم ثم يذهبون إلى المدرسة وعندئز يقل لعبهم حتى أن ابنة العاشرة أو الثانية عشرة تعمل أعمالاً

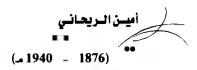
⁽¹⁾ غرائب الفرب، معمد كرد علي. الجزء الأول ص 51 -52.

من الخدمة وتحصيل المال يعجز عنها ابن العشرين أو الثلاثين في شرقناء⁽¹⁾. (الإنكليز)

والإنكليز أعجب أمم الحضارة في أخلاقهم وعاداتهم لا يقبلون الجديد إلا بشق الأنفس ولكنهم إذا قبلوه تناغوا فيه وحرصوا عليه وبرزوا على من سبقهم وسابقهم، (2).

⁽¹⁾ المصدر السابق ص 257 -258 بتصرف

⁽²⁾ المصدر السابق ص 184.



أمين الريحاني .. أديب، شاعر، مُفكر، سياسي، كاتب، رحالة .. ولد



سنة 1876م (في قريسة الفريكة بلبنان، وهي قريسة صغيرة ولكنها اصبحت به ذات شُهرة واسبعة، وفيها عشرة هاجر مع بعض ذويه إلى نيويورك طلباً للرزق، واستقر معهم في بعض أحياتها الحقيرة. ومنذ ذلك الحين حتى توفاه الله وها وفي الرابعة والسنين، تقلبت عليه أطوار شتى أصبح في نهايتها علماً من أعالم الأدب في الشارق

. وصف رحلته . جمل النقاد والدارسون للأدب العربي السيد/أمين الريحاني على مصاف

الرُواد من أعلام النهضة العربية الحديثة، وكنتيجة لذلك جآءت كُتبه المختلفة على قدر عال من الإبداع والسلاسة والمُتعة التي تشحذ الفكر بلطيف المعاني الرائقة، وجماليات الصور والتعابير الدقيقة والرصينة. ومن أجمل

⁽¹⁾ الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، أنيس المقدسي، ص 453.

كُتبه تلك التي دون فيها رحلاته المختلفة ومشاهداته في الأصفاع والبلدان التي زارها ... ويختلف أمين الريحاني عن الرحالة العرب في عصره ذلك أنه نشأ في الولايات المتحدة، وتعرف بعد ذلك باوروبا والبلاد العربية. فسنة 1916 كان في فرنسا، ثم زار الأندلس سنة 1917، وعلى اثر ذلك كتب مقالته ونور الأندلس، وبعض الرسائل، وحوالي سنة 1918م زار يوكانان في المكسيك ووضع في الإنكليزية The Land Of the Mayas الني لا يزال مخطوطاً. وفي شباط 1922 قيام الريحاني برحلته الأولى إلى البلاد العربية حيث زار الحجاز واليمن وعسير ولحج (أوالبحرين ونجد والكويت والعراق، وكتب على أثر هذه الرحلة وملوك العرب، وفي نيسان 1939 قيام الأمين برحلة إلى منطقة الحماية الأسبانية من المغرب الأقصى، ثم زار اسبانيا نفسها، ووضع كتابه والمغرب الأقصى،)(أ).

. نص معتار من رحلاته .

(منتماء ... مدينة الأساطير)

د. وما هي إلا ساعة بعد ارتحالنا من جزيز حتى تراءت لنا رؤوس المآذن يقتلك المدينة. ثم قباب مساجدها وهي بيضاء تتوهج في نور الشمس الذي يترجرج كالزئبق في الجاف الشفاف من الهواء. بينما نحن ندنو من نقم الذي أصبح على يميننا، إذ بدت لنا المدينة نفسها وهي محاطة بالجبال تمتد شرقاً وغرباً، كانها وهي كلها بيضاء، سلسلة من التلال الكلسية، في سهل ذهبي منقطع الاخضرار. اثنا عشر يوماً في المشقات. وهذه صنعاء تسيك اضعافها. أي صنعاء، مثلك لنا التاريخ فكنت مليكة الزمان، ومثلك لنا العلم فكنت يوماً ربة العرفان، ومثلتك لنا الأساطير فكنت سيدة الجن والجان. أجل، فكم من ليلة وفي اليد الكتاب وإلى جانب الكتاب نور شمعة ضئيل،

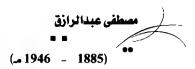
⁽¹⁾ لحج محافظة يمنية.

⁽²⁾ الرحالون المرب وحضارة الفرب، الدكتورة /نازك سابايارد من 306 -308 بتصرف.

تغلغانا في سراديبك، ووقفنا عند كنوزك، وطفنا حول قصورك، وسمعنا الشعراء ينشدون الشعر في دورك. واليوم ومطيئنا غير الخيال، نشاهد ما يُثبت المقال، ويحقى الآمال. هذه بيوتك العالية وقصورك الشاهقة فما كذب التاريخ. وهذا جمالك الطبيعي وبهاؤك العربي فما كذب الشعر. وفي خزائنك الكُتب النفيسة والمخطوطات فما كذب العلم. وهذه كنوزك وسعر قصورك وسعر الأسماء فيك فما كذب الأساطير كنا نظنها أسماء ابتدعها الشعراء لعرائس الجن والخيال. ولكنها من الحقيقة في أعلى مكان...أجل إن صنعاء في محاسنها لا تُخيب للزائر أملاً. وكلما دنوت منها وهو عكس الحقيقة في محاسنها لا تُخيب للزائر أملاً. وكلما دنوت منها وهو عكس الحقيقة في أكثر المدن، ازداد رونقها وازداد اعجابك بها. هي في مقامها الطبيعي فريدة عجيبة. فيها الهواء أعذب من الماء، والماء أحمل من حلم الشعراء. وفيها البرد، وقد علت تسعة آلاف قدم عن البحر يستحيل لقربها من خط الاستواء دفئاً، (۱).

(1) ملوك العرب، أمين الريحائي ص 119 -120 بتصرف يسير.

¹⁾ هوت العرب، التين الريحاني عن ١١٠ - ١٢٥ بنظرت



مصطفى عبدالرازق ...أديب الرحالة، ومن علماء الأزهر المشهورين بعلمهم

الغزيـر وثقـافتهم الواســـة، وانفتــاحهم علــى الآخــر. ولــد سنة 1885م وكانت وفاته بالقاهـرة سنة 1946م .

. وصف رحلته .

(قام الشيخ مصطفى عبدالرازق برحلة دراسية إلى فرنسا و1909 -1914، وكان مثالاً صريحاً لمن أحبوا باريس حباً جماً)⁽¹⁾ (وكان أحد الذين رأو التوفيق بين حضارتى الشرق والفرب)⁽²⁾.

. نص مختار من رحلته.

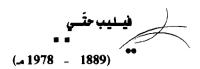
(باريس عاصمة الأخرة ١١)

وليست باريس من صنع شعب من الشعوب ولا عمل عصر من العصور، ولكنها جماع ما استصفاه الدهر من نفائس المدنيات البائدة، وما تمخض عنه ذوق البشر وعلمهم من آيات الفن والعلم والجمال، باريس جنة فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، فيها للأرواح غذاء وللأبدان غذاء وفيها لكل داء في الحياة دواء. فيها كل ما ينزع إليه ابن آدم من جنو ولهو ونشوة وصحو ولذة وطرب وعلم وأدب، وحرية في دائرة النظام لا تحدها حدود ولا تُفيدها فيود. باريس عاصمة الدُنيا، ولو أن للآخرة عاصمة لكانت باريس، (3).

⁽¹⁾ تجليات باريس، د/إيهاب النجدي، مقالة منشورة بمجلة العربي عدد 595، يونيو 2008مم. 63.

⁽²⁾ ادب الرجلات، د/حسين محمد فهيم ص 212.

⁽³⁾ النص ..نقلاً عن المصدر السابق ص 212 -213.



فيليب حتّي .. مورخ، رحالة. ولد سنة 1886 (وينحدر من عائلة لبنانية .. مقرح، محالة لبنانية علومه الإبتدائية في قريته شملان قُرب سوق الغرب جبل لبنان، وتخرج



فيها مادة التاريخ من 1908 حتى 1913. وانتقل بعدها فيها مادة التاريخ من 1908 حتى 1913. وانتقل بعدها إلى الولايات المتحدة ونال درجة دكتوراه من جامعة كولومبيا في 1918. عاد إلى بيروت العام 1908، ودرس فيها مادة التاريخ من 1908 حتى 1913. وانتقل بعدها إلى الولايات المتحدة. ثم عاد إلى بيروت وانضم إلى الجامعة الأمريكية كاستاذ للتاريخ الشرقي في

1920. وبعد مُضي ست سنوات بدأ عمله في جامعة برنستون الأميركية حتى تقاعده سنة 1954. وترك عدداً من المؤلفات بالانكليزية والعربية أهمها: تاريخ العرب، مُذكرات أسامة بن مُنقذ، وتاريخ سوريا ولبنان وفلسطين)(1) وكانت وفاته سنة 1978م.

، ومنف رحلته.

في سنة 1922 و1923م نشرت مجلة الهلال المصرية نص رحلة المؤرخ العربي فيليب حتى إلى أميركا، وكان النص تحت عنوان (أميركا في نظر شرقي) (ويرتدي هذا النص أهمية خاصة إذ يكاد يُشكل أول وصنف حي داخلي للمجتمع الأميركي وعاداته وتقاليده ونظمه التربوية والاقتصادية والسياسية، وهو علاوة على فرادته فإنه يُنبىء عن بداية تحول أساسي إزاء

⁽¹⁾ الرحلة العربية الحديثة من أوروبا إلى الولايات المتحدة، د/يوسف الشويري ص 125.

القارة الأوروبية ومدنيتها التي فتت الأدباء والمفكرين العرب على امتداد القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين)⁽¹⁾. وكان هدف فيليب من نشر نص رحلته هو الرغبة (في كشف أسرار النفس الأميركية، وهو بذلك يُتابع رغبات من سبقوه عندما يمموا شطر دول أوروبا الغربية. ويقوده هذا الطموح إلى التركيز على البناء الداخلي والعادات الشعبية، ووصف تصرفات افراد النُغبة من الحكام ورجال الأعمال. وكان يرمي من وراء ذلك إلى تقديم لوحة متكاملة تُظهر الأسباب الكامنة وراء الازدهار الاقتصادي، والتفوق العلمي وطبيعة الديمقراطية في فضائها الأميركي الذي يُوحي بانمدام وجود التفاوت بين الطبقات الاجتماعية وانبثاق الحكم السياسي من الشعب مباشرة.)(2)

. نصوص مختارة من رحلته .

(الأميركي خارج بلده ..إنسان غامض)

والأميركي تلتقي به على جمع الأمم . جسع غلطة . في الآستانة ، وتقابله في بهوشبرد هوتل في القاهرة ، وتخالطه في الجامعة الأميركية في بيروت ، ولكن الأميركي لا تفهمه كما هو ، وتُدرك حقيقة كنهه ، وتُحيط علماً بروحه وأخلاقه إلا في وطنه ، في أميركا ، كما أنه لا يُمكنك درس طبائع الدب الأبيض في حديقة الحيوانات ولا عادات القرد الأفريقي في قفص الفرجة . للأميركي ميزات وصفات تجمله أميركياً وتُعيزه عن الانكليزي وعن الألماني وعن الفرنسي. فيه ذاتية وطنية ، وروح خاصة ، ونفسية ممينة تقطن الوطن الأميركي وتُتيم في بلاده (أد).

⁽¹⁾ المصدر السابق ص119.

⁽²⁾ المعدر السابق ص 124.

⁽³⁾ مجلة الهلال، السنة الحادية والثلاثون، 1922 -1923م، مقالة (أميركا في نظر شرقي). للرحالة المؤرخ/ فيليب حتّى، نقلاً عن المصدر السابق من 130.

(حيوية الشعب والخفة ﴿ الحركة)(1)

أول ما بتأثر به الزائر لدى احتكاكه بالشعب الأميركي هو حيوية ذلك الشعب المتناهية أي قوة الحياة التي فيه. حالمًا يُشرف الفريب من ظهر الباخرة على مدينة نيويرك . باب الولايات المتحدة . يحيى نظره في الأفق البعيد سلسلة مترامية من البنايات الناطحة السحاب (Skyscrapers) ذات الطبقات الخمسين والستين، فيتبادر إلى ذهنه للحال أنه قادم إلى بلاد إنسانها جبّار في فصيلة الانسان، وبطل بين صفاليك النشر. ولا تلث قدماه أن تطأ الأرض حتى يسترعى انتباهه اندفاع القوم في العمل، وخفتهم في الحركة، وتسابقهم وازدحامهم ونشاطهم، فتتمكن الفكرة في رأسه بمرور الأيام أنه في بُقعة لا كالبقاع وبين شعب فائق على الشعوب، ممتاز بحيويته وفاعليته منضرد بغزارة قوته المصبية. ومنا البنايات الشناهة العديمية المنبال، والخطوات النشيطة السريعة، والمقدرة على الانصباب والانفماس في الأعمال سوى مظهر تظهر فيه حيوية شعب ناهض فتيَّ، ينبض في عروقه دم الشباب صافياً نقياً. والخفة في الحركة هي أول مظهر خارجي سطحي تظهر فيه حيوية الشعب الأميركي، وأول شيء يستجلب انتباه الفريب بينهم. انظرهم على الشارع وفي السوق، كباراً وصفاراً ، نساءً ورجالاً ، يتزاحمون ويتسابقون ، هذا ليركب القطار السبائر على سبطح الأرض، وذاك ليلحق بالقطبار المرتضع فوق سبطح الأرض (القطبار الهوائي القبائم على أعمدة Elevated)، وآخير لينيزل في القطبار الغائص تحت سطح الأرض (قطار النفق Subway)، وغيره ليمسك عربة الترامواي أو السيارة سيل من البشر مُتدفق . بالمعنى الحرية لا المجازي . في الأسواق، زاحف في الشوارع، أبدأ متغير، وأبدأ هوهو. لا صوت إلاّ ما كان ضرورياً تستلزمه طبيعة الحال، ولا إتلاف في القوى على غير داع. أول مرة رأيت القوم يتراكضون فعلاً للحاق بعربة الترامواي حسبت تلك العربة الأخيرة

⁽¹⁾ العنوان من المصدر السابق من 132.

من نوعها. وإذا بالثانية وراءها ، والثالثة تلو الثانية ، والرائمة خلف الثالثة وهلم جراً إلى آخر ما تصل إليه العين، ليس بين الواحدة والأُخرى أكثر من مئة عرد أو مئتين. على أن نصيب كل واحدة من العربات كان نصيب الأولى من حيث الإقبال والازدحام. وقفت على رصيف الشارع لأحنى رأسي إلى الوراء فتكتحل عيناي بمرأى أبراج البنايات الشاهقة التي كنت أسير في ظلها، ولكن على غير جدوى . إلى الأمام يسير القوم، وإلى الأمام لا بُدّ لي أن أسير، شعرت للمرة الأولى أني لست فرداً مستقلاً في دائرة. بل جزءاً من كل نقطة في موجة ، والموجة متحركة تدفعك اجزاؤها بقوة استمرارها إلى الأمام فلا سبيل لك إلى الوقوف حتى تصل إلى منعطف الطريق أو آخر الشارع حيث تنكسر الموجة وتتبعثر عناصرها. إذا وقف قطار النفق أمامك وفتحت ابوابه في وجهك فلا تُجهد نفسك بتحريك العضلات ومحاولة الدخول. سيل البشرية المندفع في وجهة الباب يتكفل بإزاحتك ونقلك إلى الداخل على ما هو مطلوب، بدون اهتمام أو عناء. سلم جسدك لمن وراءك، ومن وراءك يتدير أمر دفعه للأمام حالمًا يفسح المجال من قدامك. الوصية الأولى التي تقرع طبلة أُذنيك حالمًا تحرك خُطاك على الجسر الخشبي الواصل بين الباخرة والبر، والفاصل بين العالم القديم والعالم الجديد، هي Step lively وأسرع خُطاك، وهي الوصية التي يُعيدها ويكررها في أذانك حبرس القطارات والحافلات والناقلات في كل البلاد. فكأنما اسراع الخطى شمار الحياة الجديدة وآيتها الذهبية. الوصية الأولى التي يسمعها الزائر لبلادنا هي دعلي مهلك، ودير بالك، وإياك والوقوع، وفي الوصتين دليلان على فلسفة الحياة كما يفهمها الفرييون وفلسفة الحياة عند الشرقيين «الأميركي بأكل بعجلة ، ويمشى بعجلة ، ويعمل بعجلة ، ويعيش بعجلة ، ويموت بعجلة ، ويدفن بعجلة . عجلة السيارة ، هذا ما لاحظه كل من درس الشعب الأميركي ناقداً ، وردِّده الكثيرون من الكتبة الأوروبيين من افرنسيس وانكليز والمان وايطاليان واسبان. الخياط يكتب على بابه أنه يكوى ثيابك ويرتقها وأنت واقف بانتظارها (While wait وعقب مطاط (كاوتشوك) وأنت جالس على كُرسي في معله. وكثيرة هي المطاعم الموسومة (Quick Lunch) أي مطاعم الفذاء السريع. تقمد في المطاعم الموسومة (Quick Lunch) أي مطاعم الفذاء السريع. تقمد في كُرسي الحلاقة فيباشر الواحد قص شمرك، والثاني قلم أظافرك، والثالث مسح حذائك، عمليات ثلاث في وقت واحد على شخص واحد. ومن النُكات اللطيفة التي يوردها الأميركان ومنها تتجلى هذه الميزة من ميزاتهم القومية نُكتة بشان ممثل الإحدى شركات التأمين جاء ليقنع تاجراً من كوبا مُقيماً في الولايات المتحدة بضرورة التأمين على حياته. ومما قاله له دحتى فيما إذا وقعت من هذا الشباك العالي فقبل أن تلمس الأرض تكون الدراهم قد أرسلت إلى زوجتكه .. ولكن لنفرض أجاب الكوبي مُنذهلاً «أني لم أصب بضرر فماذا تفعلون؟ قال: نكون قد أرسلت الماذات الدفع» الدفعة الدفعة المناذ المناذ المناذة التعلون؟ الذفعة الدفعة الدفعة

(صورة الولايات المتحدة)

دحاولت الحُكم على الولايات المتحدة بأحسن ما فيها ... وكان بوسعي أن اصور مدنيتها بصورة سوداء مظلمة، وآتي بصور فظيمة حقيقية تُمثل الحياة الاجتماعية في القسم الشرقي من مدينة نيويورك وفي غيرها من المدن حيث الشقاء يُعشش والرذيلة تبيض والجهل ضارب أطنابه. ولكني بذلك لا أنصف الشعب بل ارتكب نفس الجُرم الذي يرتكبه بعض المبشرين الذين يسودون صحيفة الشعب السوري في بلادهم بذكر نقائضه فقطه (2).

⁽¹⁾ المندر النبايق من 132 -135 يتميرف يمبير.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 124 -125 بتصرف يسير.



- 1. الرحلات، شوقى ضيف دار المعارف ط 4، 1987م.
- أدب الرحلات دراسة تحليلية من منظور انثوجرائي، حسين محمد فهيم.
 كتاب عالم المعرفة رقم 138 الصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب بدولة الكويت سنة 1989م.
- 3. الرحالون المرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة الصراع الفكري والحضاري، نازك سابايارد، مؤسسة نوهل (بيروت ـ لبنان) مل اسنة 1979م.
- الإفادة والإعتبار في الأمور الشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، عبداللطيف البغدادي، تحقيق أحمد غسان سبانو، دار قتيبة للنشر والتوزيم (دمشق) ط1 سنة 1983م.
- علي مبارك المفكر والمعصر، سمير أبو حمدان، الشركة العالمية للكتاب دار الكتاب العالمي (بيروت. لبنان) طبعة سنة 1993م.
- 6. رحلة الشيخ الطنطاوي إلى البلاد الروسية المسماه (تحفة الأذكياء بأخبار بلاد الروسيا)، قدم لها وحررها محمد عيسى صالحية، مؤسسة الرسالة (بيروت) طبعة سنة 1992م.
- أدب الرحلة تاريخه وأعلامه (المسعودي ابن بطوطة الريحاني)، جورج غريب، دار الثقافة (بيروت - لبنان) ط1 سنة 1966م.
- ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل حسين مؤنس، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1980م.
- 9 دمشق الشام في نصوص الرحالين والجفرافيين والبلدانيين المرب والمسلمين من القرن الثالث إلى القرن الثالث عشر للهجرة، أحمد

- الإيبش وقتيبة الشهابي، الجزء الأول، من منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية المريية السورية (دمشق سنة 1998م).
- 10 رحلة الحبشة من الأستانة إلى أديس أبابا، صادق باشا المؤيد العظم، حررها وقدم لها نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع (الإمارات أبو ظبي) بالاشتراك مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت) ط.1 سنة 2001م.
- 11 الرحلة العربية الحديثة من أوروبا إلى الولايات المُتحدة، يوسف الشويري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت) ط1 سنة 1998م.
- 12 من أدب الرحلات، عماد الدين خليل، دار حضرموت للدراسات والنشر، (المكلاء الجمهورية اليمنية) ط1 سنة 2002م.
- 13. رحلة ابن معصوم المدني (سلوة الفريب وأسوة الأريب)، تحقيق شاكر هادي شُكر، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية (بيروت).
- 14. رحلة السودان للشيخ محمد بن علي بن زين العابدين، نقلها إلى العربية عبدالله معاوية، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة. فُرطاج 1993م.
 - 15 رحلة ابن بطوطة ، دار صادر (بيروت. لبنان) ط1 سنة 2005م.
- 16 رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير، دار ومكتبة الهلال، ط2 سنة 1986م.
- 17 كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، المراكشي، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية (بغداد العراق) بالاشتراك مع دار النشر المغربية، طبعة خاصة بالمشرق العربي سنة1986م.

- 18 رحلة إلى أوروبا ، جرجي زيدان ، حررها وقدم لها قاسم وهب،دار المسويدي للنشر والتوزيع (أبوظبي) بالاشتراك منع المؤسمسة العربية للدراسات والنشر (بيروت. لبنان) ط1 سنة 2002م.
- 19 رحلتان إلى سورية ، محمد رشيد رضا ، حررها وقدم لها زهير أحمد ظاظا ، دار السويدي للنشر والتوزيع (أبوظبي) بالاشتراك مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت) ط1 سنة 2001م.
- 20.اليمن في عيون الرحالة، عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع، دار الفكر المعاصر (بيروت. لبنان) ودار الفكر بدمشق سورية ط1 سنة1993م.
- 121 حسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، معمد بن أحمد المقدسي، اختار النصوص وعلق عليها وقدم لها غازي طليمات، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق سنة 1980م.
- 22.الرحالة اليمنيون رحلاتهم شرقاً وغرياً، عبدالله معمد الحبشي، مكتبة الإرشاد (صنعاء اليمن) ط1 سنة 1989م.
- 23. خُلاصة تاريخ الأندلس، شكيب أرسلان، دار مكتبة الحياة (بيروت .
 لبنان) طبعة سنة 1983م.
- 24. إعجام الأعلام، محمود مصطفى، دار الكتب العلمية (بيروت ـ لبنان) ط1 سنة 1983م.
- 25معجـم البلـدان، يـاقوت الحمـوي، مطبعـة السـعادة (مصـر) ط.آ 1906م.
- 26 ملوك المرب، أمين الريحاني، المؤسسة العربيبة للدراسات والنشر (بيروت) ط1 سنة1980م.
- 27 التعريف بابن خلدون ورحلته غرياً وشرقاً، عبد الرحمن بن خلدون، عارضه بأصوله وعلق حواشيه محمد بن تاويت الطبخي، مطبعة لجنة التأليف والنشر (القاهرة) طبعة سنة 1951م.

- 28.غرائب الغرب، محمد كرد علي (المكتبة الأهلية) مصر المجلد2 ط2 سنة 1923م.
- 29. كتاب البلدان، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي، دار إحياء التراث العربي ط1 سنة 1988م.
- 30. الفنون الأدبية وإعلامها في النهضة العربية الحديثة، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين (بيروت) ط3 سنة 1980م.
- 31. عبدالمزيز الثمالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية، أنور الجندي، دار الغرب الاسلامي (بيروت) ط1 سنة 1984م.
- 32.مقدمة ابن خلدون، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت. لبنان) ط1 سنة 2004م.
 - 33.البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقى، دار التقوى مصر.
- 34.أعلام الجفرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، عبدالرحمن حميده، دار الفكر دمشق ط 2 سنة 1980م.
- 35.أبو الريحان البيروني . موسوعة العرب .، عمر فاروق الطباع، عبدالمنعم الهاشمي.
 - 36.الرواد المسلمون، عبدالله عبدالغني غانم.
 - 37.مجلة العربي عدد 595 سنة 2008م.

الفهـرس = =

● مقدمة
• ابن وهب القُرشي
• ســــلام الترجمـــان
• سليمان العراقي
• اليعقـوبــي
• المسعـودي
• محمد بن أحمد المقدسي
• محمد البيروني
 أبو حامد الأندلسي
• الفتية المُغامرون
• أسامة بن مُنقذ
• الإدريــــي
• ابن حوقـل
• ابـن فضــــلان
• الهـرويّ
• ابـن جبيـر
• عبداللطيف البغدادي
• ياقوت الحموي
 الرحالة المراكشي
 القـزوينـي
• ابن بطوطة

94	● ابـن خلــدون
98	
109	
113	
121	
125	
132	
136	
140	
144	
147	
151	
155	
158	
162	
166	
172	● محمد كُسرد علسي
176	
179	
180	
185	